

# الأدب الإسلامي

١٢٩

مجلة فصلية تصدر عن: رابطة الأدب الإسلامي العالمية - العدد (١٢٩) ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٦م

## الأدب الإسلامي بين القدامى والعصرين

د. منجد مصطفى بهجت

حكمة الشعر  
وشعر الحكمة

محمد رشدي عبيد

مفكرون مؤمنون  
في مواجهة الحداثة

هاشم صالح

افتراء النقد الثقافي  
على النقد الأدبي

د. وليد قصاب

مصادر الصورة  
الفنية في شعر إقبال

د. عبدالملك بومنجل



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



د. وليد قصاب  
رئيس التحرير

# افتراء النقد الثقافي على النقد الأدبي

لم يبد لي شيء جديد في هذا المسعى اليوم «النقد الثقافي»، إذ هو عودة مرة أخرى إلى نقد المضامين الفكرية المعرفية التي يحملها الأدب، وهو الاتجاه الذي كان يطل علينا من خلال مناهج كثيرة غنيت بما تحمله النصوص الأدبية من المضامين الخلقية، والدينية، والفلسفية، والاجتماعية، والتاريخية، والنفسية، وغيرها. وتمثل ذلك في: «الاتجاه الخلفي التربوي، الاتجاه المترفع، الإنسانية الجديدة، الاتجاه الاجتماعي، الاتجاه الإنساني، الاتجاه النفسي، الاتجاه النسوي، الاتجاه الديني، والاتجاهات الإيديولوجية والسياسية في النقد الماركسي، والوجودي، وغيرهما.

وهي جميعها-كالنقد الثقافي- تحتفل بما في الأدب من زاد معرفي فكري؛ فالأدب لا يُحتفى به لجمالياته الفنية وحدها، بل لما يحمله من الأنساق الثقافية المختلفة، أو لما يصحح من قبحيات أنساق تنطلق من تصورات مخالفة لتصوراتها. وإذن فمن الافتراء القول: إن النقد الأدبي-في قديمه وحديثه- لم يسهم في نقد النسق، أو أنه غير مؤهل لكشف الخلل الثقافي، ليحكم عليه بعضهم بالموت، واستبدال النقد الثقافي به.

إن النقد الثقافي هو في هذا السياق المعروف الذي كان حاضرًا باستمرار، وفي ثقافات الأمم جميعها، وهو وجه مناهض لاتجاه استهانت به الاتجاهات اللسانية النصية المنحازة لجماليات النص على حساب قيمه الثقافية.

وفي الكلام على النقد الأدبي عند العرب خاصة يبدو الافتراء أفدح؛ إذ يعيّم بعضهم القول: إنّه عُني بالجماليات على حساب القيم. وقد فندتُ هذا القول في كتابي «النقد العربي القديم: نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي»، وفيه مئات النصوص النظرية والتطبيقية التي عنيت بما يحمله الشعر العربي من القيم والمضامين الخيرة، فأشادت بها، وسقّمت كثيرًا من الأنساق المنحرفة؛ مما يفند أنه لم يكن مؤهلاً لكشف ما في الشعر من الخلل الثقافي والقيم القبيحة؛ فقد تصدّى النقاد العرب كثيرًا لنقد الأنساق الثقافية المنحرفة، واتهموا أقوال بعض الشعراء بأنها كالكفر أو تقاربه؛ قيل ذلك عن بعض شعر أبي نواس، وابن الرومي، والعمّوك، والمتنبي، وغيرهم.

إنّ النقد الثقافي مسعى جديد لاتجاه قديم معروف في النقد الأدبي في جميع العصور وعند جميع الأمم، وهو يعرّز-على كلّ حال-الدعوة إلى منهج تكاملي سّمّاه ستانلي هايمان «النقد المثالي»، وهو نقد لا ينحاز إلى الشكل على حساب المضمون، ولا إلى المضمون على حساب الشكل، بل ينطلق من وسطية، أشار إليها ابن رشيق وغيره؛ قال ابن رشيق: «اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسد». وهي وسطية النقد الأدبي الإسلامي الذي ندعو إليه: نقد جمالي خلقي.

# مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية

رئيس التحرير  
د. وليد إبراهيم القصاب

المشرف العام  
د. حسن عمر الأمrani  
رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

## من كتاب العدد



قاسم الحسن غيتي

٣٨



د. عبدالرزاق حسين

١٤



د. حسن الأمrani

٩٦



سلمان عارفي

٨٨

## شروط النشر في المجلة

- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب
- توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً
- إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو أجري الحوار معها.
- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، وألا يزيد على عشر صفحات
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل



المجلد (٣٣) العدد (١٢٩)

رجب - رمضان ١٤٤٧ هـ

كانون الثاني (يناير) - آذار (مارس)

٢٠٢٦ م

المراسلات باسم رئيس التحرير

المملكة العربية السعودية

الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦

هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٦٣٤٣٨٨

جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

www.adabislami.org

E-mail: info@adabislami.org

### الاشتراكات

• للأفراد في البلاد العربية

ما يعادل ١٥ دولاراً

• خارج البلاد العربية ٢٥ دولاراً

• للمؤسسات والدوائر الحكومية

٣٠ دولاراً

### أسعار بيع المجلة

• دول الخليج ١٠ رباتل سعودية

أو ما يعادلها.

• الأردن دينار واحد

• مصر ٦ جنيهات.

• لبنان ٢٥٠٠ ليرة.

• المغرب العربي ٩ دراهم مغربية

أو ما يعادلها.

• اليمن ١٥٠ رباتل.

• السودان ٢,٥ جنيه.

• الدول الأوروبية ما يعادل ٣ دولارات.

## نائب رئيس التحرير

د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين

## أمين سر التحرير

أ. شمس الدين درمش

## هيئة التحرير:

د. عبدالله بن صالح المسعود - السعودية

د. محمد عبدالعظيم بنعزوز - المغرب

أ. نوال أحمد مهدي - مصر

د. منجد مصطفى بهجت - العراق

## مستشارو التحرير:

د. عبدالعزيز الثنيان - السعودية

د. حسن بن فهد الهويمل - السعودية

د. رضوان بن شقرون - المغرب

الشيخ. بلال عبدالنهي الندوي - الهند

د. عدنان فارس حسونة - الأردن

د. رحمة أحمد الحاج عثمان - ماليزيا

## في هذا العدد

### الافتتاحية:

افتراء النقد الثقافي على النقد الأدبي

١

رئيس التحرير

### الدراسات والمقالات

٤

د. منجد مصطفى بهجت

• الأدب الإسلامي بين القدامى والعصريين مقارنة في التأصيل - دراسة

١٤

د. عبدالرزاق حسين الكوفي - دراسة

• التناسخ الموحى في شعر إبراهيم الكوفي - دراسة

٣٨

قاسم حسن غيقي

• الالتزام في الأدب الإسلامي: عبدالرحمن رأفت الباشا بين التراث والتجديد - دراسة

٤٨

محمد رشدي عبيد

• حكمة الشعر وشعر الحكمة - مقالة

٥٦

د. عبدالملك بومنجل

• مصادر الصورة الفنية في شعر محمد إقبال - دراسة

٧٤

محمد محمد السنياطي

• قراءة في قصيدة فكتور هوجو: العام التاسع من الهجرة - دراسة

٨٤

شمس الدين درمش

• قراءة في تقديم الشيخ محمد الرابع الندوي لكتاب رسائل الأعلام للشيخ أبي الحسن الندوي - مقالة

### البداع

١٣

د. سالم بن رزيق بن عوض

• وداعاً مفتي عام المملكة.. - شعر

٢٣

عبدالعزيم العسكر

• صنو المكارم - شعر

٢٤

د. عثمان قدرى مكانسي

• مشاعر على الطريق - قصة قصيرة

٣٠

د. أحمد بن صالح السديس

• أحمد - شعر

٣١

ناصر الخزيم

• البدر الساري في مدح الإمام البخاري - شعر

٣٥

د. عمر خلوف

• إلي - شعر

٣٦

فواز عابدون

• الحق أصدق ما ترى - شعر

٤٤

محمود مصطفى حلي

• سعادة خفية - قصة قصيرة

٤٦

ريم سليم

• حبل غسيل - خاطرة

٤٧

أبو ربيع الغيني

• مجاهدة النفس - شعر

٥٥

نوال مهدي

• وقفة على قصر المنتزه - شعر

• علمتنا - شعر

٦٥

مصطفى قاسم عباس

• بقال برتبة مستشار - قصة قصيرة

٦٦

أحمد نصيب علي حسين

• وا حسرتاه على غزة - شعر

٦٨

محمد الروكي

• ركاب - قصص قصيرة جداً

٧٣

إبراهيم حافظ غرب

• نور الحبيب - شعر

٨٢

جمال ربيع عبدالحفيف

• مسار العشق - شعر

٨٣

سامي بن أحمد القاسم

• عرس الأحزان - شعر

٨٧

عاطف عكاشة

• لك الحمد ربي - شعر

٩٥

د. عبدالرحمن العشاوي

• الجدار المائل - قصة قصيرة

١٠٢

محمد الشراوي

• أحببت أجمل منك - شعر

١٠٣

عبدالناصر الجوهرى

### البواب الثابتة

#### لقاء العدد:

• مع الأديب الناقد د. حلمي محمد القاعود

٣٢

حوار: أحمد طاهر أبو عمر

#### تراث الأدب الإسلامي:

• اشتدي أزمة تنفجى - شعر

٥٤

ابن مليكة الحموي

#### ثمرات المطابع:

• مفكرون مؤمنون في مواجهة الحداثة - مقالة

٧٠

هاشم صالح

#### مسرحية:

• كعب بن مالك من شعراء الإسلام

٧٨

د. وليد قصاب

#### رسالة جامعية:

• مساهمة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تطوير أدب الأطفال

٨٨

الباحث: سلمان عارفي

#### مكتبة الأدب الإسلامي:

• كتاب: خواطر - تأليف د. جعفر مسعود الندوي

٩٦

عرض: د. حسن الأمراني

#### أخبار الأدب الإسلامي

١٠٤

إعداد: شمس الدين درمش

#### الورقة الأخيرة:

• التخصص أم الموسوعية؟

١١٢

د. عماد الدين خليل



# الأدب الإسلامي بين القدامى والعصرين مقاربة في التأصيل



د. منجد مصطفى بهجت  
العراق

كان الحديث في مقالة سابقة عن مفهوم الأدب الإسلامي<sup>(\*)</sup>، بين القدامى والعصريين<sup>(1)</sup>، في مقاربة استقصائية في محاولة لعرض آراء ومرئيات لمفهوم الأدب الإسلامي، وفي هذا المقال سيتم التركيز على جذور هذا المفهوم وأبعاده.

تدعونا مقولة ابن سَلَّام في طبقاته إلى النظر فيها، وقد جاءت بعد قول عمر بن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه". ثم عقب عليه بقوله: "فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد، وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير".



لكنّ القرآن عبّس لهم قليلاً، ثم تبسّم، وكذلك صنع الرسول ﷺ؛ تجبّم للشعر السيئ الهدام، ثم تبسّم للشعر الباني المبين<sup>(٤)</sup>.

ويرى عبد الرحمن خليل الجانب الإيجابي في الشعر الإسلامي، ويبين أهمية الشعر الفعّال في صدر الرسالة قبيل البعثة في تهيئة العرب لرسالة الإسلام، وفهم كتابه المنزل بالوحدة اللسانية، ووحدة العادات بوحدة الاعتقاد. كذلك يجده يذكي الحروب بين العرب، وبين الأمم المجاورة، فوجدت التناقضات الداخلية والخارجية، ففتحت الأذهان لرسالة جديدة، هي الإسلام، ومن ثم كان التناقض بين الشعر والإسلام، وجاءت معادة الإسلام للشعر في مكة لارتباطه بالقبيلة والعصبية والجنسية.

وأنه جاء تصويراً للشخصية الإسلامية يعبر عن ضعف المسلمين في شعر أحد المهاجرين إلى الحبشة. ويعبر عن صورة الاستماتة والتمسك بالعقيدة. وأنه جاء تعبيراً عن سيادة الدولة الإسلامية في شعر كعب بن مالك في معركة بني لحيان والطائف. كذلك عبر عن قوة الدولة وسيادتها من خلال المعارك العسكرية في شعر معبد الخزاعي، وفي المعارك العقلية في شعر حسان حين خاطب الخزاعي الذي وعد الرسول بإسلام قومه واستجابتهم لذلك، كما أسلمت دوس خوفاً من قول كعب بن مالك، كما أسلم وفد تميم حين سمعوا شعر حسان بن ثابت. وهكذا عاش الشعر مع الإسلام فكراً ودعوة ودولة ذات سيادة<sup>(٥)</sup>.

ومن الباحثين المتخصصين بالشعر الإسلامي في دراسات متعددة، د. يحيى الجبوري<sup>(٦)</sup>، تحدث في الفصل الأول عن الشعر في زمن الرسول ﷺ

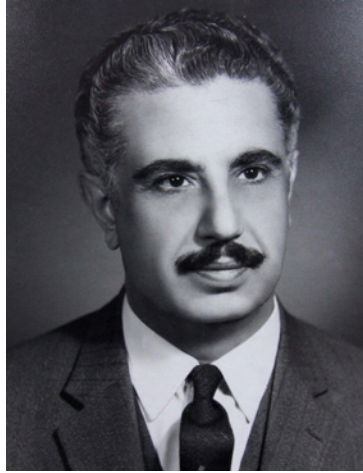
ناقش ناصر الدين الأسد: هذه المقولة التي لا يكاد يخلو كتاب تناول الأدب الإسلامي منها، فقال: «وكلام ابن سلام هذا ثلاثة أشطر: آخرها حق، وموسطها باطل، وأولها يحتاج إلى فضل بيان يوضحه. أما الحق الذي لا مربة فيه فقوله: «فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير». وذكر

أنه سيعود في صفحات مقبلة إلى هذا القول، ويفصل وجه الحق فيه. وأما الباطل الذي لم نعد نشك في بطلانه وفساده، فهو هذا التعميم الواسع في قوله: «فلم يؤولوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب»<sup>(٧)</sup>. وقد كان في البابين الأول والثاني من بحثه من البيان والتفصيل.

إن الشعر سكت حيناً، ثم نهضت دولته في عهد الرسول ﷺ وصدر الإسلام، حاملاً لواء عبقريته مسجلاً الأحداث،

مستعيداً مجده الذي كان له قبل الإسلام، وتراءى في شعرهم الفكر الإسلامي، والأدب الإسلامي، وأن الشعر قد عاش ونهض من كبوته، وإن ذمّ القرآن الكريم بعض الشعراء، وأن الرسول الأعظم ﷺ وإن أبدى تحقّظاً بالشعر، وأنه قال للناطقة الجعدي: «لا يفضض الله فاك»، وقال لكعب بن مالك: «ما نسي الله مقالك»، وقال لهمذان العبسي: «رُبَّ خطيب من عبس»، وقال لحسان: «والله لشعرك أشدّ عليهم من وقع السهام في غبش الظلام».

والرسول العظيم كان ناقداً للشعر من الطراز الأعلى<sup>(٧)</sup>. ويعلق المحاسني على آية الشعراء فيقول: «وكيف أن القرآن استثنى المؤمنين والصالحين، ولو أطلق الآية في أمرهم ذاك، لكان الإسلام حرباً عليهم حتى آخر يوم تنطق به الأقوام بالضاد،



د. ناصر الدين الأسد



الأدبية في ظل خصائص التصور الإسلامي السبع، وهي: الرّبانية، الثبات، الشمول، التوازن، الإيجابية، الواقعية، التوحيد. فإن التجربة الإبداعية الإسلامية تنبثق من خصائص التصور الإسلامي، وتموج بكل ما تحمله التجارب الأدبية من عاطفة جياشة، وخيال متوقد، وبصيرة نافذة، ورؤى متفتحة على الآفاق الكونية، والطموحات الإنسانية، وفي تفتحها المستنير لا



### د. يحيى الجبوري

تنفصل عن دائرتها الكبرى دائرة (الإسلام)، ومع ذلك فهي ليست بمنأى عن البيان العربي المشرق، ولا تنطق في أدواتها إشراقة الفن، ولا يخبو وهج الأداء في تعاملها مع الله والكون والحياة<sup>(٨)</sup>.

وبناءً على تلك المسلمات يقسم د. عبد القدوس أبو صالح، رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية الأسبق، النتاج الأدبي إلى دوائر ثلاث<sup>(٩)</sup>:

١- وألاها دائرة الأدب الملتزم بالتصوّر الإسلامي، وهي دائرة لا تقتصر على أدب الدعوة، بل تتسع لتشمل أيّ موضوع يدور حول الكون والحياة والإنسان.

٢- والثانية دائرة الأدب المباح، وهو أدبٌ لا يعارض التصوّر الإسلامي وإن لم يلتزم به، وهي دائرة تتسع للأدب الجمالي المحض، أو لأدب التسلية والترويح عن النفس.

٣- وأمّا الدائرة الثالثة؛ فهي دائرة الأدب الذي يُعارض التصوّر الإسلامي ويُضادّه، وهذا الأدب هو الذي يرفضه الأدب الإسلامي، ويعدُّ التصديّ له من واجباته ومهمّاته؛ لأنّه أدب العقائد والمذاهب «الأيديولوجيات» المنحرفة عن الإسلام، أو أدب العبث الهدّام، أو أدب الجنس والانجلال، أو أدب الحدائث الفكرية المدمّرة لا أدب الحدائث

والخلفاء الراشدين، ويبيّن رأيه في موقف الإسلام من الشعر: «ولذلك لا يصح أن يقال: إن الدين قد غض من الشعر ونهى عنه، كما لا يصحّ أنه شجع الشعر دون توجيه وتهذيب، بل لا يمكن قطعاً أن ينظر للشعر من الوجهة الدينية في الأقل بمعزل عن الأحداث. وبعد مناقشته الآيات الواردة في هذا السياق والأحاديث؛

كذلك نقل آراء بعض النقاد في

تعليل صرفه ﷺ عن الشعر. وتوقف عند أسباب ضعف الشعر في صدر الإسلام، وتمثلت عنده في: ١- الشعر والفتوح. ٢- القرآن وانشغال الناس به. ٣- انصراف الشعراء عن قول الشعر. ٤- إبطال الدوافع الجاهلية. وقد عقب على العنصر الرابع من هذه العناصر السابقة. وفصل القول في ضياع



### د. صابر عبدالدائم

الشعر ونحله والشك والتزوير في الشعر. ودور ابن هشام في تحقيق الشعر واستدراكه على ابن إسحاق، ونقد ابن النديم لابن إسحاق<sup>(١٠)</sup>. تحدث د. صابر عبد الدائم عن معالم التجربة



٧- وهو أدب هادف؛ إذ يشكّل قسمٌ كبير منه ما يسمّى بأدب الدعوة الإسلاميّة، دون أن يكون محصوراً فيه كما قدّمنا، كما أنه يهدف إلى صياغة الوجدان الإسلاميّ، وبناء الشخصية الإسلاميّة، ويعبّر عن آمّ الأمة الإسلاميّة وأمالها، ويسعى إلى ترشيد الصحوة الإسلاميّة، ورفّع الأمة إلى معركة المصير.

ويرى د. أحمد مطلوب أن الأدب الإسلامي فقد هويته وأصالته، في هذا العصر الضال، ومن هنا يبدو الحديث ذا أهمية في الأدب الإسلامي<sup>(١١)</sup>. لقد ذهب العصر الذي كان فيه الأدب ألهيّة فنيّة، وترفّاً فكريّاً بانقضاء عهود التكبُّب بالشعر، وهي عهود قديمة، وبسقوط مذهب الفنّ للفنّ، وهو مذهبٌ حديث، وأصبح الأدب اليوم - كما كان في عهد الرسول ﷺ - أداةً، بل سلاحاً للدفاع عن الإسلام، والحضّ على الجهاد، وصياغة الوجدان، ورفع مستوى المسلمين رجالاً ونساءً، وأطفالاً وشباباً، بما تملكه الكلمة الأدبية الأصيلة الهادفة من قدرة على التأثير في القلوب والعقول في آنٍ واحد.

وما من مذهب فكري منحرفٍ إلا استعمل الأدب وسيلةً لنشر آرائه، وحشد الأتباع حوله،

حتى إن أبا الحسن الندوي مؤسس رابطة الأدب الإسلامي يقول في هذا السياق: «إن العالم اليوم يحكمه القلم، وتحكّمه الكلمة».

ويؤكد هذا المفهوم محمد قطب، فيقرر أن الأدب: «سلاح يستعمله أعداء الإسلام في إفساد الأجيال، وإشاعة الانحلال، فما أجدرتنا أن نستعمله في الدِّفاع عن الإسلام وبناء الأجيال!». ولا شك أن النص الأدبي، شعراً، أو قصة، أو

بمعنى التجديد في المضمون والشكل. وانطلاقاً من تعريف الأدب الإسلامي ومفهومه المتميز؛ يحدد لنا أبو صالح خصائصه الفنية في أنها:

١- أدب ربّاني يقوم على تصوّر عقدي ثابت، هو التصرُّو الإسلامي السليم.

٢- هو أدب ملتزم بالإسلام؛ لأننا نستطيع تعريف المسلم بأنه إنسان ملتزم، وليس للأديب خصوصية تبيح له الخروج عن الإسلام، والتزام الأديب المسلم التزامٌ طوعي، نابع من إيمانه وعقيدته، ولذلك فهو بعيد عن الإلزام القسري الذي نجده - في مذهب الواقعيّة الاشتراكية - قيّداً مفروضاً على الأديب من الخارج، مما يحدُّ من حرية الأديب، ويجعل أدبه مصطنعاً زائفاً.

٣- وهو أدب شمولي واسع الأفاق، يستمدُّ شموله من شمول الإسلام لكل شؤون الحياة، ولكل شؤون العالم.

٤- وهو أدب متوازن، يستمدُّ توازنه ووسطيته من وسطية الإسلام، وخير الأمور أوسطها، فهو يوازن بين المضمون والشكل، وبين المثالية والواقعية، وبين أشواق الرُّوح ونوازع المادة، وبين التراث والمعاصرة<sup>(١٢)</sup>.

٥- أدب إنساني بمقدار ما

في الإسلام من إنسانية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. [الحجرات: ١٣].

٦- وهو أدب متّصل عبر القرون، فليس مذهباً عارضاً، ولا بدعة مستحدثة، ولسنا نجد في المذاهب الأدبية العالمية مذهباً يطاوله في امتداده الرّمني عبر العصور.



د. عبدالقدوس أبو صالح

٥- أدب إنساني بمقدار ما

في الإسلام من إنسانية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. [الحجرات: ١٣].

٦- وهو أدب متّصل عبر القرون، فليس مذهباً عارضاً، ولا بدعة مستحدثة، ولسنا نجد في المذاهب الأدبية العالمية مذهباً يطاوله في امتداده الرّمني عبر العصور.



## الشيخ أبو الحسن الندوي

بعض الروايات الأدبية. والأدب الإسلامي يمثل طوق النجاة أمام فوضى المذاهب الأدبية، وكثرتها، وما ديتها، وعجزها، وعدم الانسجام بين الأديب غير المسلم وبين العالم جعله يبحث عن الحلول في سراديب معتمة؛ كالجنس لدى ألبرتو مورافيا، أو التمرد على كل شيء لدى سارتر، أو الصراع الطاحن وقهر بعض الطبقات كما يفعل غوركي، فيستسلم يائساً لهذه الحلول، أو يعيش في الافتراض والتجريب من جديد، وفي الحالتين يكون توتره بدائياً وهذاماً»<sup>(١٣)</sup>.

ويرى د. عبد القدوس أبو صالح أن كثيراً من النتاج الأدبي المعاصر أصبح يقوم على مهاجمة العقيدة الإسلامية صراحة، وعلى التهجم على مقام الألوهية، وتصوير الإسلام مرادفاً للتخلف، ويسوق رأي محمد قطب في الأدب: «لا نجد في الأدب العربي المزور أن الحياة مرسومة من خلال العقيدة، بل نجد تعمداً في إغفال العقيدة، وعدم ذكرها إلا أن يكون الأمر سُخرية بالدين والمتدينين». ولم يدرك كثير من المشتغلين بالأدب العربي أن تغريب الحياة الفنية والأدبية لا

مسرحية يؤثر في الوجدان تأثيراً خفياً، وهذا التأثير ما يزال يتغلغل في الوجدان حتى يتمكّن منه، ثم يؤثر في الفكر، ويصوغ الشخصية صياغة خير أو شر. ويقرر في موضع آخر: أن الأديب مسلمٌ أولاً، ثم أديب ثانياً، والأدب إحساس بالجمال، وتعبيرٌ عن هذا الإحساس، وهو جزء من الحياة، والحياة كلها يحكمها الإسلام، والمسلم -أديباً كان، أو غير أديب- ينبغي أن تكون حياته مشمولةً بالإسلام، وخاضعة له<sup>(١٤)</sup>.

ويتحدث د. عبد القدوس أبو صالح عن ضرورة تصحيح العلاقة بين الأدب والعقيدة: «ما من شك في أن الدعوة إلى الأدب الإسلامي هي الوسيلة التي لا بد منها لتصحيح العلاقة بين الأدب والعقيدة، وإيجاد الانسجام بين عقيدة المسلم، وعطائه الأدبي، وتكامل شخصيته. والإسلام ينظم حياة الفرد من أصغر شؤونه إلى أكبرها. وبعض الأديباء يقول: أنا حر، ما من أحد له سلطة عليّ، وأنا لا أرتضي أيّ قيد كان، وبخاصة قيد الدين، وأنا أرفضه، وأتمرد عليه، والنتيجة تكون إلحاداً، كما رأينا في بعض النماذج الشعرية، وكما نرى في



وراء ما أسميه بمصيصة الحداثة: كوئها مذهباً فلسفياً هداًماً، يتناول جوانب المعرفة الإنسانية كلها، حتى ليبدو جانبُ الأدب فيها جزئياً، ولا أقول: هامشياً، وإن قراءة كتب «أدونيس» وأمثاله، وأولها كتابه عن الثابت والمتحول تدلُّ على أن هؤلاء المغرضين لا يريدون لهذه الأمة أن يبقى لها قرأها، ولا عقيدتها، ولا إسلامها، ولا تراثها، وهم يوالون الإشادة بكلِّ ملحد وزنديق في تاريخ المسلمين؛ كالحلاج، والسهوردي، وتعظيم الحركات الهدامة؛ كثورة الزنج، وحركة القرامطة، مع إعلاء شأن الذين قاموا بها؛ على أنهم أبطال الأمة ورموز التحرُّر.

وقد بيّن الناقد الكبير د. محمد مصطفى هدارة خطر الحداثة الفكرية الشاملة؛ إذ قرَّر أنها «في الحقيقة أشدُّ خطورةً من الليبرالية والعلمانية والماركسية، وكلِّ ما عرفته البشرية من مذاهب واتجاهات هدامة؛ ذلك أنَّها تتضمَّن كل هذه المذاهب والاتجاهات، وهي لا تخصُّ مجالات الإبداع الفني، أو النقد الأدبي، ولكنها تعمُّ الحياة الإنسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية على السواء»<sup>(١٥)</sup>.

والإسلام عقيدة متميزة لأكثر من مليار وربع المليار مسلم، منهم أكثر من ٢٠٠ مليون

عربي، وينبثق عن هذه العقيدة تصوُّر إسلامي كامل للكون والحياة والإنسان، والأمة الإسلامية - كما يقول محمد قطب- «أمة متميزة؛ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فما بالنا نتدنى عن هذه الدرجة حتى نتسول سموم الجاهلية، ونتسول فتات الغرب ومذاهبه؟! وعزة

يختلف عن تغريب الحياة الفكرية والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية.

وأما مُجاراة موجة الجنس فقد جعلت «توفيق الحكيم» في قصة «الرباط المقدس» يسوِّغ الزنا، ويزين خيانة المرأة لزوجها، وسرت هذه الموجة في معظم قصص «نجيب محفوظ» ورواياته، حتى تساءل الناقد أنور المعداوي: «لماذا يتعرَّض نجيب محفوظ للجنس؟ ويهدف عامداً إلى تشرح العلاقة الجنسية في أكثر أعماله؟ هل يعمد إلى هذا بقصد إثارة القارئ كما يفعل غيره من الكتَّاب؛ بُغية الرِّواج؟ أم أن له اتجاهاً معيناً يتَّسم بالمنهجية التي يلتزمها كلون من ألوان التعبير عن وجوده العقلي؟».

ثم يضيف المعداوي قوله: «هناك قطاعات

عريضة قليلة تخرج عن نطاق البُعد الموضوعي الرئيسي للمشكلة في خطوطها العامة؛ وذلك حين يعمد نجيب محفوظ إلى التفصيلات الجزئية لما يدور أحياناً من أحداث ذاتية في الجو العائلي لآل شوكت، أو في جو المغامرات الجنسية لطبقة العوالم المغنيات، من أمثال زبيدة، وجلييلة، وزُوبة». وتبقى قصص نجيب محفوظ على قدر من الرِّصانة أمام موجة القصَّاصين والقصَّاصات



### أنور المعداوي

الجديدة. من أمثال «كوليت خوري»، و«غادة السمان»، و«سلي الأمير»، اللواتي جاءت قصصهن تقليداً للكاتبة الفرنسية «فرانسوا ساغان»، وأصبح الجنس في كثير من قصصهن محوراً اتجاهاً للسلوك، إن لم نقل: المحور الأول في البناء القصصي<sup>(١٤)</sup>.

ومن هنا يرى أبو صالح: أن الباطل المستخفي



ولكنّه وَعَظُّ هَمَزُ الأُفْنَدَةِ، وهؤلاء النقاد لم يُفَرِّقُوا بين الوَعْظِ المطبوع والوَعْظِ المصنوع، وإذا كانت الموعظة تصدر عن تجربة صادقة، وتنقل بأسلوب فني جميل، وتؤثر في قلوب السامعين حتى تتزلزل لها قلوب الجبابرة، وحتى تُبكي بعض الخلفاء والمتسلطين، ويتوب بسَماعها كثيرٌ من المذنبين المفرطين؛ فكيف نخرجها كلها عن دائرة الأدب، وكأنها مواعظ كنسيّة جامدة هامة؟! وما هو ذا قُتَيْبَةُ بن مسلم يقول في واعظ جيشه محمد بن واسع الأزدي: «إِنَّهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مِئَةِ سَيْفٍ»<sup>(١٧)</sup>.

وفي أدب المواعظ يقول د. شوقي ضيف: «إنهم ارتقوا بصناعة النثر في المعاني التي كانوا يُرَدِّدونها رقيّاً بعيداً؛ إذ شَعَبُوا وفرَّعُوا في تلك المعاني طويلاً، واستنبطوا منها كثيراً من الدقائق التي تمسُّ القلوب والعقول، وأضافوا إلى ذلك عنايةً واسعةً بأساليبهم، وهي عنايةٌ تقوم على الدقّة في اختيار اللفظ، والإحساس المرهف بجمال السبك والصياغة»<sup>(١٨)</sup>.

ومع ما تذخّر به كتُب الأدب من نصوصٍ نثرية تدخل في الأدب الإسلامي، فإنّ كثيراً من هذه النصوص منشورة في المصادر والمراجع كما يقول أبو الحسن الندوي: «في كتب الحديث والسيرة والتاريخ، وكتب الطبقات والتراجم والرحلات، وفي الكتب التي ألفت في الإصلاح والدين، والأخلاق

والاجتماع، وفي بحوث علميّة ودينيّة، وفي كتب الوعظ والتصوّف، وفي الكتب التي سجّل فيها المؤلّفون خواطرهم وتجارب حياتهم وملاحظاتهم وانطباعاتهم، وروّوا فيها قصّة حياتهم»<sup>(١٩)</sup>.

هذه ثروة أدبيّة زاخرة تكاد تكون ضائعة، وقد جنى الإهمال على اللغة والأدب، وعلى الكتاب والإنشاء، وعلى التأليف والتصنيف، وعلى

المسلم تأبى هذا التدبّي والتسؤل، لا في السياسة والاقتصاد فحسب، بل في الفنّ والأدب، وفي كلّ شيء».

ونظرية الأدب الإسلامي ضرورية لإبداع أدب يتخذ لغة القرآن لغته

الأولى؛ لأنها اللغة التي يتعبّد بها المسلمون ربّهم أثناء الليل والنهار، فالأدب الإسلامي يمثّل آداب الشعوب الإسلامية كلها على مُختلف لغاتها وأجناسها، ومن هنا تتحقّق للأدب العربي عالميّة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ومن هنا أيضاً تكون نظرية الأدب الإسلامي ورسالته ضرورة لتوحيد الآلام والأمال للشعوب الإسلامية، حين تصدر في أديها عن نظرية أدبيّة متكاملة، وحين تنقل آدابها إلى لغاتها المختلفة.

والأدب الإسلامي ضروريّ في معركة المصير، عبر التاريخ رافقه النثر، ومما قاله صلاح الدين الأيوبي في كاتب رسائله: «ما فُتِحَت البلاد بسيوفكم، بل

أخذتها برسائل القاضي الفاضل»<sup>(٢٠)</sup>. ثم يأتي فن الخطابة الذي كان صِنْوَ الشعر في كونه سلاحاً من أسلحة الدِّفاع عن الدِّين الجديد والدعوة إلى الله.

وهناك أدب المواعظ الذي يُخطئ كثيرٌ من النقاد حين يُخرجونه عن دائرة الأدب بحجّة المباشرة، وقد فاتهم أنّ في القرآن وَعَظّاً مباشراً،



د. محمد مصطفى هدارة



د. شوقي ضيف



الأديب الإسلامي إلى الفنون الأدبية الحديثة، مهمة كذلك.

وممن تناول أثر الإسلام في اللغة العربية عامة، وفي موضوعات الشعر خاصة؛ د. شوقي ضيف، وهو يتحدث عن عصر بني أمية، في الفصل الثاني من الكتاب الثاني. وتناول مدى تأثير الشعراء المخضرمين بالإسلام في الفصل الرابع من الكتاب الأول<sup>(٢٣)</sup>.



محمد حسن بريغش

وقد نشرت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدّة كتب عن الأدب الإسلامي لدى الشعوب الإسلامية؛ مثل: «الأدب الإسلامي التركي»؛ ألفه عضو رابطة الأدب الإسلامي محمد عبد اللطيف هريدي، و«الأدب الإسلامي الأوردي»؛ لمؤلفه سمير عبد الحميد إبراهيم، و«الأدب الإسلامي الأفغاني»؛ لمحمد أمان صافي، ثم تتابعت الكتب عن «الأدب السواحلي الإسلامي»؛ لمحمد إبراهيم أبو عجل، و«الأدب الأوزبكي الإسلامي»؛ لشاه رستم موساروف، و«أدب الهوسا الإسلامي»؛ لمصطفى حجازي السيد.



د. عماد الدين خليل

وأخذ بعض الأدباء يترجمون روائع من القصص الإسلامية العالمية؛ فقد ترجم حسين عبد اللطيف قصة «الدرويش والموت» لأحمد إسماعيلوفيتش عن الأدب اليوغوسلافي الإسلامي، كما ترجم محمد حرب عن اللغة التركية رواية «السنوات الرهيبة»؛ لجنكيز ضاغجي، حول معاناة المسلمين في القرم، ورواية «الهجرة من أفغانستان»؛ للكاتبة الأفغانية مرال معروف، ومسرحية «أيها الشهداء إنا قادمون»، وهي عن معاناة المسلمين الأتراك في بلغاريا، وترجم

التفكير، فحرمه مادّة غزيرة من التعبير، وباعتنا قويًّا على التفكير». «فإذا دعونا إلى أدب إسلامي؛ عنينا به مذهبًا أدبيًّا له خصائصه الفكرية والفنية التي تعبر عن شخصيتنا الإسلامية وتراثنا، وقاعدته الفكرية التي ينطلق منها هي الإسلام، وهو أرقى وأشمل في نظريته للكون والإنسان والحياة من كلّ الفلسفات المثالية والعقلية والمادّية التي قامت عليها المذاهب الأدبيّة المختلفة، وهو لا ينبع من تعصّب فكري، ولا يؤمن بالمفارقة بين ما تدعو إليه العقيدة من التزام ديني، وما يدعو إليه الفنُّ من انطلاق وتحرُّر؛ لتحقيق الجمال ومُتعة الذوق»<sup>(٢٠)</sup>.

وقد وجد محمد حسن بريغش<sup>(٢١)</sup> عددًا من الفنون الأدبية الإسلامية العريقة مثل القصة والحوار والخطابة والمثل والرسالة أهملت، وأن الدارسين والنقاد حاولوا تناسيها أو إقصاءها لأنها لم تعد تتناسب مع العصر، وأن إقصاء هذه الفنون إبعاد للمسلمين عن دينهم.

وكان هذا الموضوع مدخلًا للرد على

عماد الدين خليل، في حديثه عن نظرية الأدب الإسلامي، يقول: «إن كثيرًا من المثقفين والأدباء الإسلاميين، وغير الإسلاميين، يتصورون الأدب الإسلامي خطابةً وتقديرًا وإرشادًا، ودعوة للضلال والمارقين إلى التزام الطريق القويم، ومحاربة البدع والأهواء...»<sup>(٢٢)</sup>.

وفهم من كلامه أنه ينكر هذه الفنون، لكنّ حصر الأدب الإسلامي بها، هو وجه الاعتراض، لأنها تمثل جانبًا واحدًا من جوانب الأدب الإسلامي، وحاجة



للأطفال بعنوان: «باقة ياسمين» تأليف علي نار، وترجمة شمس الدين درمش، فضلاً عمّا نشر في مجلة الأدب الإسلامي<sup>(٢٤)</sup>.

### الهوامش

- (\*) كان مصطلح الأدب الإسلامي يستعمل للتعبير عن أدب حقبة تاريخية معينة، والمقصود باستعماله الآن المفهوم الفكري، فهو الأدب الصادر عن التصور الإسلامي مهما كان زمنه. «التحرير».
- ١- مجلة الأدب الإسلامي، العدد ١٢٦، ٢٠٢٥/٤م.
- ٢- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمها التاريخية (بيروت: ط ٨، دار الجيل، ١٩٨٨م)، ص ١٩٤-١٩٥.
- ٣- زكي المحاسني، الأدب الديني، دراسات أدبية عن القرآن والحديث (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م)، ص ٥٣.
- ٤- المرجع السابق، ص ١٢٤.
- ٥- عبد الرحمن خليل، دور الشعر، مصدر سابق، ص ٤٧٤.
- ٦- يحيى الجبوري، الشعر الإسلامي والأموي (عمان: دار البشير، ط ١، ٢٠٠٥م) ص ٢٢-٢٥، وينظر: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٩٤. العمدة، ج ١، ص ٣٢. الأغاني، ج ١٥، ص ١٤٣.
- ٧- المصدر السابق، ص ٣٢، ٣٦، ٣٧.
- ٨- صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، (القاهرة: دار الشروق، ط ٢، ٢٠٠٢م)، ص ٣٢.
- ٩- قضية الأدب الإسلامي، ص ١٢، موقع الألوكة، تاريخ الاطلاع: ٢٠١١/٥/٥م- ١٤٣٢/٦/١هـ.
- ١٠- ينظر: وليد قصاب، الوسطية في منهج
- الأدب الإسلامي، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١، ٢٠١٢م، الإصدار ٥٧).
- ١١- أحمد مطلوب، «أدب إسلامي كيف؟» مجلة العربي الكويتية، العدد ٢٦١، ١٤٠٠هـ.
- ١٢- نقلاً عن عبد القدوس أبو صالح، قضية الأدب الإسلامي، موقع الألوكة، مصدر سابق، ص ١٥.
- ١٣- عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، (جدة: دار المنارة، د.ط، ١٩٨٥م)، ص ٤٢. لم أقف على النص وأفادني به أ. شمس الدين درمش مشكوراً، وتمثل بهذا النص عبد القدوس أبو صالح، وعقب عليه (ص ١٥) بقوله: «وكل ذلك جعل الأدب العالمي يحفل بمظاهر الضياع والقلق، والتمرد والعبث، ويغرق في حمأة الجنس والانحلال، ويهدف إلى الإفساد العقدي والخلقي».
- ١٤- نقل رأي أنور المعداوي: عبد القدوس أبو صالح في مقاله السابق، موقع الألوكة، مصدر سابق، ص ١٥-١٦.
- ١٥- محمد مصطفى هدارة، «الحدائثة والتراث»، من محاضرات مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض، ص ٢. نقلاً عن مقالة د.عبد القدوس أبو صالح، مصدر سابق، ص ١٧.
- ١٦- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، ص ١٤٠.
- ١٧- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ١٢٠.
- ١٨- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول،
- ١٩- أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب، ص ٤٤.
- ٢٠- محمد مصطفى هدارة، محاضرة التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث، ص ٩، من محاضرات رابطة الأدب الإسلامي، مكتب القاهرة. نقلاً عن مقالة عبد القدوس أبو صالح، مصدر سابق، ص ١٩.
- ٢١- محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي أصوله وسماته، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٦م)، ص ٢٠٤.
- ٢٢- عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ص ٧٩.
- ٢٣- شوقي ضيف، العصر الإسلامي، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، ١٩٩٨م)، ص ٦٨، ١٧٦.
- ٢٤- ومن إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية: الجهد الذي قام به د.عبد الباسط بدر، في كتاب بعنوان: مكتبة الأدب الإسلامي، عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، طبعة مكتبة العبيكان الخاصة، وصدرت الطبعة الأولى عن دار البشير في عمان بالأردن عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، واستطاع أن يوثق معلومات النشر عن الكتب والبحوث والأعمال الإبداعية من دواوين وقصص وروايات ومسرحيات، في حدود ١٨٠٠ مرجع، وقدمت الرابطة محاولة تكميلية رقمية للكتب فقط في الأدب الإسلامي، فيما يزيد على ١٢٠٠ كتاب.

# وداعاً

(في رثاء سماحة المفتي العام للمملكة  
العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز آل  
الشيخ رحمه الله)

وعلى الوجوه كآبةً وذبولٌ  
في كل رابيةٍ هناك ذهولٌ  
هذا يقدمُ صورةً ويقولُ  
الموتُ يبدأ ساعةً ويجولُ

القلبُ يحزنُ والدموعُ تسيلُ  
ما زال في العقل الذهولُ وفوقه  
تتراحم الأخبار في أخباره  
وعلى التواصل عبْرَةٌ وعبارةٌ

\*\*\*

لكنه يطوي النجوم أقولُ  
يُغري وَيَرزوي عالمًا ويزولُ  
لكنها عند الرجال تحولُ  
مهما تطاول ظالمٌ وجهولُ

كم للنجوم على الزمان حقيقة  
ولكم ترى في الورد حسن متاعه  
تأبى الجبال على المحال عزيمة  
وإرادة المولى العظيم عزيمة

\*\*\*

وأحبّ من تمنوا إليه عقولُ  
وأحنّ من تمنوا إليه فضولُ  
هذا يقرب في العطا ويعولُ  
وتطلُّ من وجه العظيم فصولُ

فُجِع الأنامُ بموت أكرم عالمٍ  
وأبرّ من وصل القلوب ببعضها  
وتقوم في يده المروءة والندى  
وجبينه يهدي اليقين ويرتقي

\*\*\*

طوبى وطوبى تربةً وغسولُ  
شابت على تلك الخصال كهولُ  
في كل مُعترِك يقوم سؤالُ  
ورحلت الدنيا عليك تقولُ:  
فالله يرفع قدره ويطولُ

يا ذلك الرجل العظيم على الهدى  
ملأت صحائفك الكبار محبةً  
وجرى بعلمك كل قلب ظاهر  
طوبى لخير في السورى ورثته  
هذا الذي ملأ المحبة قلبه



د. سالم بن زريق بن عوض  
السعودية



د. عبدالرزاق حسين  
الأردن

# التناص الموحى في شعر إبراهيم الكوفحي

أعماله الشعرية، وإنّما أعرض لنماذج رأيها تعلق في ميدان النسخ، وأبدأ بالتناص الديني، من خلال نصوصه التي ربطها بكتاب الله العزيز، وما استقاه وترشّفه من حديث رسول الله ﷺ، لأنّقل إلى تناصه مع الشعراء السابقين، ومن ثمّ ما ألمح إليه من الرموز الدينية والتاريخية والأدبية، لأختم بتناص التضاد.

## الاقتباس من القرآن الكريم:

يصرُّ الشاعر في كثير من قصائده أن يبين عن هذا الاتجاه، فهو المتمسك بدينه، المحارب من أجله، والمدافع الشرس عنه في وجه كل حاقد أو جاحد، فهو رجل عارف بالله كما يقول، لا يحمل قلقًا، فدربه واضحة لا لبس فيها، يقول<sup>(١)</sup>:

## جاهزٌ للصُّعودِ أعرفُ دَرْبِي

## لستُ أخشى السُّرى وأَعْرِفُ رَيْبِي

يبدأ الشاعر اقتباسه من القرآن الكريم من خلال دعوتنا لرحلة سماوية، يشعُرنا بأنّ هناك بعض قيّد يقيدّه، فهو على الرغم من البعد عن كل لهو إلا أنه يشعر بشيء من التلبُّس ببعض الذنوب، ويريد من

التناص(\*) ذلك المصطلح المحبّد عند نقاد الشعر المعاصر الذي أطل علينا من قبة نقاد الغرب، والذي أطلق عليه نقادنا القدامى: الاقتباس، أو التضمين، أو المشابهة، والمماثلة، والأخذ، والسرققة الشعرية، كل هذه المصطلحات غيّرت أثوابها، فلبست مصطلحات: التناص، والتعالق، أو النص الموازي، أو التفاعل النصي، أو أسلاف النص، أو النص المتولد.

اطلعت حديثاً على الأعمال الشعرية للدكتور إبراهيم الكوفحي، فجدبتني قدرته الإيحائية في استخدام التناص، ممّا شجعتني أن أجول بقلبي في ميدان تناصه.

وقبل الخوض أقول: إنّ الشاعر المبدع هو ذلك المنسّق الذي يحوّل أزهارًا مبعثرة إلى إضمامة تُفرح القلب، وتُريح العين، أو ذلك الصائغ الماهر الذي يحوّل خردة من الذهب إلى عقدٍ ناطقٍ بجيد حسناء. وذلك لا يكون إلا من خلال قدرة فنية إبداعية، وثقافة معمقة ومحيطة، حتى ينجح في هذا الميدان، فليس التناص مجرد كلمةٍ من هنا، وتعبيرٍ من هناك، ثم يلفُّ كما تَلَفُ الفطيرة.

ولست في هذه المقالة مستقصيًا كل ما جاء في



### إبراهيم الكوفحي

سيدنا نوح عليه السلام تأخذ بمجامع قلب شاعرنا، فهو يتمثله في أحيان كثيرة، وقصائد متعددة، ولكنه في هذه القصيدة، يتتبعها حذو القذة بالقذة، فيبدوها قائلاً<sup>(٣)</sup>:

سلكتم دروباً قلت: عودوا فإنني

أخاف عليكم فهي شرُّ المسالكِ

ضحكتهم طويلاً في غرورٍ وغفلة

وقلتم: خسرت العمر إن لم تشاركِ

ركبتم رؤوساً من هوى وسفاهةٍ

وسرتم بليل عابِسِ الروحِ حالِكِ

نصحتُ فلم تصغوا إليّ تكبُّراً

فماذا لقيتم غير أحوالِ مالكِ

إنَّ هذه المقدمة الدعوية هي حكاية كل نبي مع قومه، ولكنها ألصق بقصة سيدنا نوح عليه السلام، فبعد هذا الإيحاء نجده يكشف عن المماثلة والمشابهة، فهو يدعي هذه المشابهة في قوله<sup>(٤)</sup>:

كأني نوحٌ حين حذرأربنه

فقال سآوي للجبالِ السوامِكِ

وأني جبالي حين يغضبُ ربُّكم

عليكم ويُلقِي أمره للملائكِ

خلال هذه الرحلة أن يتطهر منها، فيقول:

رحلتي رحلة الرجوع إلى الفر

دوس داري التي أضعتُ بذني

حين فارقتها أكلتُ أكْفِي

ندماً ما الذي جرى أين ليّ

كيف صدقتُ حاسدي وعدويّ

كيف صدقتُ منه همة كذبِ

كيف ﴿لَا تَقْرَبَا﴾ نسيتُ صداها

أه من غفلةٍ ومن سوءِ صحبِ

حينما دُفِتْ تلكمُ الشجرة السؤ

داءً فتشئتُ لم أجدهُ قربي

فهذه الرحلة تتبع خطوات سيدنا آدم عليه السلام منذ خلقه الله تعالى، وإغواء إبليس له بالأكل من الشجرة التي نهي عن الاقتراب منها، وأكله منها، ثم توبته كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ\* فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ\* فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ٣٥-٣٧].

وجاهزته للصعود، تجعله مستعداً لركوب الصعاب، وتحدي المخاطر من أجل جنة الخلد، ويعبر عن هذه الصعاب، بأنه سيسير فوق جهنم ليصل إلى الجنة، كما في قوله<sup>(٥)</sup>:

سأسير فوق جهنم

من أجل جنات الخلود

وهو لا يرضى أن يبلغ الجنان وحيداً، بل يسعى بكل جهد لأن يصطحب معه ما يقدر عليه من الناس، فهو يتحوّل لداعية، ويحاول جاهداً أن يستميلهم، ويرشدهم إلى سلوك الصراط المستقيم، ولكن هؤلاء الذين يدعوهم يجعلون دعوته دبر أذانهم، وعندما أحس بعدم نجاح دعوته، أعلن النجاة بنفسه، في قصيدة بعنوان «نجوت بنفسي». وهذه القصيدة تستدعي قصة سيدنا نوح عليه السلام، وتكاد قصة



وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٦٦-٣٦٩﴾ [هود:٣٦٦-٣٦٩].  
وهو هنا في قصيدته (وحيداً ستمضي) يصيبه  
اليأس من دعوته للإصلاح، فيبني سفينته الخاصة  
التي لا نراه يحمل فيها معه أحداً؛ بخلاف سفينة نوح  
عليه السلام، يقول<sup>(٦)</sup>:

إلى أين تمضي لم تُعدَّ سفينةً  
ولم تحتقب زادا ولا الريح تسعفُ  
وحيداً ستمضي والطريق مخوفةٌ  
وبحرك وحشٍّ جائع ليس يرأفُ  
تريث تريث واصنع الفلك واثقاً

ولا تبتئس من هزء من ليس يعرفُ  
سيخذلك الأهلون والصحبُ كلهم  
ومن قبلُ كم قالوا: نبيُّ مُخْرِف!

ومن قصة سيدنا موسى يمد الشاعر حبال شعره  
لتلتقط عصا سيدنا موسى وهو يضرب بها البحر بأمر  
ربه عز وجل، يقول<sup>(٧)</sup>:

مَنْ سَيْشِقُ الْبَحْرَ حِينَ يَمُدُّ عَصَاهُ  
ويقول معي اللهُ  
وَمَنْ الْبَحْرُ الْجَبَارُ  
سيعصره عصرًا  
يتركه بعماهُ  
يصرخُ

إِنِّي أَغْرَقُ أَغْرَقُ  
تلعنه لا تسأمُ دنياه وأخراهُ

إن من يقرأ هذا الشعر لا يحتاج إلى أن يخمن قصد  
الشاعر، فالشعر هذا هو استنشاق للآيات الكريمة  
في قصة شق البحر لسيدنا موسى وغرق فرعون.  
ولعلَّ إشارته التناصبية مع قصة حلم أحد  
السجينين مع سيدنا يوسف عليه السلام، يعطينا  
لمحة وامضة في قوله<sup>(٨)</sup>:

وَأَحْلَامُ قَلْبٍ تَأْكُلُ الطَّيْرُ خُبْرَهُ  
إذا ما غفا إنَّ الظلامَ رهيبُ



وهذا التناص الإيحائي لا يباشرنا بذكر قصة نوح  
مع قومه، ولكنه يذكر أقوالاً وأفعالاً توحى بذلك،  
فخوفه على قومه، تُوجِّهنا إلى خوف نوح على قومه.  
والضحك والسخرية، يلفت النظر إلى سخرية المملأ  
الذين كفروا من قوم نوح وهو يصنع الفلك، وكذلك  
لفظ نصحت، حيث ينصح سيدنا نوح عليه السلام  
قومه، ولكن لا ينفعهم نصحه. إذن نرى من خلال هذا  
التناص الموحى وجه المشابهة مع قصة سيدنا نوح، بل  
نصل إلى هذه النتيجة، ونقول: كأنه يسير مسيرة نوح  
عليه السلام ويتشبهه بفعله.

فقصة سيدنا نوح تبدأ بدعوته قومه، ولكن المملأ  
الذين كفروا يسخرون منه، ويكفرون بدعوته، كما  
سخروا من الشاعر في قوله<sup>(٩)</sup>:

فليسخروا مني علانيةً

حيناً غداً سأريهم سُخْرِي

وهذا بالضبط هو ما تحدَّثنا به قصة سيدنا نوح  
عليه السلام في سورة الأعراف وهود وغيرهما، ففي  
سورة هود عندما أمر بصنع السفينة، قال تعالى:  
﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ  
ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَّكَ  
بِأَعْيُنِنَا ووَحِينَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ  
مُغْرَقُونَ﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلَّكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ -  
سَخَرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا  
تَسَخَرُونَ﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ



الكريم، في قصصه، وعظاته، وحكمه، وأمثاله، وأوامره، ونواهيه. وأنهي القول في الاقتباس من كتاب الله عز وجل، باتجاه الشاعر لالتقاط بعض ألفاظ آيات من القرآن الكريم ليوشي بها شعره في شكل من التناص الموحى، كقوله: صُمُّ وَعَيْي، وبصري حديد، وذات الوقود، وعجل اليهود، وكأس دهاق، والنعيم المقيم، وما عملته أيدينا، والماء الصديد، والعاديات، والموريات، والغاوون. وهي ثروة لفظية قرآنية يستعيرها الشاعر للتعبير عن فكرة مشابهة للآية التي تضمنت هذه العبارة.

### الاقتباس الموحى من الحديث الشريف:

كما وجدنا الشاعر تتعالق نصوصه مع عدد ليس باليسير مع النص القرآني، فهو كذلك كان مع الحديث النبوي الشريف.

وحديث الغرقد الذي يختبئ وراءه اليهود، يلتقطه الشاعر؛ ليزف لنا الأمل بعودة الحق، فغدا.. -وغداً لناظره قريب- ينادي الشجر والحجر كما جاء في الحديث الشريف<sup>(١٢)</sup>: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

ويأخذ صفة المنافق من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء ١٤٢]، فهو هنا يبتعد عن الإيحاء ليأتي بالصفات كما جاء في كتاب الله العزيز، يقول<sup>(١٣)</sup>:

إذا قيل: أذِنُ قامِ يُصَلِّي

مع الناسٍ لكن يقوم كسولا

له ألفُ وجهٍ يراني العبادَ

ولا يذكر الله إلا قليلا

وفي «القصيدة المكية»<sup>(١٤)</sup> يكاد الشاعر يأتي بأوصاف مكة من خلال ما جاء في الكتاب العزيز، فمكة أم القرى، وحرَّم الله، وتظل مثابة للناس وأمناً، وتُجبي إليها ثمرات الأرض.

والشاعر في تناصه الإيحائي يعتمد ثقافة القارئ، لذلك نجد إشارات الوامضة، دون المضي في استيفاء النص السابق، كقوله<sup>(١٥)</sup>:

أَيْغَابِي إِيَّيْ أَعْفُ وَأَسْتَجِي

فقد هدَّبتني سورة الحجراتِ

فالإشارة لسورة الحجرات تحتاج من قارئ شعره أن يعرف تلك الآداب التي حفلت بها هذه السورة، ومن ذلك النبي عن الغيبة، وإشارات إلى صبر أيوب، وحب يعقوب ليوسف عليهما السلام، وفرعون وما جرَّ عليه كفره وطغيانه، فهو في كل ذلك يتمثل القرآن



شجر الغرقد

لضرب كل نهضة عربية أو إسلامية إلا دليل على هذا التداي، وأيضاً دليل على هذا الغناء، يقول شاعرنا من قصيدة بعنوان «غزة تحت القصف»<sup>(١٧)</sup>:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مَاذَا دَهَاكُمْ

كُلُّ يَوْمٍ بَاغٍ عَلَيْكُمْ يَغْيِرُ

أَلْفَ مَلْيُونَ لَوْ نَفَخْتُمْ لِرَاحَتِ

قَلْعَةِ الْبَغْيِ كَالْبَهَاءِ تَطْيِرُ

أَلْفَ مَلْيُونَ إِذْ تُعَدُّونَ لَكُنْ

كَغَنَاءٍ فَمَا لَكُمْ تَأْثِيرُ

فهو يضمّن ما في هذا الحديث من فكرة الكثرة التي لا تُغني غَنَاءً، كما أنه يستعير كلمة جمال الدين الأفغاني في مخاطبته أهل الهند من المسلمين وقت الاحتلال البريطاني: «لو كنتم ذباباً وطننتم في أذن بريطانيا لخرقتموها».

وفي اقتباسه من الحديث الشريف نؤكد على أن الشواهد لا تزيدنا إلا يقيناً باطلاع واسع للشاعر، وتمثل هذه الأحاديث، وتضمين أفكارها، أو صورها، وألفاظها ليدل على ثقافة حديثة معمقة.

فنلحظ فرار الغرقد، والمقصود الذي يختبئ خلفه، فشجر الغرقد الذي يحتمي به اليهود عندما يقاتلهم المسلمون لا يفر هو، بل يفر من التجأ إليه، يقول الشاعر<sup>(١٣)</sup>:

غَدَاً

يَفِرُّ الْغَرْقَدُ الْغَدَاؤَ

وَيَسْقُطُ الْجَدَاؤَ

وَيَرْجِعُ الْأَبْرَأَ

تَبْسِي يَا قَدَسْنَا

وهو في هجومه على التقليد للغرب، ودعوته قومه للبعد عن اتباع سنن لا تتفق والإسلام، يستوحى الحديث المستشرف للمستقبل في قول الرسول ﷺ<sup>(١٤)</sup>: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟».

ففي قصيدته «جحر سَعْلَةَ»، يقول محذراً، ممّا يراه من شباب الإسلام في تقاليدهم الأزياء والأفكار والعادات المبتذلة، فيحذرهم من سلوك هذا الدرب الشائك، ومن دخوله<sup>(١٥)</sup>:

قَفُوا، وَلَا تَدْخُلُوا يَا قَوْمَ خَلْفَهُمْ

إِنَّ الَّذِي دَخَلُوهُ جُحْرٌ سَعْلَةٌ

أَظْهَرُ سَمْعُوا لَكِنِّهِمْ دَخَلُوا

مَاذَا جَرَى! صَوْتُ أَهَاتٍ وَوِيَلَاتٍ

ونجد ثروة استيحائية من الحديث الشريف في صوغ فكرته التي يبني عليها تصوره، فالمسلمون على كثرتهم غناء كما جاء في الحديث الشريف في قوله ﷺ<sup>(١٦)</sup>:

«يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قَلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غَنَاءً كَغَنَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ. قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

وهو يرى هذا التداي، فلم تبق أمة من الغرب أو الشرق إلا وهي تبرز في العدا للدين الإسلام والمسلمين، فما احتلال فلسطين، وأفغانستان والعراق، والتأمير



يقول أحد الشعراء<sup>(٢١)</sup>:

أَوْحَشَ النَّاسُ جَانِيَّ فَمَا آ

نُسُ إِلَّا بُوْحُدْتِي وَانْفِرَادِي

وإذا كان شاعرنا قد شقي بصحبة البشر، فما عاد لديه القدرة على التحمل، يقول<sup>(٢٢)</sup>:

مَا عَدْتُ أَحْتَمَلُ الْبِقَاءَ هُنَا

إِنِّي شَقِيْتُ بِصَحْبَةِ الْبَشَرِ

صَاحِبْتُ أَكْثَرَهُمْ فَمَا أُنْسْتُ

رُوحِي بِهِمْ فِي الْحَلِّ وَالسَّفْرِ

وهو يكرر هذا المعنى في عدد من قصائده، ويبدو أنَّ اللدغات الكاوية تتوالى عليه؛ مما جعله يتناول هذا الموضوع موضوع الغدر وخيانة الأصحاب مرة تلو مرة، يقول<sup>(٢٣)</sup>:

لَا تَأْمِنِ النَّاسُ وَكُنْ مِنْهُمْ

يَا صَاحِ طَوْلَ الدَّهْرِ فِي شَكِّ

وفي قصيدته «الجنون العنيف» نجد نفساً شفافاً رقيقة، مهمومة بأمور الضعفاء والفقراء، يحاول قبله أن يتسع لهذه الطبقات المسحوقة، وهو يألم لما يصيب الناس جميعاً، فزاره يقول<sup>(٢٤)</sup>:

أَشْبَعُ وَالنَّاسُ حَوْلِي تَمُوتُ

مِنَ الْجُوعِ إِنِّي إِذْنُ لَلنَّيْمِ

وَلَوْ أَنَّ كَلَّ الدَّنَا فِي يَدِي

لَجُدْتُ بِهَا فَالزَّمَانُ غَشُومٌ

## التناص مع الشعر والشعراء:

ينقل لنا الشاعر تجربته المرة مع الناس، وهو يتفق في هذه التجربة مع كثير من الشعراء القدامى الذين لم يروا إلا الجانب السيئ من البشر، وهم يحكمون عليهم من خلال تجاربهم الخاصة، فكان أول من وصف الناس بالذئاب هو الملك الضليل امرؤ القيس، حيث قال<sup>(١٨)</sup>:

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ

وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

عَصَافِيرُ وَذُبَّانٌ وَدُودٌ

وَأَجْرًا مِنْ مُجَلِّحَةِ الذِّئَابِ

فالناس عند حاجاتهم هم كما في هذه الصورة الممعنة في التصوير الحسي، أسراب من العصفير عند التقاط الحب، وذباب مهالك على القاذورات، وذئاب جائعة، مصممة على الافتراس، هذا هو حال الناس عند حاجاتهم وأطعامهم.

ونسمع شكوى الأمير الفارس أبي فراس الحمداني، وهو يعلن تدمره من هؤلاء البشر الذين تحوّل أكثرهم إلى ذئاب بشرية، لا فرق بينها وبين الذئاب الوحشية سوى اللباس، يقول<sup>(١٩)</sup>:

بِمَنْ يَثِقُ الْإِنْسَانُ فِيمَا يَنْوِبُهُ

وَمَنْ أَيْنَ لِلْحَرِّ الْكَرِيمِ صَحَابُ

وَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَّا أَقْلَهُمْ

ذَنَابًا عَلَى أَجْسَادِهِنَّ ثِيَابُ

والشاعر الكوفي يحذرنا من التجربة، فلن يستجيز العقل تجربة السم، ولذلك ستقول معه، هذا ليس بإنسان كما قال<sup>(٢٠)</sup>:

غَدَاً تَقُولُ إِذَا جَرَيْتَ وَاحِدَهُمْ

تَاللَّهِ تَاللَّهِ مَا هَذَا بِنَاسَانِ

فَأَكْثَرُ النَّاسِ فِي ذَا الْعَصْرِ قَدْ مُسَخُوا

فَلَا تَرَى غَيْرَ حَيَّاتٍ وَحَيْتَانِ

وغير أضبع ليل لا أمان لها

إذا سریت وأغوالٍ وذؤبان



وكان هذا البيت من أسباب اتهام المتنبي بادعاء النبوة، ويأتي الكوفي ليضفي على نفسه تلك الصفة، صفة الغريب، إذ ليس الغريب فقط الذي يتغرب عن أهله ووطنه، بل قد يكون غريبًا بين أهله وخلانه، يقول<sup>(٣٠)</sup>:

غدوتُ غريبًا في المدائن والقرى

ولا غرو إن الحق صار غريبًا

وإذا كان المتنبي كصالح في ثمود، فالكوفي كنوح في قومه، والمتنبي الشاهد الحاضر، الذي شغل الناس، وأشعل جذوة الشعر في أشعار العديد من الشعراء، يومي إلى شاعرنا بأشعاره المشهودة، كقوله<sup>(٣١)</sup>:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا

بأنني خير من تسعى به قدمٌ

فيأخذ شاعرنا بداية البيت، ويحوله إلى أمر آخر، فإذا كان بيت المتنبي في الفخر بالنفس، فإن معنى الكوفي يبين عن صفات رجل واسع الصدر، محب، كاره لبعض ما يتصف به بعض الناس من صفات ذميمة، يقول<sup>(٣٢)</sup>:

سيعلمُ الجمعُ أنّي لستُ أكرههُمُ

وإنّما أكرهُ الإذهانَ والكذبًا

وهو في قيامه بأداء مناسك الحج، يريد أن يقول لنا: إنّ هذه المشاعر خالصة لله عز وجل لا يشوبها

إلى أن يقول:

سأعطي وأعطي أُقسِمُ روعي

ليحيافني جائعٌ وعديمٌ

ويكرر ذلك في قوله<sup>(٣٥)</sup>:

ليتني أملك الملايين كي أعطي

الملايين لا أرى مسكينًا

إنّ أفسى ما يؤلم القلب ميني

أن ترى العين جائعًا أو حزينًا

فينتصب أمامنا قول عروة بن الورد إمام الصعاليك، وأبو الفقراء؛ ذلك الذي كان يغزو ويقطع الطرق لإطعام فقراء قبيلته من بني عبس، يقول<sup>(٣٦)</sup>:

إني امرؤ عافي إنائي شركةٌ

وأنت امرؤ عافي إنائك واحدٌ

أتهزأ ميني أن سمّنت وأن ترى

بوجهي شحوب الحقّ والحقّ جاهدٌ

أقسِمُ جسّمي في جُسومِ كثيرةٍ

وأحسوقُ فراح الماء والماء باردٌ

ومن خلال رؤيته لبعض شعراء الحداثة، وبعض شعرهم الذي لا يرقى إلى أن يكون شعرًا، فهو يهاجمهم، ويهاجم شعرهم الذي يرى فيه ضعف حيلتهم في رصف الشعر، يقول<sup>(٣٧)</sup>:

لا تبخلن فنحن في زمن الحداثة والجديد

نتجرع الشعر الحديث تجرع الماء الصديد

وكاننا أهل الجحيم فليس عنه من مَحيد

ويقول من أخرى شارحًا مفهومهم للشعر<sup>(٣٨)</sup>:

وكان معنى الشعر في قاموسهم

صرخات مخمور وقول سفيه

ومع فهمهم السقيم للشعر، وما ينتجونه من شعر هذه صفاته، إلا أنّهم يهاجمون القديم، ومع ذلك يحاولون تقليد المتنبي، ونراه هو أيضًا يقتضي أثر المتنبي في استدعائه قول المتنبي<sup>(٣٩)</sup>:

أنا في أمة تداركها الله غريبٌ كصالحٍ في ثمود



وأراه قد ألمَّ بقول عنتره، في قوله<sup>(٣٦)</sup>:

وَحْدِي أَنَا وَهُمْ أُلُوفٌ كَيْفَ مِثْلِي يُقْدِمُ  
إِنَّ الشَّجَاعَ هُوَ الَّذِي عِنْدَ الضَّرُورَةِ يُحْجِمُ

فعنتره يرى أن الشجاعة صبر ساعة، «وقيل لعنتره<sup>(٣٧)</sup>: أنت أشجع العرب وأشدّها؟! قال: لا. قيل له: فبم شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأحجم إذا رأيت الأحجام حزماً، ولا أدخل موضعاً لا أرى فيه مخرجاً لي، وكنت أعتد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأنثني عليه فأقتله»، وشعره يبين عن ذلك.

## التنصاف مع الرموز الدينية والتاريخية والأدبية:

يصر شاعرنا على أن يوجّه أنظارنا لأفعال مجيدة، أو أقوال مشهورة لرموز دينية وتاريخية وأدبية، كإلماحة إلى محاكمة عمرو بن العاص عندما شكاه المصري لعمر بن الخطاب؛ رضي الله عنهما، فهذه الحادثة المشهورة التي قيلت فيها تلك العبارة المشهورة، والتي لا يزال فم الزمان يشدو بها، ألا وهي قول الفاروق رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهم أحراراً؟!» اضرب ابن الأكرميين.

فينقل الشاعر لنا هذه الحادثة وتلك العبارة بقوله<sup>(٣٨)</sup>:

سَأضْرِبُ ابْنَ الْأَكْرَمِيِّينَ

لأنَّهُ ظَلَمُوا

متى استعبدتم الناس

يا عمرو؟!!

واعجابه بشخصية الصحابي بلال بن رباح رضي الله عنه، يكررها في إحياءاته عنه بصبره، وتمسكه بدينه، بل يجعله رمزاً لشعيرة الأذان، كما في قوله<sup>(٣٩)</sup>:

لَا بُحَّ صَوْتِكَ يَا بِلَالُ فَإِنَّمَا

هو منبعُ التقوى وذكر الله

لله صوتك كم تشهد مشرك

لما علا وأفاق ساه لاه



قول أو عمل غير التعبد لله وذكره جل وعلا، ويرد على الشاعر حبيب الزبدي الذي دعاه لقول الغزل، حين أرسل له مقطعة يقول منها<sup>(٣٣)</sup>:

إِنْ طُفَّتْ بِالْبَيْتِ أَنْشِدْ أَهْلَهُ غَزْلاً

يَجِلُّ لِلطَّائِفِينَ الْوَجْدُ وَالغَزْلُ

فجاء الرد معارضاً، إذ يرى أن المكان والزمان لا يصلحان لهذا، فيشير إشارة إلى غيلان، والمقصود هو ذو الرمة بحبه وتغزله بي، وعمر بن أبي ربيعة وغزله بالحاجات والمعتمرات، فيقول<sup>(٣٤)</sup>:

فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ لَدَاتٌ مَعْتَقَةٌ

لِلَّهِ مِنْ أَجْلِهَا الْعُبَادُ كَمْ بَدَلُوا

هَلُمَّ أَنْشِدْ غَيْلَانَ أَوْ عَمْرًا

فَالطَّائِفُونَ بِحَبِّ اللَّهِ قَدْ شَغَلُوا

أَذَانَهُمْ عَنِ سَمَاعِ الشَّعْرِ فِي صَمِّ

فِيئْتَهُمْ فِي مَنَاجَاةٍ بِهَا ذُهِلُوا

لَوْ ذُقْتَ بَعْضَ الَّذِي ذَاقَتْ قُلُوبُهُمْ

لَجِئْتَ مَعْتَذِرًا وَالِدَمُّعُ مِنْهُمْ

وكأنني به أيضاً يتنصاف مع مطلع لامية ابن الوردي

في قوله<sup>(٣٥)</sup>:

اعْتَزَلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْغَزْلِ

وَقُلِ الْفَصْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ



معين لا ينضب من المعاني العالية، والحكايات المشابهة التي تبقى على الزمان يُتمثل بها، فيمر على بخل مادِرٍ، وطمع أشعبٍ، وعيِّ باقِلٍ، وصفاء عيني زرقاء اليمامة، وسَجاحٍ، والكُسعي وندمه، وغير ذلك ممَّا لا يتسع المجال لشواهده، والبلاغة الإيجاز كما قيل.

### تناص التضاد:

من التناص الموحى هو تضاد الفكرة، فهو يأتي بنص سابق ليغير ملامحه، ويلبسه حلة جديدة مغايرة، ونجد هذا في شعر الكوفعي غير يسير، من ذلك، قوله<sup>(٤٣)</sup>:

أَعْلَمُهُ الرِّمَایَةَ كُلَّ یَوْمٍ

فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ حَمَانِي

فهو يضمن بيت الشاعر معن بن أوس المزني، الذي يقول فيه<sup>(٤٤)</sup>:

أَعْلَمُهُ الرِّمَایَةَ كُلَّ یَوْمٍ

فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

ولكنه فقط يغير المعنى من خلال تغيير آخر كلمة في النص، فيتحول المعنى السلبي إلى معنى إيجابي، فالحماية غير الرماية.

وإذا كان الحديث الشريف يدعو للتماسك والتضافر بالتنبيه على أن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية، كما جاء في قول النبي ﷺ (٤٥): «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ لَا يُؤَدَّنُ وَلَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنْ الذَّئْبُ يَأْكُلُ الْقَاصِيَةَ.»

وهو هنا لا يناقض، ولكنها مفارقة المعنى، فالحديث يحث على الجماعة، والشاعر يرى البعد عن شرورها، والاعتزال عن القطيع المخالف، يقول<sup>(٤٦)</sup>:

إِذَا تَصَامَمَ عَنْكَ الْقَطِيعُ

فَشُدَّ وَكُنْ شَاتَهُ الْقَاصِيَةَ



والشاعر ينقل لنا قصة إسلام بلال، وما واجهه من عذاب لا يطاق، وهو يردد عبارة: (أَحَدٌ أَحَدٌ) في قصيدته التي عنوانها بـ «بلال» التي يقول منها<sup>(٤٧)</sup>:

أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ

أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ

رغم القيود الداميات \*\*\* رغم كيد من جحد

رغم السياط المحرقات \*\*\* كالحصى بلا عدد

أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ

هذا هتاف الكون من \*\*\* أعماقه لحن الأبد

ويرى في وجه أبيه وجه حاتم الطائي، فيقول<sup>(٤٨)</sup>:

حَوَالَيْكَ لَمْ نُبْصِرْ سِوَى وَجْهِ حَاتِمٍ

يَهْشُ لِمَنْ يَلْقَى نَدَى وَيُضِيفُ

وفي لقطة طريفة يستعير قول أبي حنيفة عندما دخل عليه رجل ذو هيبة، فقبض رجله، فسأله ذلك الرجل سؤالاً دلَّ على جهله: هل دم البعوض يفسد الوضوء؟ فقال أبو حنيفة: «أن لأبي حنيفة أن يمدَّ رجله..! فتمتدُّ الفكرة، وتنسل إلى شعر الكوفعي، فيقول<sup>(٤٩)</sup>:

مَدَدْتُ رَجْلِي لَمْ أَعْبَأُ بِطَلْعَتِهِ

وَلَا بِهَيْبَتِهِ إِذْ كَانَ دَجَّالًا

وهو في تناصه مع الرموز الدينية، والشخصيات التاريخية، والأدبية، يعرِّج على التراث المثلي، فالأمثال



ونجد أيضاً ذلك في قول الشاعر<sup>(٤٧)</sup>:  
**ما نمت إلا وكان القلب منتبهاً**  
**قد يلدغ الجحرم مرات ومرات**  
 ولكن المؤمن الكيس الفطن لا يلدغ من الجحر  
 نفسه مرتين، كما جاء في قوله ﷺ<sup>(٤٨)</sup>: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ  
 مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ».  
 وأخيراً، فإن أعمال الكوفي الشعرية تظهر لنا  
 شاعراً اکتز من تراثنا الثقافي ما أهله لأن يتمثله،  
 لتأتي ثمرات هذا التمثل ناضجة، وكاملة الحلاوة.

### هوامش البحث

- (\*) تم استبدال مصطلح (الاعتباس) بمصطلح (التناصر)، فيما يتعلق بالقرآن الكريم والحديث الشريف خاصة؛ وذلك كما استعمله النقاد والبلاغيون قديماً. [التحريز].
- ١- الأعمال الشعرية، للدكتور إبراهيم الكوفي، دار الإسماعيل للنشر والتوزيع، ط ١، عمان ٢٠١٩م، ص ١٠٤.
- ٢- الأعمال نفسها، ص ٦١.
- ٣- الأعمال، نفسها ص ١٦-١٧.
- ٤- السابق، ص ١٧.
- ٥- نفسه ص ٤١.
- ٦- الأعمال الشعرية ص ٤٤.
- ٧- السابق، ص ٥٧.
- ٨- الأعمال الشعرية، ص ٣٣٧.
- ٩- الأعمال نفسها، ص ٢٣٦.
- ١٠- انظر الأعمال نفسها، ص ٢٩٦-٢٩٨.
- ١١- الأعمال نفسها، ص ٢٤٢.
- ١٢- صحيح مسلم، لأبي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة (وضوئها): دار إحياء التراث العربي، بيروت)، ٢٢٣٩/٤، رقم ٢٩٢٢.
- ١٣- الأعمال الشعرية، ص ٤٥١.
- ١٤- صحيح البخاري - لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ، ٤/١٦٩، رقم ٣٤٥٦.
- ١٥- الأعمال الشعرية، ص ٢٧٨.
- ١٦- مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. ج ٣٧، ص ٨٢، رقم ٢٢٣٩٧.
- ١٧- الأعمال الشعرية، ص ٧٩-٨٠.
- ١٨- ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٧٨.
- ١٩- التذكرة الحمدونية، لمحمد بن الحسن بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ٢٢/٣.
- ٢٠- الأعمال الشعرية، ص ٣٦.
- ٢١- التذكرة الحمدونية، ص ١٠٠/٨.
- ٢٢- الأعمال الشعرية، ص ١٠٠.
- ٢٣- الأعمال الشعرية، ص ٤٥٥.
- ٢٤- الأعمال الشعرية، ص ٩٤.
- ٢٥- الأعمال نفسها، ص ٢٨٠.
- ٢٦- التذكرة الحمدونية، ص ٢٨٠/٢.
- ٢٧- الأعمال الشعرية، ص ٢١١.
- ٢٨- الأعمال نفسها، ص ٢٧٥.
- ٢٩- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، لعبد الرحمن البرقوقي، مكتبة المتنبي، الدمام، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، ص ١٩.
- ٣٠- الأعمال الشعرية، ص ١٨.
- ٣١- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي، ق ٢، ج ٤، ص ١١٠.
- ٣٢- الأعمال الشعرية، ص ٢٣١.
- ٣٣- الأعمال الشعرية، ص ٣٣٤.
- ٣٤- الأعمال الشعرية، ص ٣٣٤.
- ٣٥- ديوان ابن السودي، تحقيق الدكتور عبد الحميد هندواي، دار الأفق العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٢٧٧.
- ٣٦- الأعمال الشعرية ص ٢٥٢.
- ٣٧- التذكرة الحمدونية، ص ٤٥٢/٢.
- ٣٨- الأعمال الشعرية، ص ٢٨٢.
- ٣٩- الأعمال الشعرية، ص ٢٦٥.
- ٤٠- الأعمال نفسها، ص ٧١-٧٢.
- ٤١- الأعمال نفسها، ص ١٥٥.
- ٤٢- الأعمال نفسها، ص ٢٣٢.
- ٤٣- الأعمال الشعرية، ص ٤٠٦.
- ٤٤- البيان والتبيين، لعمر بن بحر، أبي عثمان، بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ، ١٥٧/٣.
- ٤٥- مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٢، رقم ١٢٧١٠.
- ٤٦- الأعمال الشعرية، ص ٤٦.
- ٤٧- الأعمال الشعرية، ص ٢٤٣.
- ٤٨- صحيح مسلم، ٢٢٩٥/٤، رقم ٢٩٩٨.

## صنو المكارم

ستذكرني وقد أفردت يوماً  
 ستذكرني صدق نصحي واشتغالي  
 بذلت لك المودة في صفاء  
 وتعرض إن فتحت لك اتصالاً  
 أيا صنو المكارم في خيال  
 وقد ذهب البنون مع البنات  
 بحالك في الحضور وفي الشنات  
 وما قصرت في بذل العظايت  
 وتنسى أنني بالخيراتي  
 شغلت عن الجواهر بالفتات



عبد العزيز بن صالح العسكرو  
 السعودية



# مشاعل على الطريق



عثمان قدري مكناسي  
سورية

الذي سيعيش إلى ما بعد المعركة؟ من الشهيد منا؟ أين الجبان؟ ومن هو الرجل؟! ثم تأوهت: إن غداً لناظره قريب! قفز «علي أبو حلاوة» فجأة إلى كرم التين القريب، فصحت به: احذر الألغام يا علي! قال: يا سيدي.. فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون!. قلت: لا أريد أن تموت رخيصاً.. أمرك بالعودة. فعاد أدراجه، وهو يضحك، ومعه قليل من التين، وقال: بالله عليك يا سيدي! كل واحدة، إنه لذيذ، ولعله آخر ما أكله في الدنيا. قلت مازحاً: عمر الشقي بقي! الأجل بيد الله يا علي. قال: إني أشم رائحة الجنة من هذه الثمرة، ففيها نشوة عجيبة!.

كانت مهمة وحدتي في صبيحة يوم المعركة مراقبة تحركات العدو، والتأهب الكامل لصد أي هجوم إسرائيلي مضاد من الممكن أن يقوموا به.. تمركزنا في «رويسة القندول» أقرب نقطة إلى العدو الذي كان مرابطاً على «رويسة الحمراء»، وهما مرتفعان، الأول في الشرق، والثاني في الغرب، ويبعد أحدهما عن الآخر أكثر من ألف متر تقريباً. كان النهار مشرقاً، والسماء صافية إلا من بعض الغيوم الصغيرة المنتشرة هنا وهناك.. الجنود مستعدون، والأسلحة المضادة للدروع في مكانها المرسوم متجهة إلى مكان الخطر المتوقع، والجنود بعضهم يراقب، وبعضهم يأكل، والآخر يتحادثون.. وأنا جالس بالقرب منهم أنظر إليهم مشفقاً من المصير المجهول الذي سنعيشه بعد ساعات، أقلب طرفي بينهم وأحدث نفسي: من



في قسماته الشجاعة والمروءة، وكنا نسميه: البلدوزر! لنشاطه وقدرته الفائقة في صنع الحُفَر والملاجئ، ولا أبالغ إن قلت: إنه يكافئ في عمله ثمانية من زملائه.

انطلق صوت المؤذن في قرية «جَبَّاتَا الخشب» القريبة منّا، فأنتهى الحديث، وقمنا إلى الضوء من جدول ماء ينساب من أحد الشقوق الصخرية، وصلينا الظهر، ثم عُجْتُ على الجنود أتفقدهم وأرفع من معنوياتهم، ولم يكونوا بحاجة إلى ذلك، وأفتش عن الجاهزية القتالية، ثم أطلتُ من الخندق على استحكامات العدو القريبة والبعيدة، وسبحت عيناى في السهل المنبسط أمامي إلى الجنوب، ثم إلى «تلّ الضهور» في الجنوب الشرقي، حيث القيادة العامة للواء... كان الهدوء يسيطر على الوجود.

- سيدي يريدونك على الهاتف.

- نعم.. الساعة الآن الثانية إلا عشر دقائق

....

- حاضر! نحن جاهزون، يقظون.. مع السلامة.

- ووضعتُ السماعة، وناديت الجنود: تبدأ قواتنا هجومها في تمام الثانية.

- قال الجميع: بسم الله.. الله أكبر!

- قال حامل اللاسلكي عبد الله الخطيب: ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير. آمين.. آمين

انقلبت الأرض براكين وحُمَمًا، فالطائرات تقذف شواظها فوقهم، يساعدها في ذلك مختلف الأسلحة الثقيلة من مدافع طويلة المدى، وهاوناتٍ، ودبابات، والنار تلتهب في كل مكان، والدخان يملأ الساحة.. وولى الهدوء والسكون، فكنتُ أبذل جهدي لإيصال صوتي للجنود.

وظهرت دباباتٌ ثلاث معاديات في خندق العدو المنبسط أمامنا..

قبل عشرين يوماً جاء دوره في الإجازة، وكان مشتاقاً إلى أهله في الحسكة.. ناديته يومذاك ليسافر إليهم، فرجاني أن أخره إلى عيد الفطر. قلت: إن العيد بعيد.. بعد أربعين يوماً. قال: أنا راضٍ.. وسافر من يليه إلى أهله. وبعد عشرة أيام قلت له: أما زلت عند رغبتك أم تسافر؟

قال: بل أريد قضاء العيد بين أهلي.. وسافر جندياً غيره.

وبقي للعيد عشرون يوماً، ولم نكن في مواقعنا الخلفية، إنما على الحدود.. أقرب ما نكون إلى يهود. قال إبراهيم: لست مشتاقاً إلى أولادي الآن، فقد جئت أمس الأول، وكانوا بخير وعافية، وأمهم ترعاهم بحنان الأم، وقسوة الأب!.

كان إبراهيم أكبر الجنود عمراً، قد تجاوز الخامسة والثلاثين.. مات أبوه وهو صغير، فكفله أحد تجار الغنم من أصدقاء أبيه، فرباه ثم زوجه عندما شب، ورزق بأربعة أولاد، ثم جاء الخامس قبل شهرين، لم يؤد الخدمة العسكرية إلا عندما بلغ ابنه السابعة من عمره، وأراد إدخاله المدرسة، ولكن كيف يدخل المدرسة وأبوه وهو وإخوته ليس لهم قيد في السجل المدني؟! واضطّر أبوه أن يسجل أسرته في عداد الأحياء في سجلات الأحوال المدنية، وذهب الولد إلى المدرسة، والتحق أبوه في الجيش. ومنذ عشرة أيام أنهى إبراهيم خدمته الإلزامية، لكنهم لم يسرحوه من الجيش لأن حرب تشرين على الأبواب.

رد حمدان: ولكنني مشتاق إلى ولدي الصغير، فقد تزوجت منذ سنتين، ورزقني الله، فهو عصفور البيت، وبهجة الحياة.

قلت: ستراه عما قريب إن شاء الله.

كان حمدان قوياً كرفيقه إلا أنه أجلد منهما وأصبر، مفتول الساعدين، مربوع القامة، تلمح



قرية جباتا

وطار الثالث كأنه بطل سباق.  
 أقسم شاكر ليسدّن ضربة قاسية إلى الثالثة،  
 ولن يضيع الصاروخ الثالث أبداً.  
 بسم الله!.. بُم!.. وقفز الصاروخ كأنه حبيب يهُب  
 إلى لقاء حبيب طال غيابه.  
 ولعل الثالثة كانت مشغولة بأهداف جانبية،  
 فلم تُعر الصاروخ اهتماماً، فنالت جزءاً إهمالها،  
 وتطايرت شظاياها في كل اتجاه، وصفق  
 الحاضرون، وكأنهم في مهرجان سينمائي ليس غير.  
 - رن جرس الهاتف: نعم نعم.  
 - الله يعطيكم العافية.  
 - الله يعافيك.  
 - تجهزوا للتحرك.  
 - إلى أين؟!  
 - إلى القرية، نلحق بالركب المهاجم..  
 - حاضر.

كان جبل الشيخ يطل علينا من عليائه هازئاً بمن  
 حوله، يقول: ما تزالون أيها البشر تحبّون الشرّ،  
 والخير فيكم قليل، يقتل بعضكم بعضاً، ويستغل  
 القوي فيكم الضعيف، لا تأبهون لقيم فاضلة،

- يا شاكر!..  
 - نعم سيدي!..  
 - هل رأيتهن؟!  
 - بكل وضوح!..  
 - نار!.. وانطلق صاروخ «مالوتكا» يسبح في  
 الفضاء كأنه طائرة ميغ صغيرة!  
 كانت الدبابة تناوش موقعاً جنوبياً لنا غير  
 شاعرة بالموت الذي يهول سريعاً إليها.. ووصل  
 الصاروخ إليها بعد دقيقتين.. فاحمّرت كالجمرة،  
 ثم تفحمت وانكشمت إلى نصف حجمها الأصلي..  
 بارك الله فيك.. وقبّله زميله فاروق بحرارة.  
 - الثانية.. يا بطل!  
 وانطلق رسول عزرائيل يتحدى الحياة حاملاً  
 الموت الزؤام، لكن الدبابة راوغت، وحادت عن  
 سبيله، فاصطدم بالأرض.  
 صاح فاروق: ضاع الصاروخ!..  
 وحدث ما لم يكن في الحسبان.. يبدو أن  
 الصاروخ اصطدم بصندوق ذخيرة على طرف  
 الخندق، فانفجر ودمر الدبابة، وخرج منها ثلاثة  
 لائذون بالفرار، سقط منهم اثنان دون حراك،



مدافعه الثقيلة قذيفة اخترقت مقدمة السيارة وخرجت من آخرها. وكان وميضها متوهجاً.

كان حمدان قد فتح الباب، فانحنى يعانق الأرض العناق الأخير!.. وكلم قال لها: سأدافع عنك أيها الأرض الحبيبة! يا أمي الثانية، لا من أجل ترابك وزروعك وثمارك وخيراتك فقط.. إنما لأنك كنت ملاذ الدين العظيم الحنيف، فأليك أزر، ومنك شع نوره إلى العالم كله، فانساح يحرق الإنسان من ظلم الظالمين، وجور الجائرين.

وارتمى «أبو حلاوة».. رأسه على الأرض، ويدها على الصاروخين، وركبته تحت بطنه.. فبدا ساجداً، ليلقى الله على صورته هذه إن كان خالص النية، وأظنه كذلك، ولا أزكي على الله أحداً.. وتعانقت روحاهما منطلقتين إلى عرش الرحمن.

وكان في عمري بقية، فقفزت إلى الخندق، ولحقت بي شظية أخطأتني، واستقرت في جداره الترابي.. وتتابع القذائف كمطر الشتاء الغزير.

أما أبو الأولاد «إبراهيم» فقد نفذت فيه عدة شظايا، فانسابت الدماء منه غزيرة، وحملناه تحت القصف إلى غرفة منزوية، وأسعفناه إسعافات أولية لم تُجدِ معه فتيلاً، ولم ينته القصف إلا عندما سقط المرصد اللعين بيد جنودنا المغاوير.. وحمد إبراهيم رب العالمين، ونطق بالشهادة، وأسلم الروح إلى بارئها لتلحق بأفواج الخالدين.

\*\*\*

كنت صباح يوم العيد شبه مضطجع أمام خيمتي أتصفح كتاباً حين نهبني الحرس.

- سيدي، فلاح يقصدك!..

ونظرت إليه، كان يلبس سروالاً أسود، وعلى رأسه كوفية وعقال، يشدد نحوي..

- إني أعرفه يا سيدي.. والد «عليّ أبو حلاوة»..

ارتجف قلبي.. ونشطت أعضائي.. سيكون الموقف حرجاً للغاية.. إنه جاء يسأل عن ابنه بكل

تدوسون الحق وتخلعونوه، وترفعون لواء الباطل، وتلبسون نسيجه. ما إن تنته حرب حتى تزيدوا من أوار غيرها.. فمتى تترتاحون وتريحون؟!

أجبتة: أيلدُ لك أيها الوقور أن ترى عدونا يستولي على أرضنا، يعيث فساداً في كل شبر فيها، وينتهك مقدساتها، ينهب خيراتها، ويذيق أهلها مرارة الذل والهوان، ويفتك بالأعراض، ويفعل الأفاعيل؟!

سكتُ وتأملتته، فلاح لي قائلاً: إنه عدو الله والإنسانية، يسخر من الحق الضعيف، ويطأطئ رأسه للقوة، فأعدوا له ما استطعتم منها تجدوه يذوب أمامكم كما يذوب الملح في الماء، ثم يستسلم لكم.. فصاحب الباطل مدحور، وإن ظهر فإلى حين. وما قلتُ ما قلت إلا من باب التأفف من الحروب التي حدثت على مر التاريخ في سفحي، واقتتالٍ لم أكن أرى في كثيره إلا الظلم والظلمات، لكنني أرتاح حين أجد الأبطال يستعيدون حقهم وينشرون نور الهداية في أرض الله.

- هينوا أنفسكم يا شباب، سننضم إلى قطعات اللواء المندفعة عما قريب.

وتحرك الجميع يحملون أسلحتهم وأمتعتهم إلى السيارات بهمة عجيبة. كان أول المنطلقين إلى سياراتهم «حمدان»، وحمل عليّ وإبراهيم صواريخهما الستة، واحد على الظهر، وفي كل يد واحد، وانطلقا إلى طرف الخندق..

كان حمدان قد أوصل السيارة إليهما، وفتح الباب، ونزل ليساعدهما في أحمالهما، وكنت أبعد عنهم بضعة أمتار.. وجاء أمر الله وقدره الذي قهر بهما عباده.

- لم يكن قد مضى على بدء المعركة سوى نصف ساعة. وكان مرصد العدو الذي سقط بيد قواتنا الباسلة بعد ساعتين من القتال ما يزال شامخاً متكبراً على ما حوله. فلما رأى سيارة حمدان تنطلق من مخبئها إلى حيث نقف أطلق من أحد



أخي.. طلبت أمه مني بإلحاح شديد أن أسافر إليه لأشمة.. لأقبله، فهو ابننا الأكبر.. نشفت عيوننا حتى أصبح رجلاً.. يحفظ الله لك الأولاد.

كان الوالد يتكلم، وقلبي يزداد وجيباً.. وبكل تأكيد ارتفعت حرارتي، وبدأ جيبني يسبح بالعرق.. ماذا أقول له يا رب؟!

الموت حق.. ولكن كيف السبيل إلى إفهامه ما حصل دون أن تقع هذه الكارثة عليه موقعاً أليماً؟! سيكون الوقع شديداً لا محالة، ولكن..

- هل تناديه يا بن أخي؟..

- هو كذلك.. يا سليم صب الشاي لعمك.. وليكن حلواً... وقلت بصوت خافت: اللهم اجعل كلامي

حلواً.. ولكن أين الحلاوة في النعي؟!.. اللهم أعني..

وارتشف الرجل من كأسه رشقات.. وقلت له:

- كانت المعركة حامية الوطيس.

- ليست لعباً يا ابن أخي.. إنه الموت أو الحياة.

- كابدنا أياماً طويلة.. تحملنا فيها المشاق.. قلة

نوم.. وإرهاق..

- في سبيل الله يا ابن أخي! وهل ينصرنا

الله إلا بالجهاد؟!

- كنت أود الشهادة يا عم.. ففيها لقاء الله

ورضوانه.. هناك الجنة والنعيم الدائم.

- بارك الله فيكم، فأنتم عدتنا، والله لو أن

لي أولاداً شباباً لألحقهم بعلي، وطالبتهم أن

يقاتلوا حتى الموت..

- أو تلقي بفلذات أكبادك إلى القتال؟

- ولم لا؟ والله وهبنا إياهم.. فإذا أخذهم في

معركة مقدسة كانوا شرفاً لنا في الدنيا، وعزاً

يوم القيامة، وشافعين بنا، وأنا أتمنى على الله

ذلك يا بني!..

كانت اللحظة مناسبة جداً لإفراغ ما في جعبتي..

لقد فتح لي باباً ما كنت أستطيع أن أفتحه وحدي..

فلأغتنم الفرصة، فقد جاءت.



تأكيد.. ماذا أقول له يا رب؟!..

التفتُ إلى الملازم عبد الرزاق، ولم يكن معي في الخيمة إذ ذاك من الضباط غيره..

- يا أبا الهيثم، دونك هذا الرجل! اكفني مؤونته كفاك الله ما تكره.

لكن أبا الهيثم حدجني بنظرة عاتبة قائلاً:

- لست من هواة اللحظات الصعبة، أستودعك

الله يا صاحبي.. وانطلق قبل وصول الرجل.

- يا أبا الهيثم..

- إلى اللقاء يا عثمان.. إلى اللقاء.. أعانك الله!

- السلام عليكم حضرة الضابط.

- وعليكم السلام.. أهلاً بالعم.

- الله يصحبكم بالخير يا بن أخي.

- وتصنعت الابتسامة.. يا صباح الفل!! استرح

هنا يا عم.. الحمد لله على سلامتك.

- هل ابني موجود يا حضرة الضابط؟ لقد

تجشمتُ الطريق، وتركت العيد والأهل والمرايح

لأراه.. لأطمئن عليه اسمه «علي.. علي أبو حلاوة..

أه يا بني.. أنت تعرف حب الآباء للأبناء.. يا ابن



عندئذٍ استطاع أن يقول شيئاً.. كان كلامه متعثراً فيه انكسار وحزن.. كان متجلداً، لكن الأسي برز واضحاً في كلامه: إنا لله وإنا إليه راجعون!.. ولكن.. أمتأكدُ يا بني مما تقول؟! من كان معه حينما قتل؟ لعلمهم لم يتأكدوا من موته؟

كان الرجل يغالب هذا النبا الفاجع، وبيحث عن ضوء يتمسك به عليه يبعث فيه الأمل بقاء ابنه.. والتفت إليّ مستنجداً..

قلت: أنا كنت معه يا عم.. وحملته إلى السيارة، وأرجو أن يتقبله الله في عداد شهدائه الأبرار.

وحديثه بما كان، ملاطفاً مرة، ومواسياً مرة أخرى، ورافعاً من شأن ابنه ثالثة.

وعاد إلى قريته متباطئاً، كأن تلك اللحظات زادت من عمره سنوات.

وسأل إخوة إبراهيم عنه، ولم أكن في سريتي إذ ذاك.. وقال الملازم عبد الرزاق: إن سؤال الأخ عن

أخيه ليس كسؤال الوالد عن ابنه!..

أما حمدان فلم يسأل عنه أحد، ولا أدري لماذا؟ ومرت الأيام، وأصبحوا قصة تُروى.

- إذن فالشهداء كنز مدّخر لأبائهم يوم القيامة؟! وتتمنى ذلك على الله يا عم؟! - نعم يا ابن أخي.. قلت وأنا أرجو أن يقع الكلام على الأب الثاكل هيناً.

لقد عرف الله تعالى حسن نيتك يا عم، وأنتك رجل طيب، فأعد لك ذخراً في الآخرة.. وابنتك الآن يسرح في الجنة.. روحه في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة، وتنعم بنعيمها، ثم تأوي إلى عرش الرحمن مكرمة!..

تدقق الدم إلى وجهه، فأكسبه تورّداً شديداً، وأصلح من جلسته.. لم يقم لأنه على ما أظن لم يستطع القيام.. وشعرت بجسمه كلّهُ ينتفض!.. ولم يقدر على الكلام.. فأكملت: وكلنا يرجو الخالق سبحانه أن يرزقنا الشهادة.

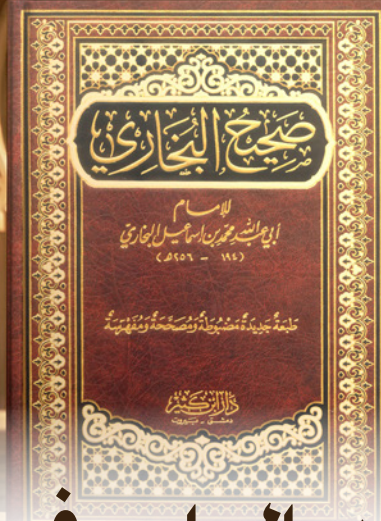
فقد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن المؤمنين حين يموتون لا يودّون الرجوع إلى الدنيا إلا الشهيد لما يذوق من حلاوة الموت في سبيل الله تعالى.

## أحمد

وَيَشْدُو الشَّعْرُ: أَحْمَدُ كَمْ سَحَرْتَنَا  
 وَتَبْتَسِمُ الرُّبَا رُؤْيَاكَ غَيْثٌ  
 وَأَنْتِ بِهَا كَأَزْهِى الزَّهْرِ نَبْتَنَا  
 وَعَيْنِي إِذْ بَزَغْتَ بِهَا اسْتِنَارَتْ  
 كَأَنَّكَ نُورُهَا مَعْنَى وَنَعْتَنَا  
 إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ رَأْتُ بَهَاءً  
 كَأَنَّكَ فِي جَمَالٍ قَدْ وَقَفْتَنَا  
 وَتَحْسُدُكَ النُّجُومُ إِذَا تَجَلَّتْ  
 فَأَنْتِ بِكَلِّ حُسْنٍ قَدْ زَهَوْتَنَا  
 أَحْطَتَ فِضَائِلًا وَجَمَعْتَ أُخْرَى  
 كَأَنَّكَ فِي الْمَكَارِمِ قَدْ نَبْتَنَا  
 فَكُنْ فِي كَلِّ مَحْمَدَةٍ نَوَاءً  
 وَكُنْ فِي الْبِرِّ مَضَاءً وَبَتْنَا  
 أَحْمَدُ يَا سِقَاءَ الرُّوحِ إِنِّي  
 أُرَانِي فِي فِنَائِكَ زِدْتُ بَخْتَنَا  
 وَحَرَكْتَ اللِّوَاعِجَ حِينَ لُقِيَا  
 كَأَنَّكَ فِي فَوَادِي قَدْ دَرَجْتَنَا  
 وَيَا عَجَبِي أَتَغْلِبُنِي صَغِيرًا  
 فَكَمْ حَرَّرْتَنِي وَلَكَمْ أَسْرَتْنَا!  
 فَوَاهَا تُنَمُّ وَهَاتَا مِنْ مَغَانِي  
 سَمِعْتُكَ فِي نَوَاحِيهَا صَدَحْتَنَا  
 أَحْمَدُ يَا سَمِيَّيَ أَنْتَ مَنِّي  
 سِوَاءَ إِنْ صَمَمْتَ وَحِينَ بَخْتَنَا  
 بَسَطْتَ لَنَا رِذَاءً مِنْ حُبُورِ  
 وَغَنَى الْقَلْبِ: أَحْمَدُ قَدْ حُمِدْتَا



د. أحمد بن صالح السديس  
السعودية



# الإمام البخاري في مدح البدر الساري في مدح



ناصر الخزيم  
السعودية

ذَكَرَ رُكْبِ الشَّمْسِ وَالْأَقْمَارِ  
لِرَجَالِ الْبُكُورِ وَالسُّمَّارِ  
أَمْطَرُوهُ عَلَى النُّفُوسِ الْقِفَارِ؟  
وَبِأَحْلِ الثَّمَارِ وَالْأَزْهَارِ  
قَبَسَ النُّورَ مِثْلَ نَجْمِ سَارِ  
نَهَلَ الْعِلْمَ مِنْ كِبَارِ خِيَارِ  
حَفِظُوهُ مِنْ سُنَّةِ الْمُخْتَارِ  
عَالِمًا أَيْنَ آفَةُ الْأَخْبَارِ  
فَأَجَلَ "الصَّحِيحَ" كُلُّ الْكِبَارِ  
غَيْرَ لُغُوٍ إِنْ قِيلَ: "قَالَ الْبُخَارِي"  
وَسَرَى فِيهِ مِثْلَ نَهْرِ جَارِ  
بِضِيَاءِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ  
لَمْ تَزَلْ غَارِقًا بِوَحْلِ الشَّنَارِ  
لَمْ أَجِدْ غَيْرَ "أَنْتَ" رَمَزَ الْعَارِ  
مِثْلَمَا أَنْتَ بَعْدَ كَشْفِ الْغِبَارِ!  
خِصَالِ الْجَمَالِ فِي الْإِنْكَارِ  
لَسْتَ كُفُفًا لِأَنَّ تَقُولَ: "الْبُخَارِي"

وَشَخَّ اللَّيْلَ مِنْ مِدَادِ النَّهَارِ  
تَرَكَوْا الدَّهْرَ بِالْمُفَاخِرِ يَشْدُو  
أَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ إِنْ غَاضَ عِلْمُ  
فَرَشُوهَا بِأَخْضِرٍ مِنْ رَبِيعِ  
طَلَبَ الْعِلْمَ نَابَهُ مِنْ بُخَارِ  
مِنْ شَيْوْخٍ إِلَى شَيْوْخٍ كَثِيرِ  
قَطَعَ الْأَرْضَ جَامِعًا كُلَّ قَوْلِ  
نَاقِدًا مَبْصِرًا تَقِيًّا خَبِيرًا  
فَانْتَقَى صَفْوَةَ الْأَسَانِيدِ مِنْهَا  
فَاشْرَبَ الْعَذْبَ وَأَقْطَفَ الْحَلْوَ وَاسْمَعُ  
قَدْ وَعَى الْعِلْمَ مُسْنِدًا وَفَقِيهًا  
فَارْتَوَى الظَّمَاءُونَ مِنْهُ وَفَازُوا  
فَادَعُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ أَيَا مَنْ  
أَنْتَ أَنْتَ الَّذِي إِذَا شئتُ ذَمًّا  
قَدْ عَرَفْنَاكَ فِي غِبَارِ بَعِيدِ  
لَكَ صَوْتٌ إِذَا بَدَا سَارَعَتْ كُلُّ  
غُصَّ طَرْفًا مِنَ الْحَيَاءِ تَعَرَّى



أحمد طاهر أبو عمر

د. حلمي محمد القاعود

## لقاء العدد: مع الأديب والناقد والمفكر الدكتور حلمي محمد القاعود

حوار: أحمد طاهر أبو عمر - الأردن

هذا الحوار أجري مع الدكتور حلمي محمد القاعود، في الأردن حين انعقاد المؤتمر الثاني للأديبات الإسلاميات (بتاريخ الأربعاء ٢٤/٤/١٤٢٤هـ، الموافق ٢٠١٣/٣/٦م). ولم ينشر حينئذٍ، ويسر مجلة الأدب الإسلامي نشره إذ لم يتسن ذلك في العدد (١٢٨) الخاص عنه. الدكتور حلمي القاعود أستاذ متفرغ بكلية الآداب، جامعة طنطا في مصر، أصدر نحو سبعين كتاباً في مجال التخصص الدقيق، وهو النقد الأدبي، والدراسة الأدبية، وفي المجال العام والفكر الإسلامي والحركة الإسلامية

د. حلمي القاعود للأدب الإسلامي:

الأدب الإسلامي بدأ منذ البعثة  
المحمدية، وتغيّر المفاهيم  
الجاهلية والوثنية التي كانت  
سائدة من المجتمع.

مادية، تعادي الإسلام، وترفضه شكلاً وموضوعاً. وقد بدأت الدعوة إلى الأدب الإسلامي في منتصف القرن العشرين، مع تبلور الحركات الإسلامية الداعية إلى اليقظة والبعث، والهوية الإسلامية في مواجهة التغريب.

وبلا ريب، فإن واقع الأدب التغريبي ما زال مفروضاً بقوة لأنه يملك وسائل التعبير والإعلام، ولعل ثورات الربيع العربي تمكّن للأدب الإسلامي أن يخطو خطوات أوسع، وأكثر تأثيراً في الواقع العربي والأمة الإسلامية بصفة عامة.

•• كيف يمكن للأدب الإسلامي أن يخدم الدعوة الإسلامية والإسلام والمسلمين في العالم؟  
• د.القاعود: الكلمة الطيبة شجرة مثمرة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، وكلما كانت الفكرة الإسلامية مصوغة في إطار فني جذاب؛ استطاعت أن تخدم الإسلام. إن معالجة قضايا الإنسان والمجتمع والأمة من خلال التصور الإسلامي الناضج والموهبة الفنية الحقيقية، تجعل الأدب الإسلامي خير داعم وموصل وخادم للدعوة الإسلامية وللإسلام والمسلمين في كل مكان.

•• من خلال تخصصكم في النقد الأدبي، ما هي الشروط التي ينبغي أن تتحقق في الناقد الموضوعي، وهل كل أديب يصلح أن يكون ناقداً؟

• د.القاعود: النقد الأدبي علم وتخصص وفنّ، والناقد الأدبي مهمته صعبة ما لم يكن دارساً للنقد وأصوله ومذاهبه ونظرياته القديمة والحديثة، مع قدرته على الاستفادة من العناصر الملائمة لأدبنا العربي الإسلامي، وتجاوز العناصر السلبية التي تتصادم مع طبيعة الأمة ولُغتها، أو لا تضيف إليها شيئاً.

والصحافة وأدب الأطفال، فضلاً عن الرواية والقصة القصيرة، وله عمود صحفي يومي في جريدة الأهرام.

برز مؤخراً بعد الأحداث التي شهدتها مصر واحداً من أهم الذين كشفوا عورات العلمانية واليسارية في مصر، ويتحدث بصراحة غير مسبوقة حول مؤامرتهم وعدائهم للإسلام والمسلمين. التقى في أثناء انعقاد الملتقى الثاني للأديبات الإسلاميات في الأردن، وكان لي معه هذا الحوار:

•• هل لكم أن تحددوا لنا البداية الحقيقية لظهور الأدب الإسلامي؟ وهل وصلت رسالته إلى أصقاع المعمورة، أم ما زال يتحرك في دائرة معروفة أو مغلقة؟!

• د.القاعود: الأدب الإسلامي بدأ منذ البعثة المحمدية، وتغير المفاهيم الجاهلية والوثنية التي كانت سائدة من المجتمع، فقد تغيرت التصورات لدى الناس، وصارت قيم الإسلام وتعاليم الوحي هي ما يحرك الأدب خاصة، والحياة عامة. وظل الأمر كذلك، حتى بدأت الغارة الاستعمارية على بلاد الإسلام، ويسبقها جيوش المستشرقين والمنصّرين مستهدفين العقيدة الإسلامية واللغة العربية، وهنا بدأ تكوين نخب من بلاد المسلمين متأثرة بالفكر الغربي وثقافته. وإذا عرفنا أن

الغرب يحرص على الاهتمام بأتباعه، والترويج لهم، ونشر كتاباتهم وآرائهم، فقد ارتقت النخبة المستغربة إلى الواجهة الثقافية والأدبية في بلاد العرب والمسلمين، وفي الوقت نفسه يتم تهميش من يتمسكون بالثقافة الإسلامية، بل إقصاؤهم، واستئصالهم.. وهو ما جعل معظم الأدياء على الساحة العربية مثلاً، ينتمون إلى تيارات





•• ما رأيك بالشعر الحر، خصوصاً أنه أصبح يستهوي العديد من الشعراء؟

• د.القاعود: الشعر الحرّ لون من ألوان التعبير الشعري، له أصوله وقواعده التي عبّرت عنها الشاعرة الكبيرة (نازك الملائكة) في كتابها "قضايا الشعر المعاصر"، وهي أصول وقواعد أصعب من قواعد الشعر الموروث وأصوله.

وللأسف فقد دخل إلى ساحة الشعر كثير ممن لا موهبة لديهم، أو أصحاب رؤى معادية للرؤية الإسلامية، وامتد الأمر إلى ما يسمى قصيدة النثر التي لا مرجعية لها، ولا قواعد، ولا أصول.

الشعر الحرّ بصفة عامة تحوّل لدى الشعراء الجيدين إلى حالة نمطية مكررة رتيبة، وهو ما دعا نازك الملائكة إلى توجيه نداء بالعودة إلى شعر الشطرين مرة أخرى. ويمكن للشعر الحر أن يسهم إسهاماً جيداً في تطوير المسرح الشعري، وتقديم نصوص ترتقي بالذوق العام، وتخدم الهضبة المسرحية بصفة عامة.

•• لك أكثر من مؤلّف عن

الحدائث وأبعادها.. ماذا تقول عنها بإيجاز؟

• د.القاعود: شاعت في أوساطنا الثقافية مغالطة فحواها أن الحدائث مرحلة من التطور والتجديد ضرورية لفكرنا وأدبنا جميعاً، وأنها أمر طبيعي يتسق مع تطور الحياة والمجتمعات. ويركز دعاة المغالطة على الجانب الأدبي بوصفه الناحية التي لا تثير عواطف الجمهور، ولا تستفز مشاعرهم.. على العكس لو كان الأمر متعلقاً



الناقد الأدبي قارئ محترف يعرف أصول الفنون الأدبية، ويقدر على فهم إمكانات الأديب وإيجابياته ونواحي الضعف التي تتصل بأعماله أو نصوصه، ثم إن الناقد في نهاية المطاف يشبه القاضي النزيه الذي لا يؤثر في حكمه هوى أو ثأر أو بغض لمن يحكم عليه.

•• ما زالت الرواية الإسلامية المعاصرة ضمن إطار وسط

المهتمين بالأدب الإسلامي، في ظل هيمنة أصحاب التوجهات المتغرّبة على هذا الفن المهم، وروايات الدكتور نجيب الكيلاني الرائعة -مثلاً- ليس لها حضور بين عموم الناس، فضلاً عن جمهور المثقفين.. كيف يمكن أن تنتشر

الرواية الإسلامية المعاصرة بين مختلف قطاعات المجتمع؟

• د.القاعود: الرواية الإسلامية تنمو بلا ريب، وإن كان نموّها بطيئاً لأسباب لا مجال لذكرها هنا، وقد أحسنت رابطة الأدب الإسلامي العالمية حين أعلنت عن مسابقات في الرواية الإسلامية، وقد أنجبت هذه المسابقات أو كشفت عن روائيين موهوبين مثل: جهاد الرجبي،

من الأردن، رواية "لن أموت سدى"، وسلام أحمد إدريسو، من المغرب، رواية "العائدة"، وعبد السلام الراغب، من سورية، رواية "دماء على أبواب القدس"، وغيرهم.

وأتمنى من المهتمين بالأدب الإسلامي في كل مكان أن يركزوا اهتمامهم على الرواية والمسرح والملحمة، ويشجعوا على كتابتها ونشرها، وتحويلها إلى أعمال مسموعة عبر الإذاعة، ومرئية عبر التلفزيون.





د.عمر خلوّف  
سورية

## إلهي..

إلهي.. أنتَ للمحزونِ مَوْلى  
وأنتَ بُنْصِرَةُ المَظْلومِ أَوَّلَى  
إلهي.. ضاقَ بالمخلوقِ صَبْرٌ  
وضاقتْ حِيلَةٌ مُذْ ذاقَ هَوْلًا  
فَهَبْنَا مِنْكَ يَا وَهَّابُ عَوْنًا  
وَهَبْنَا مِنْكَ يَا مَفْضَالَ حَوْلًا  
أَنْلِنَا نَصْرَكَ المَوْعودَ يَا مَنْ  
وَعَدْتَ المُؤْمِنِينَ النَّصْرَ طَوْلًا  
وَجَمَّلْنَا بِضَافِي السَّيْرِ فَضْلًا  
وَسَدَّدَ أَمْرَنَا فِعْلًا وَقَوْلًا  
وَزِدْنَا مِنْ عَطَائِكَ يَا إلهي  
فإِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ أَعْطَى وَأَوْلَى  
فَمَا أَوْسَعْتَ لَيْسَ يَضِيقُ بَدَلًا  
وما نَوَّلْتَ لَيْسَ يُرَامُ نَيْلًا  
وما قَدَّرْتَ.. كَانَ لَنَا رِضَاءً  
رَضِينَا مَا رَضِيتَ فَمَا أُحْيَلَى

بالناحية العقيدية  
أو الدينية.

والحدائثة ليست  
إلا مصطلحاً مراوفاً  
يضم تحت رذائه  
نخبة من اصحاب  
الفكر ومحترفي  
الأدب الذين يتفقون  
فيما بينهم على قطع  
صلة العربي المعاصر



بماضيه تماماً، سواء كان هذا الماضي العقيدة الإسلامية، أو التاريخ، أو التراث.. اللهم إلا ما اتفق من هذا التراث أو ذلك التاريخ مع مناهجهم؛ سواء تمثل في الحركات الشعبوية الباطنية، أو الإلحادية (الزنادقة)، أو غير ذلك مما يتناقض بالضرورة مع الإسلام عقيدة وشريعة.

لقد انتهت الحدائثة في بلادها التي نشأت فيها، ولكن أصحابها في العالم العربي يصرون على بعثها، وإقامة التماثيل لها في كل مكان، وبخاصة بعد أن استطاع أهل الحدائثة السيطرة على كثير من نوافذ النشر والإعلام والدعاية. وراح بعضهم يزعم أن الحدائثة حدائثات، وأنها ليست إلا مصطلحاً يمكن تعريفه بأنها تجديد أدبي واع. وقد تتبع جذور الحدائثة لدى من روج لها في فكرنا الحديث، وكشفت بالأمثلة معالم الحدائثة بوصفها مرحلة زائفة في تاريخ أمتنا المعاصر.. مصيرها الانهيار كما انهارت الماركسية.

•• بلغت مؤلفاتكم نحو (٧٠) كتاباً..  
ما جديدكم؟

• د.القاعود: هناك أكثر من كتاب صدر في الشهور الماضية، منها: كتاب حول القصة في الحديث النبوي الشريف في أربعة أجزاء، وكتاب بعنوان: المدافعة والمدولة: قراءة في السنن والتحوّلات، وغيرهما.

# الحق أصدق ما ترى



فواز عابدون  
سورية

وَأَمْنُ جَنَاحِكَ كِي تَطَالَ بِهِ الدُّرَا  
يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَدِيمِ مُعْفَرَا  
إِلَّا الَّذِي جَدَّ الْمَسِيرَ وَشَمَّرَا  
وَتَظَلُّ تَدْعُو مَنْ إِلَيْهَا اسْتَنْفَرَا  
مَنْ كَانَ لَا يَزُقُّ لَهَا أَوْ لَا يَرَى  
وَالْبَدْرُ يَعْكِسُ ضَوْءَ شَمْسِ أَنْوَرَا  
مَا دَامَ فِي العُلْيَاءِ ضَوْءٌ قَدْ سَرَى  
فِي الأَرْضِ مَنْسِيًّا إِي أَنْ يُقْبَرَا  
بَلْ كَانَ فِي عَقْلِ وَفِكْرٍ مُزْدَرَى  
حَتَّى تَرْدَى وَاسْتَحَقَّ بِهَا الْوَرَا  
دَاسَتْ عَلَى أَثْوَابِهِ فَتَقَهَّقِرَى  
هَذَا التَّأخَّرِ حِينَ غَيْرُهُمْ أَنْبَرَى  
وَالْأَمْسُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ سَادُوا الْوَرَى  
دَوَى بِهِ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَكَبَّرَا  
وَاسْتَنْصَرَتْ لِلْحَقِّ أَسَدُ الشَّرَى  
مَا دَبَّرَ الْبَاغِي وَمَا قَدْ أَضْمَرَا  
وَمَنْ اغْتَلَى أَسْوَارَهَا مَنْ حَرَّرَا  
أَنْ قَادَ لِلْقُدْسِ الأَسِيرَةَ عَسْكَرَا  
وَاحْتَطَّ فِي سِفْرِ الخُلُودِ وَسَطَّرَا  
وَالْقَلْبُ أَوْشَكَ مِنْهُ أَنْ يَتَفَطَّرَا  
مَجْدًا وَرِثْنَاهُ وَعِزًّا أَكْبَرَا

حَدَّقْ.. فَإِنَّ الْحَقَّ أَصْدَقُ مَا تَرَى  
مَنْ قَالَ: إِي لَا أَرُومُ مَرَامَهَا  
لَمْ يَعْغُلْ شَأْوًا فِي الْحَيَاةِ بِأَسْرَهَا  
تَأْبِ الرَّعَانُ الشَّامِخَاتُ تَوَاضَعَا  
هَيْبَاتٍ يُدْرِكُ مَا بِهَا مِنْ رِفْعَةٍ  
لِلشَّمْسِ ظِلٌّ قَدْ أَنْارَ لَنَا الدُّجَى  
يَمْتَدُّ ظِلُّ الْمَرْءِ فَوْقَ أَدِيمِهَا  
قُلْ لِلَّذِي خَارَتْ قُوَاهُ فَلَمْ يَزَلْ  
مَا كَانَ عَجْزُ الْمَرْءِ فِي أَطْرَافِهِ  
لَمْ يُعْطِ لِلأَيَّامِ حَقَّ عَطَائِهَا  
وَإِذَا أَرَادَ السَّيْرَ بَعْدَ حُمُولِهِ  
قَوْمٌ إِذَا قَعَدُوا فَلَيْسَ لَهُمْ سِوَى  
تَظْوِهِمْ الأَيَّامُ لَا تَدْرِي بِهِمْ  
لَمْ يَجْهَرِ الإِسْلَامُ إِلَّا عِنْدَمَا  
سُلَّتْ سُيُوفُ الْحَقِّ مِنْ أَعْمَادِهَا  
لَهْفِي عَلَى أَرْضِ تَضْيِغٍ وَلَا نَعِي  
إِيْلِيَاءِ تَدْرِي مَنْ بَنَاهَا غَابِرًا  
هَذَا صِلَاحُ الدِّينِ يَشْهَدُ مَجْدُهُ  
وَأَعَادَهَا بِالسَّيْفِ لَيْسَ بِغَيْرِهِ  
مَا بَالُنَا وَاليَوْمِ نَبْكِيهَا أَسَى  
لَا الأَمْسُ يَشْفَعُ إِنْ أَضْغَعْنَا سِفْرَهُ



وَيُعِيدُ لِلأَقْصَى السَّلِيْبِ المُنْبِرَا  
وَالْيَوْمَ نَزَجُوا العُذْرَ كِي مَا نُعْذِرَا  
مَنْ يَمْتَطِي صَهَوَاتِهَا كِي يَعْبُرَا؟  
ضَاقَتْ بِهِ وَتُرِيدُ أَنْ تَتَحَرَّرَا  
نَصْرًا مُبِيدًا أَوْ تُوسِّدَ فِي التَّرَى  
يَا كَيْتَ أَنَا لَا نُطِيلُ بِهَا الشَّرَى  
مَا رَأَى القُدْسَ الأَعَزَّ تَحَسَّرَا  
أَنْ سَيْفُهُ أَثْرٌ يُبَاعُ وَيُشْتَرَى  
فَتِيقَ الجِرَاحُ وَمِنْ دِمَائِي أَهْدِرَا  
كَانَ البُغَاثُ جِوَارَ قَوْمِي أَنسُرَا  
دَاءٌ سَرَى فِيْنَا وَخَطُوهُ أَدْبِرَا  
فَلنُطْلِعِ البَدْرَ الجَمِيلَ المُقْمِرَا  
وَلنَدْعُ لِلأَجْيَالِ فِكْرًا نَبِيرَا  
كُنَّا لَهُمْ رِفْدًا وَعِلْمًا أَبِيرَا  
تَقْوَى عَلَى مَوْجِ العِلْمِ لِتُبْحِرَا  
طَابَ الغِرَاسُ بِهِ نَمَا وَاخْصُوهُ صِرَا  
قَدْ ظَلَلْتُ مِنْ قَبْلُ تِلْكَ الأَعْصِرَا  
لَا بُدَّ أَنْ الجَنْزَ يُمَسِّكُ بِالثَّرَى  
نُسَعُ الحَيَاةِ بِهَا يُجَدُّ مَا اهْتَرَى  
قَدْ أَخْرَجَ اللهُ تَعَالَى لِلوَرَى  
فَجُرَّ العَدِ الأَتِي يَلُوحُ مُبَشِّرَا  
وَحُرُوفِي الفُصْحَى تَلْمِمْ مَا جَرَى  
حَتَّى أَتَ فَجْرًا صَبَاحُ أُسْفِرَا

مَنْ ذَا الَّذِي يُغَيِّبُ اللَّوَاءَ كَمَا عَلَا  
يَا قُدْسُ عَفْوًا قَدْ أَضْعَفْنَا صُحَى  
هَذَا جِيَادُ الفَتْحِ تَنْهَضُ حَمَحَمَتْ  
الأُسْدُ تَزُرُّ فِي العَرِينِ كَأَنَّهَا  
وَأَشْتَدَّ بِأَسِّ فِي النَفُوسِ فَتَرْتَجِي  
قَدْ أَتَعَبْنَا فِي المَسِيرِ طَرِيقَنَا  
هَذَا هُوَ الفَارُوقُ لَا يُخْفِي أَسَى  
وَإِبْنُ الوَلِيدِ رَنَا إِلَيْنَا عَاتِبًا  
مَا بَالُ جُرْحِي كُلَّمَا ضَمَمْتُهُ  
كُنَّا هُبَابَ جَنَابِنَا مِنْ مَنَعَةٍ  
وَمَلَأْتُمَا كُنَّا وَكَانَتْ إِيْنَا  
يَكْفِي بَأَنَّ الشَّمْسَ تَسْطَعُ فِي الضُّحَى  
وَلنَدْعُ لِلجُهَالِ هِمَّةَ عَالِمٍ  
لَسْنَا كَمَا هُمْ صَوْرُونَ عَالَةً  
حَسْبِي بَأَنَا لَمْ نَزَلْ فِي صَحْوَةٍ  
هَذَا التُّرَابُ الحُرُّ تُرْبَتْنَا فَإِنْ  
سَتُظَلَّلُ الأَغْصَانُ تُرْبَتْنَا كَمَا  
وَإِذَا تَطَاوَلَتِ النَخِيلُ بِجَدْعِهَا  
لَا تَسْقُطُ الأَوْرَاقُ عَنْهَا طَامَا  
وَسَيَشْهَدُ الأَتِي بَأَنَا خَيْرٌ مَنْ  
وَسَتُنْقِضِي هَذَا العَكِيسَةَ طَامَا  
الدَّمْعَةُ الحَرَّى جَرَّتْ مِنْ مُقْلَتِي  
سَطَّرْتُمَا لَيْلًا وَكَانَ مَعِي غَدِي



قاسم الحسن غيثي<sup>(١)</sup>  
تركيا

## الالتزام في الأدب الإسلامي: رؤية عبد الرحمن رأفت الباشا بين التراث والتجديد

تقدم هذه الرؤية نموذجًا متزنًا وجديدًا للالتزام في الأدب الإسلامي بين الأصالة والتجديد، تجمع بين الفكر والفن والرسالة الإيمانية.

في عالم الأدب، طالما كانت قضية الالتزام من أكثر القضايا التي أثارَت جدلاً واسعاً، وتفاعلات فكرية عميقة بين مفاهيم الحرية الإبداعية والمسؤولية الاجتماعية والدينية. وفي هذا السياق يبرز اسم الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا واحداً من أبرز المفكرين الذين قدموا رؤية متكاملة تجمع بين التراث والتجديد، وبين الأصالة والمعاصرة، في فهم الالتزام الأدبي الإسلامي.



يتناول هذا المقال رؤية الأديب والناقد الإسلامي الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في الالتزام الأدبي، مقسومة إلى ثلاثة محاور متكاملة:

### وفي المحور الثالث

يسلط الضوء على تطبيقات الالتزام في الأدب الإسلامي عبر مؤلفات الباشا القصصية والتاريخية، حيث تجلت القيم الإسلامية المعاصرة من حب الرسول صلى الله عليه وسلم، والرفق في الدعوة، وحُسن الكلام، والبطولة، والصبر، وغيرها من القيم التي تحيي الوجدان.

### في المحور الثاني:

يُبرز الباشا أن الالتزام هو جوهر الأدب الإسلامي المتجذر في القرآن الكريم والسيرة النبوية، ويفصّل الفرق الجوهرية بين الالتزام الإسلامي القائم على العقيدة والضمير، والالتزامات الأخرى كالماركسية القسرية، والوجودية النسبية.

### المحور الأول:

يرصد قضية الالتزام في الأدب عامةً من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي، ونشأته في الفكر الأدبي الحديث مع بروز الدولة الشيوعية كأرض انطلاق للمفهوم، ثم انتقاله إلى الموقف الغربي النقدي له.

## نبذة مختصرة عن

# عبد الرحمن رأفت الباشا

عبد الرحمن رأفت الباشا هو أديب وباحث سوري، ولد في ٤ يونيو ١٩٢٠م، في بلدة أريحا شمال سوريا. اسمه الكامل: عبد الرحمن بن رأفت ابن بكر بن برهان بن محمد الباشا. نشأ يتيم الأب، إذ توفي والده وهو في شهره الرابع، فتولى جده تربيته، وكان رجلاً ذا علم وفضيلة. ومن جهة أمه ينحدر الباشا من نورية بنت محمد بن أحمد طالب، ابنة فاطمة بنت محمد سالم، وهو بذلك يلتقي نسباً مع الدكتور محمد رشاد سالم -رحمهما الله<sup>(١)</sup>. تلقى تعليمه الأولي في بلدته أريحا، ثم أكمل دراسته في المدرسة «الخشروية» بحلب التي كانت تعد من أعرق المدارس الشرعية في سوريا. بعدها انتقل إلى مصر لإتمام دراسته في جامعة الأزهر، حيث نال شهادة كلية أصول الدين عام ١٩٤٥م، ثم حصل على الإجازة في الأدب العربي من جامعة فؤاد الأول



عبد الرحمن رأفت الباشا

جامعة القاهرة حالياً) عام ١٩٤٨م، ثم نال الماجستير عام ١٩٦٥م، والدكتوراه عام ١٩٦٨م في الأدب. بدأ حياته المهنية مدرساً في سوريا، وتدرج في مناصب تربوية وأكاديمية كانت نتائجها تأسيس مناهج ودور تعليمية مهمة، منها إدارته لدار الكتب الظاهرية بدمشق. ثم انتقل إلى السعودية حيث أرسى دعائم الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، وأسس أول قسم خاص بالأدب الإسلامي<sup>(٢)</sup>، وكانت له مساهمات علمية وإبداعية جلية في الدراسات الأدبية والنقدية، إذ جمع بين الرسالة الفنية والالتزام الديني ضمن رؤية إسلامية متماسكة. توفي في ١٨ يوليو ١٩٨٦م بإسطنبول، مخلفاً إرثاً كبيراً في الأدب الإسلامي يُعد مرجعاً في الفكر الأدبي الإسلامي الحديث.



## المحور الأول:

### قضية الالتزام في الأدب: تعريفه ونشأته عند عبد الرحمن رأفت الباشا

يُعد الالتزام في الأدب من القضايا الفكرية الكبرى التي شغلت الساحة الأدبية والنقدية في القرن العشرين، لما تحمله من نقاش عميق بين حرية المبدع ومسؤوليته تجاه مجتمعه وأُمَّته، وبين الفن باعتباره تعبيرًا جماليًا حرًا، والفكر رسالة هادفة موجّهة. وقد أشار عبد الرحمن رأفت الباشا إلى هذا التباين قائلاً: «اختلف الناس كثيرًا في قضية حرية الأديب والالتزام، وما يزلون مختلفين، لأن هذه القضية وأمثالها لا يمكن أن ينتهي الناس فيها إلى رأي يحظى بالإجماع»<sup>(٣)</sup>.

**لغة:** يرى الباشا أن الالتزام يعني التعلّق وعدم المفارقة. حيث يقول: «الترم فلان فلانًا، والترم الأمر أي تعلق به ولم يفارقه»<sup>(٤)</sup>.

أما اصطلاحًا، فيعرّف الالتزام بأنه: «أن يلتزم الأديب في كل ما يصدر عنه من أدب فكريًا محددًا من الأفكار، أو عقيدة من العقائد، أو نظرية من النظريات، أو فلسفة من الفلسفات سواء أكان ما يلتزم به دينيًا أم سياسيًا أم اجتماعيًا، بحيث يكون أدبه نابغًا مما اعتقده، ممثلًا لما اعتنقه، غير حائذٍ عنه، أو خارجٍ عليه»<sup>(٥)</sup>.

هذا التعريف يعكس رؤية الباشا للأدب صوتًا للضمير الإنساني المؤمن، فالأديب المسلم لا يكتب لهوى نفسه فحسب، بل يكتب عن رؤية عقديّة تُنير فكره، وتوجّه فنه في أن واحد.

**تاريخياً:** يربط الباشا نشأة قضية الالتزام بأحداث القرن العشرين، خصوصًا قيام الدولة الشيوعية في الاتحاد السوفييتي، التي أدركت أهمية الفن والأدب في بناء العقول وصياغة الضمائر، حتى

قال ستالين: «الفنانون والأدباء مهندسو البشرية». فقد توسعت السيطرة لتشمل وسائل الإنتاج المعنوي، إذ ألزمت الأدباء الالتزام بالعقيدة الماركسية، وجعلتهم أدوات للحزب. ومن خرج عن هذا الإطار وعبر عن فكر مخالف وُصِف بالخيانة، وبعضهم أصبح عدوًا للشعب والوطن.

استخدم النظام آليات الترغيب والترهيب، بين إغراق الملتزمين بالمميزات، وتشويه سمعة المعارضين وحرمانهم من النشر، واتهامهم بالأنانية والابتعاد عن قضايا الأمة، فظهر الالتزام الفني المُكره المقيّد بأليات الحزب، مطالبًا بأن يكون الأديب جنديًا في خدمة الثورة، غير مسموح له بالغناء إلا لما يخدم الأيديولوجيا الاشتراكية.

تجاوزت فكرة الالتزام محيط الشيوعية إلى العالم الغربي عبر منظمة «الكومنترن»، حيث تبناها الوجوديون في صيغة مختلفة، وهم يرون الالتزام حرية شخصية ومسؤولية ذاتية يختارها الأديب، ويفرقون بين النثر أداة لنقل الأفكار، والشعر رواية وجدانية لا للتوجيه<sup>(٦)</sup>.

وهذا مفهومٌ يختلف تمامًا عن الالتزام الماركسي وقسريته، ويختلف أيضًا عن رؤية الباشا التي توفق بين الحرية والمسؤولية تحت راية الإيمان.

واجهت فكرة الالتزام في الغرب، خصوصًا في أمريكا وأوروبا، رفضًا بارزًا، إذ ساد التأكيد على حرية التعبير المطلقة. وكان الناقد الأمريكي آلن تيت من أبرز المعارضين، حيث قال: «هل هناك في طبيعة الشعر ما يبرّر إلقاء هذا العبء الثقيل على أرباب الخيال؟ هل هناك فئات أخرى من المفكرين والعلماء يمكن أن تحمّل المسؤولية؟».

وختم قائلاً: «من الخطأ الفاحش أن نطلب من الشاعر ألا يكون شاعرًا، وأن يصبح داعيةً لمثل سياسية حتى ولو كانت ثمينة»<sup>(٧)</sup>.

رغم الرفض يشير الباشا إلى استمرار الالتزام في الأدب الغربي، ولكن بصيغ مختلفة، من أجل الدفاع عن القيم الإنسانية والذات الحضارية، مع اختلاف جوهرى عن الالتزام الإسلامي.



شَهِدْتُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا  
أَتَى بِالْهُدَى مِنْ رَبِّهِ وَالْبَصَائِرِ  
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَدْعُو إِلَى التَّقَى  
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ بِشَاعِرٍ  
عَلَى ذَلِكَ أَحْيَا نَمَّ أُبْعِثُ مُوقِنًا  
وَأَتَّوِي عَلَيْهِ مَيْتًا فِي الْمَقَابِرِ<sup>(١)</sup>

كما يعرض الباشا قصة ذُبان بن الحارث  
السعدي، الذي تخلى عن عبادة الأصنام، وهاجر  
إلى دين الحق، وقال:  
تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى  
وَخَلَّفْتُ فَرَاضًا بِدَارِهِوَانِ  
شَدَدْتُ عَلَيْهِ شَدَّةً فَتَرَكْتُهُ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ، وَالِدَهُرْدُو حَدَثَانِ  
فَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرْدِينَهُ  
أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي  
فَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَا عَشْتُ نَاصِرًا  
وَأَلْقَيْتُ فِيهَا كَلْكَلِي وَجِرَانِي  
فَمَنْ مُبْلِغُ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ أَنْنِي  
شَرَيْتُ الَّذِي يَبْقَى بِآخِرَقَانِ<sup>(١٠)</sup>

يرى الباشا أن الالتزام في الأدب الإسلامي يعتمد  
على الالتزام الداخلي الصادق الذي ينبع من الإيمان  
والعقيدة، وهو ما يميزه عن الالتزام في المذاهب  
الفكرية الحديثة التي قد تكون مفروضة قسراً  
كالماركسية، أو نسبية كالفلسفة الوجودية.  
فالالتزام الإسلامي نابع من ضمير حي، واختيار  
واع، ولا يمكن لفظه أو التنازل عنه بسهولة، إذ هو  
جزء لا يتجزأ من عقيدة الأديب المسلم.  
ويشير إلى أن الالتزام الماركسي يقصر على الجوانب  
المادية، متجاهلاً الروح والجوانب المعنوية للإنسان،  
بينما الالتزام الإسلامي شمولي يتناول الإنسان بكل  
أبعاده: الجسد والعقل والروح والعاطفة، دنيا  
وأخرة، وبهذا يكون أفق الأديب أوسع وأشمل.  
وينتقد الباشا الأنظمة التي تحصر الفن في خدمة  
الأحزاب، مما يؤدي إلى قتل الذاتية الإبداعية عند

## المحور الثاني

### الالتزام في الأدب الإسلامي: ركيزة أصيلة بين التراث والتجديد – رؤية عبد الرحمن رأفت الباشا

ينطلق الأدب الإسلامي -في رؤية عبد الرحمن رأفت  
الباشا- من منبع الالتزام الأصيل، الذي شكّل أساسه  
الأول ومنطلقه الجوهرى، مُظهرًا ذلك منذ بدايات  
الشعر الإسلامي في يثرب على ألسنة الصحابة الذين  
صيغت قوافيهم بمعانٍ إيمانية وعقدية.

هذا الالتزام ظل محافظاً على جوهر الأدب  
ومحركه الأساسي عبر التاريخ الإسلامي إلى يومنا  
هذا. وهو يرى أن الأدباء الإسلاميين سبقوا مختلف  
الحركات الفكرية الحديثة بأكثر من أربعة عشر قرناً  
في تبني الالتزام الأدبي، حيث أرسيت قواعده الأولى  
مع نزول قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ\*  
أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ\* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا  
يَفْعَلُونَ\* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا  
اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٨)</sup>.

تفصيل هذه الآيات بين الشعر «المنفلت» الذي لا  
يلتزم قيم الحق والصلاح، وبين الشعر الذي ينبع من  
إيمان راسخ، وعمل صالح، حاملاً رسالة واضحة،  
ومبطنه بمخزون القيم الإسلامية. والشاعر المسلم،  
بهذا المعنى، ملتزم بما يصبو إليه الدين، لا يزيّف  
الكلمة، ولا يشوّهها، بل يجعل الشعر وسيلته للدفاع  
عن العقيدة ومواجهة الباطل.

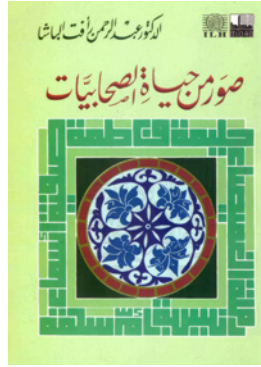
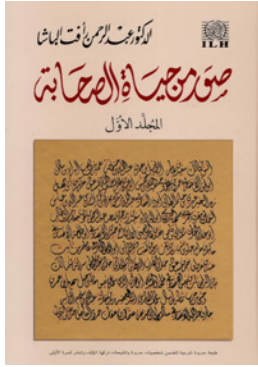
وقد قدّم عبد الرحمن رأفت الباشا نماذج أصيلة  
حية من شعر الصحابة، مثل نوفل بن الحارث بن  
عبد المطلب الذي أعلن بفخر موقفه الروحي قائلاً:

إِلَيْكُمْ، إِلَيْكُمْ إِنِّي لَسْتُ مِنْكُمْ

تَبَرَّأْتُ مِنْ دِينِ الشُّيُوخِ الْأَكَابِرِ

لَعَمْرُكَ مَا دِينِي بِشَيْءٍ أُبِيعُهُ

وَمَا أَنَا إِذْ أَسْلَمْتُ يَوْمًا بِكَافِرٍ



الأدباء، بينما يقر الأدب الإسلامي بحرية التعبير، شريطة أن يكون ضمن الإطار الإيماني العام. أما الالتزام الوجودي فيرى الباشا أنه قائم على الذات فقط، وينكر وجود الله، مما يؤدي إلى نسبية القيم، وتغير التزام الأديب بحسب أهوائه ومصالحه الشخصية. ويتجلى ذلك في مواقف زعيم الوجوديين جان بول سارتر الذي يعتبر الصمت عن الظلم النازي جريمة، لكنه في الوقت نفسه يبرر العدوان الصهيوني على العرب، ويتغاضى عن المأساة الفلسطينية.<sup>(١١)</sup> وهذا يعكس أن الالتزام الوجودي عبارة عن التزام مركب من عوامل شخصية وذاتية، لا يستند إلى مبدأ الحق والعدل.

الفنية، وعمق الرسالة التربوية. تجلّى الالتزام في هذه الأعمال عبر تجسيد عدة قيم محورية، منها:

١- حبّ الرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء له، كما جاء في قصة الشهيد خبيب بن عدي: «ثم شهد قومه بعيني رأسه، وهم يمثلون بخبيب حيّاً، فيقطعون من جسده القطعة تلو القطعة، وهم يقولون له: أتحبّ أن يكون محمد مكانك وأنت ناج؟! فيقول والدماء تنزف منه: والله ما أحبّ أن أكون آمناً وادعاً في أهلي وولدي، وأنّ محمداً يُوخز بشوكة...»<sup>(١٢)</sup>.

٢- الدعوة إلى الإسلام بالرفق والحكمة، تجلّى في قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، حيث أوضح الباشا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام برقة، فقال: «فجئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، ومعى أبو هريرة، فقال لي النبي عليه الصلاة والسلام: ما وراءك يا طفيل؟ فقلت: قلوبٌ أكنّة، وكفرٌ شديد... فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ وصلى ورفع يده إلى السماء...، ثم جعل يقول: اللهم اهد دوساً... ثم التفت إلى الطفيل وقال: ارجع إلى قومك، وارقق بهم، وادعهم إلى الإسلام»<sup>(١٣)</sup>.

٣- فضل العلم ومنزلته، حيث نقل الباشا أقوال سليمان بن عبد الملك لابنه في رفع قيمة العلم فقال: «يا بني... تعلموا العلم... فبالعلم يشرف الوضع، وينبّه الخامل، ويعلو الأرقاء على مراتب الملوك... لقد كان عطاء بن أبي رباح في صغره عبداً مملوكاً، غير أن الله أكرمه بأن وضع قدميه منذ نعومة أظفاره في طريق العلم»<sup>(١٤)</sup>.

**خلاصة القول:** يختتم عبد الرحمن رأفت الباشا رؤيته بالقول: إن الأدب الإسلامي يحمل رسالة ثقافية وإنسانية متوازنة، تجمع بين حرية الإبداع ومسؤولية التعبير، متجدد الشكل وثابت المضمون. وهو الأدب الذي ينهل من التراث الإسلامي الأصيل، ويواكب روح العصر بلغة تجمع بين الجمال والرسالة الأخلاقية.

## المحور الثالث

### الالتزام في كتابات عبد الرحمن رأفت الباشا القصصية والتاريخية

لا يمكن الحديث عن عبد الرحمن رأفت الباشا دون أن نؤكد على تميّزه في تجسيد الالتزام الإسلامي في الواقع العملي، عبر مؤلفاته القصصية والتاريخية التي تخطت حدود التنظير لتصبح تطبيقاً حياً لفكرته الإبداعية الملتزمة.

وقد برزت في مسيرته سلسلة مؤلفات مميزة، من أهمها: «صور من حياة الصحابة»، و«صور من حياة التابعين»، و«صور من حياة الصحابيَّات»، حيث اهتم بتقديم قصص مستمدة من سير هؤلاء الأبطال والقداوات بأسلوب سردي قصصي يجمع بين المتانة



في خاتمة هذا المقال.. يتضح أن الالتزام في الأدب الإسلامي، كما جسده رؤية عبد الرحمن رأفت الباشا، ليس مجرد تقيّد فارغ، بل هو روح متجددة تنبع من جوهر الإيمان والعقيدة، تحمل الرسالة من القلب إلى القلوب. هو التقاء بين عمق التراث وروح التجديد، بين الثبات والتغيير الذي يخدم النهضة الحقيقية للأمة.

لقد أظهر الباشا بوضوح أن الالتزام في الأدب الإسلامي لا يقيّد حرية المبدع، بل يوجهها ويمنحها معاني سامية ترتكز على قيم أصيلة، ففي زمن يغرق فيه الإنسان في متاهات العالم، يظل الأدب الإسلامي ملتزمًا برسائله الإنسانية التي تدعو إلى الحق والجمال والخير.

ومن خلال مؤلفاته القصصية، نجح في تحويل التاريخ إلى مدرسة تربية وتحفيز، حيث تُرى القيم الإسلامية في أبهى صورها، فالالتزام ليس فقط مبدأً نظريًا، بل هو دليل حي يتجسد في الإنتاج الأدبي الارتقائي.

إن الالتزام في الأدب الإسلامي كما يقدمه عبد الرحمن رأفت الباشا هو منطلق للإبداع الحقيقي، ومناورة للمثابرة في الدفاع عن القيم، ورسالة من نور تخترق ظلمات الجهل والتشويه، تأخذ بيد القارئ إلى معان سامية، ولا تزال هذه الرؤية حيةً تتجدد مع كل مفجر جديد في عهدنا الراهن.

٤- اجتناب فضول الكلام، حيث نقل وصية عطاء بن أبي رباح: «يا ابن أخي... إن الذين منُّ قبلنا كانوا يكرهون فضول الكلام... وكانوا يعدّون كل كلام فضولًا ما عدا كتاب الله يُقرأ ويُفهم، وحديث رسول الله يُروى ويُدرى، أو أمرًا بمعروف ونهيًا عن منكر...»<sup>(١٥)</sup>.

٥- البطولة والثبات في الميدان، واستعرض موقف صفية بنت عبد المطلب في معركة أحد: «طرحت سقاءها أرضًا... وهبت كاللبنوة التي هُوجم أشبالها، وانتزعت من يد أحد المنهزمين رمحه، ومضت تشقّ به الصفوف، وتزأر في المسلمين قائلة: ويحكم، أتهزمون عن رسول الله؟»<sup>(١٦)</sup>.

٦- الصبر على البلاء والرضا بالقضاء، حيث ختم بتصوير صبر صفية على استشهاد أخيها حمزة رضي الله عنه: «وقفت على أخيها حمزة، فوجدته قد بقر بطنه، وأُخرجت كبده، وجُدِعَ أنفه، فاستغفرت له، وجعلت تقول: إن ذلك في الله... لقد رضيت بقضاء الله، والله لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله»<sup>(١٧)</sup>.

باستعراض هذه النصوص، يبرز جليًا كيف نجح عبد الرحمن رأفت الباشا في تحويل التاريخ إلى تجربة حيّة تنبض بالمعاني والقيم، وجعل من الأدب أداة تعليمية وتربوية تعزز الإيمان، وتثري الوجدان، وتجمع بين الفكر الرسالي، وروح الإبداع الفني.

### الهوامش:

- (٩) ابن سعد، (محمد بن منيع)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ)، ج ٤، ص ٤٥-٤٦.
- (١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٤٢.
- (١١) انظر: المصدر السابق، ص ١٧١.
- (١٢) عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة الصحابة، ط ١، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م، ص ٨.
- (١٣) المصدر نفسه، ص ١٩.
- (١٤) انظر: عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ط ١، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م، ص ١٢.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ١٥.
- (١٦) انظر: عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة الصحابييات، ط ١، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م، ص ٢٧-٢٨.
- (١٧) المصدر نفسه، ص ٢٩.

- (\*) باحث من النيجر، في مرحلة الدكتوراه، اللغة العربية والبلاغة- جامعة مرمرة، البريد الإلكتروني: kassimou227@gmail.com
- (١) أفاد يمان بن عبد الرحمن الباشا بذلك عبر تواصل مباشر بتاريخ ٢٨ أبريل ٢٠٢٥م.
- (٢) انظر: مجلة الأدب الإسلامي، مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، العدد ٧٤، عدد خاص، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٦-٧.
- (٣) عبد الرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٥، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ص ١٤٩.
- (٤) المصدر نفسه، ص ١٤٩. وانظر أيضًا: ابن منظور، لسان العرب، مادة «لزم»، دار صادر، بيروت، ج ١٢، ص ٥٤٢.
- (٥) المصدر نفسه، ص ١٤٩.
- (٦) انظر: المصدر نفسه، ص ١٥٠-١٥٢.
- (٧) المصدر نفسه، ص ١٥٥.
- (٨) القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآيات ٢٢٤-٢٢٧.



# سعادة خفية



محمود مصطفى حلمي  
مصر

عنهم بعض عناء الحياة. كانت تسير في ذلك اليوم في نشاطها المعتاد، فجأة بهت نور الشمس، وحلّ مكانه ظل طارئ من أثر الغيوم التي ملأت السماء، بل صنعت تحتها غطاءً شاسعاً، رعدت السماء، وهبّت ريح باردة أطارت خصلات شعرها حول رأسها.

أوحى الجو بمطر قريب، اجتهد المارة في السير هرباً، لكنها على عكسهم أبطأت خطواتها، لم تحب مثل المطر يوماً أن تسير تحت قطراته، وأن تنسدل خيوطه فوق جبينها كأنها سلاسل ذهبية تزين صفحة وجهها، تسعد كثيراً بتناثر حبات الماء على كتفها، وحين تتعانق ذرات الرذاذ حول جسدها النحيف.

كانت تتأمل فيمن حولها.. الجميع يهرب. كانت تتعجب منهم كثيراً، كيف يهربون من الخير؟! كيف يشعر الإنسان بعظمة الخالق

بخطوات مسرعة سارت بين زحام كثيف تتلاحم فيه أجساد البشر، كانت تتخطى الجميع بسهولة ورشاقة، ساعدها على ذلك جسدها النحيف، وعودها الفارع، ورغم نحافة جسدها؛ قوامها حاد، وهيئتها رياضية، نظرتها حادة يتخللها حياءً ساكناً وخطواتها سريعة تحاول أن تسابق بها الزمن.

اسمها سارة، ربما كان لها النصيب الأكبر من ذلك الاسم، كان كل شيء يسرّها حقاً، كانت تبحث بعناية عن قطرات السعادة وسط أمواج الحزن المتدفق من بحر الحياة، دوماً كانت تسعى لإسعاد نفسها وغيرها.

كانت تحب التجول في الطرقات كثيراً، تتأمل في عيون المارة، وتتبسم في وجوههم رغم الكآبة التي كانت تملأ الكثير من تلك الوجوه. كان في اعتقادها أن تلك الابتسامة ربما تخفف



حاولت أن تداري ألم قلبيها، تلك المرة صنعت  
ابتسامتها بصعوبة لتطمئن الصبي، نطقت بصوت  
حان غلبته الشفقة:  
-أنا سارة.

لم يرد الصبي عليها، مازال الخوف مسيطراً  
عليه، مدّت هي يدها لتمسك بيده، لكنه لم  
يستجب لها، فسحب يده وخبأها وراء ظهره.  
تمهدت قليلاً، واقتربت منه أكثر، زادت ابتسامتها  
اتساعاً، الأمطار مازالت تهطل عليهما بشدة،  
تعرف أن مثل هذا الصبي لم يجد من يأخذ بيده  
يوماً؛ لذا فالخوف أمر معتاد لديه، نطقت بمزيد  
من الكلمات علّها تطمئنه أكثر.

-لا تخف مني.. أريد مساعدتك.  
هدأ أنين الطفل قليلاً، استسلم لها، ترك لها  
يديه، فأطبقت عليهما بيديها بقوة، شعر الصبي  
بدفء يسري في أوصاله رغم برودة يديها مثله،  
لكن صدقها ودفء مشاعرها كان مصدر تلك  
الحرارة، أرادت أن تبعث مزيداً من الطمأنينة في  
قلبه، فاقترحت عليه اقتراحاً طفولياً.  
-ما رأيك أن نتسابق سوياً إلى مدخل تلك  
البناية الكبيرة؟! ومن سيسبق منا سيفوز  
بقطعة من الحلوى.

نظر إليها الصبي خوفاً، فالاختباء من المطر في  
مدخل أحد البنائيات قد خطر بباله بالتأكيد،  
لكن عقاب الحراس كان يخيفه بشدة، فمثله لا  
يكون مرحباً به في أي مكان، قرأت سارة ما يدور في  
خلده، فأرادت أن تقطع عليه مخاوفه:  
-لا تخف، لي أقارب هناك، ولن يؤذينا أحد.

زال الوجع من وجه الصبي، وانفجرت أساريره  
قليلاً، قام معها، وتشبث بيديها، تحت خيوط  
المطر تسابقاً معاً إلى مدخل البناية، علّت  
الضحكات وجههما، شعر الصبي بسعادة تلمس  
قلبه على غير العادة، وكان بعض الأمان يدفئ  
جسده النحيل، يعلم أن هذه السعادة وهذا الأمان

إن لم ير ذلك المشهد بل ينغمس فيه،  
حين تعانق صفحة السماء أكوامُ  
السحاب ليخرج منها وابلٌ طيبٌ يصيب الأرض  
بخير وفير!؟

تحت قطرات المطر سارت نحو مكان واسع، كان  
يحيطه بعض البنائيات القديمة، يتوسطها حديقة  
ذات حشائش ذابلة. رأت تلك الحشائش تبتهج  
فرحاً بالقطرات التي ستعيد إليها نضارتها، كانت  
تعشق ذلك المنظر، حين تغازل قطرات المطر  
أوراق الأشجار لتملأها بالبهجة، فيتحول لونها إلى  
الأخضر الزاهي تحت ضوء النهار، لم تجد أحداً  
سواها يسير تحت المطر، فتحت ذراعيها مبتسمة  
كأنها طائر يريد التحليق في فضاء السماء.

جذب سمعها صوت خافت!.. يبدو أنين طفل  
صغير، تتبعت الصوت فإذا هو ينبعث من إحدى  
الزوايا خلف جدار إحدى البنائيات، اقتربت منه  
مع تسارع دقات قلبها، لم يكن يؤرقها يوماً مثل  
بكاء الأطفال، وصلت إليه ودققت نظرها، فإذا  
هو طفل صغير قد انكمش على نفسه في وضع  
الجلوس واضعاً رأسه على ركبتيه وبين يديه  
محاولاً الاحتماء من غزارة الأمطار، لكن رذاذ الماء  
كان يغرقه رغم التصاق ظهره بالحائط وراءه، لم  
يجد مفرأً آخر يلجأ إليه، فلجأ إلى البكاء علّه يجد  
فيه دفئاً لجسده المرتعش أو سلوى لقلبه الحزين.  
تأملته سارة جيداً، حاله يرثى له، للمرة الأولى  
شعرت بقسوة المطر، اقتربت أكثر من الصبي،  
توقفت أمامه، ثم نزلت إلى الأرض مستندة إلى  
ركبتيها، مدت يدها إليه، انتفض جسد الصبي  
ذعراً حين لامست يدها كتفه، أخرج رأسه من  
بين ذراعيه، المياه تنحدر عليها بغزارة، نظر إليها  
بعينين خائفتين، جسده ينتفض، وأنامله ترتعش  
خوفاً وبرداً، ملابسه ممزقة، وقدماه حافيتان قد  
غطتهما الأوساخ، لم يستطع لسانه البوح بكلمة  
واحدة، لكن نظراته كانت تنطق بمئات الكلمات،



مشاركته فيها، قسمتها نصفين، وأعطت له أحدهما، تناولها بأنامله الرقيقة، ودون تردد انكب يأكلها بنهم شديد.

بدأت تتناول نصيبها معه، وتشابكت يدهما الأخریان، شعرا بتقارب طفولي يسري بينهما، رأت في وجهه سعادة كانت تظن أنها غير موجودة في هذا العالم، أخذت تضاحكه فتشعر بأن ضحكته أنهار من النور تتدفق لتمحو ظلام الدنيا وكآبتها. للمرة الأولى تعلم أن هناك أطناناً من السعادة بين شفاه الأطفال، وحول أنامل المحرومين.. علمت حينها أن فرحة قلبها يمكن أن تشتعل بإسعاد غيرها دون انطفاء، ويمكن أن تعيش أجمل لحظاتها حين تُدخل السرور على من لم يجد إليه سبيلاً.

سرعان ما سيزولان، لكنه يحاول أن يستمتع بتلك اللحظة قدر الإمكان.

للمرة الأولى تمنى قلبه ألا ينتهي المطر حتى لا تنتهي رفقته، وصلاً لمدخل البناية معاً، لم يكن هناك حارس، دخلاً إلى رواق واسع، وجداً سلباً عريضاً فجلسا عليه متلاصقين، نزعتهما بردة كتفهما، ووضعتهما على كتفيه، تبسم في وجهها أكثر، للمرة الأولى ترى سارة ابتسامة كتلك، كانت بريئة للغاية، تطفو فوق سطح بحر من الآلام، وتخرج من بين أسنان غطتها الأدران، وشفاه شققها قسوة الأيام.

تهللت أساريرها لبسمة، وأخرجت من حقيبتها قطعة من الحلوى، أرادت أن تعطيها كلها له، لكنها أحببت أن تعيش معه تلك اللحظة، فقررت

خاطرة



## حبل غسيل صامت

ريم سليم - فلسطين

بالرغم من أن رائحة الموت كانت قريبة، على بعد أربعة أمتار فقط، حيث كانت تقف دار الجيران.. استشهد جميع سكانها، ولم يتبق سوى بضع قطع ملابس تتأرجح على الحبل. ذلك الحبل الذي كان صوته يزعجني دائماً.. كنت أتذمر كلما رأيت جارتي تنشر الغسيل أمام نافذة غرفتي.. أين هي الآن؟! كم أتمنى لو تعود من تحت الأرض!.. كم هو مرعب أن يموت شخص كنت أراه وأسمعه يومياً ببساطة!.. تنهدت وأغلقْتُ الكتاب في يأس.. بدأت أسترجع ذكرياتي القديمة، محاولاً تذكر طعم السعادة.. كيف كان طعمها؟ أتساءل الآن..

في قلب غزة، حيث كانت السماء ترتجف بأصوات الانفجارات، والأرض تهتز تحت أقدام منهكة، جلسْتُ تحت ضوء القمر الخافت.. أسندتُ رأسي على يدي بينما كانت الأخرى تحمل كتاباً.. هروباً عابراً من هذا العالم، ومن الواقع المرير الذي يحيط بي. متى كانت آخر مرة شعرت فيها بالامتنان في حياتك؟! استوقفني سؤال في الكتاب.. ما الذي يمكن أن أكون ممتنة له وسط أجواء الحرب؟ ربما فقط أنني ما زلت على قيد الحياة، وأن الله قد اختار لي البقاء حتى هذه اللحظة.

# مجاهدة النفس

بَوَارِحَ مَا أَهْدِي بِهِ وَأَتَمِّتُمْ  
وَحَبِّبَ لِي رُكْنَ مِنَ الدَّارِ مُظْلِمُ  
فُنُونُ فَعَدْبُ مُسْتَطَابٍ وَعَلَقَمُ  
أَخْطُ بِكَفِّي الْحَيَاةَ وَأَرْقُمُ  
يُسَائِلُ عَنِّي بُزْهَةً ثُمَّ يَسْأَمُ  
وَإِنْ كَانَ لِي فِيهِمْ مَكَانٌ مُقَدَّمُ  
مَعَانِي نَفْسٍ وَجُدْهَا وَالتَّكْتُمُ  
وَتَبْنِي جُدُودًا لِلِسَمَاءِ فَتَهْدِمُ  
يَمِيلُ عَلَى الصِّمِّ الْجَلَادِ فَيَحْطُمُ  
لَمَّا قُلْتُ -مَعَ جَهْدِ الصَّبَابَةِ- أَنْتُمْ  
أَلَا إِنَّمَا ذَاكَ السَّعِيدُ الْمُسَلَّمُ  
لِيُبْلَى بِهَا فَالِنَّاسِ بَاغٍ وَمُحْجَمُ  
إِلَيْهِمْ فَلَمَّا تَبَرَّحَ النَّفْسُ تَظْلِمُ  
فَجَلُّ الْهَوَى -لَوْ تَسْتَبِينُ- جَهَنَّمُ  
نَوَازِعُ شَتَّى فَهَوَ خَيْرَانُ أَهْيَمُ  
يَمُتُ نَادِمًا هَمَّاتٍ يُجْدِي التَّنَدُّمُ  
أَوَانٌ وَوَأَفَاهُ مَلَائِكُ جَهَمُ  
وَمِنْ دُونِهِ هَوْلٌ أَشَدُّ وَأَدْوَمُ  
أُلُوفُ أُلُوفٍ كَالشَّابِيبِ تَسْجُمُ  
فِيحْسِيهَا وَاللَّهُ أَوْفَى وَأَكْرَمُ  
إِلَى النَّارِ تَشْقَى ثُمَّ فِيهَا تُضْرَمُ

يَهْوُونَ مَا أَلْقَاهُ أَنْتَكَ تَعْلَمُ  
إِذَا سَتَوَحَّشَتْ نَفْسِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ  
تُعَاقِرُنِي الدِّكْرَى كُؤُوسًا مِرَاجِهَا  
وَتَجْلُو الْمُنَى لِي مَا هَوَيْتُ كَأَنَّمَا  
وَكَمْ مُنْكَرٍ طُولَ اجْتِنَابِي وَعَزَلْتِي  
وَإِنْ كَانَ لِي فِي النَّاسِ ذِكْرٌ مُرَدَّدُ  
فَصَرَفْتِي مَا يَجْهَلُونَ وَعَايَرْتُ  
وَتِلْكَ هِيَ الْأَيَّامُ تَنْسُخُ بَعْضُهَا  
وَإِنَّ الْهَوَى فِي كَفِّهَا شَرٌّ مِعْوَلُ  
وَلَوْ كَانَ لِي مِنْ دَعْوَةٍ مُسْتَجَابَةٍ  
وَلَكِنْ مَلَكَ النَّفْسِ أَنْ تَتَّبِعَ الْهَوَى  
وَلَا حَيَّ إِلَّا ذَائِقُ نَزْعَةِ الْهَوَى  
كَتَهْرٍ أُولِي طَالُوتَ وَالنُّذْرُ سَابِقُ  
وَمَا جَنَّتْهُ الدَّجَالِ فِي الدَّهْرِ بَدْعَةٌ  
أَلَا مَنْ لِعَبْدٍ لَا تَزَالُ تَوُزُّهُ  
فَالِإِلَّا تَدَارِكُهُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ  
كَأَنِّي أَرَاهُ شَاخِصًا لَفَّ سَاقَهُ  
كَأَنَّ لَمْ يَذُقْ لَذًّا وَلَمْ يَغْنِ سَاعَةً  
أَعُوذُ بِرَبِّ الْبَيْتِ مَنْ حَجَّ بَيْتَهُ  
لَوَاهِجُ بِالْحَاجَاتِ شَتَّى هُمُومِهَا  
أَعُوذُ بِهِ مِنْ شَرِّ نَفْسٍ تَجْرُنِي



أبو ربيع الغبني  
غبني



# حكمةُ الشعر.. وشعرُ الحكمة

ويقطع البعض الآية التي تطرقت إلى ذم شعراء الجاهلية، فيذكر قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء ٢٢٤].. مع أن هناك استثناء في الموضوع كما هو معلوم، فالنقد منصبٌ على شعراء المرحلة التاريخية قبل الإسلام، وهيامهم حول كل موضوع قد يناقض حقيقة أو يضر بأحد.. ثناء على الإيمان ومواقفه بالضد من عقائدهم الباطلة، ودهريتهم التي زينت لهم ما رفضه الإسلام.

وكذلك انتقد النص الأزواجية بين القول والفعل.. لعقائدهم الباطلة ودهريتهم. فهذا التصفير للشعر يشبه اقتطاع هذا المقطع من الآية، وهو قوله تعالى: ﴿قَوْلًا لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون ٤]؛ والتي تهدد المصلين من المشركين أو غيرهم، لكونهم غافلين عن مقتضيات صلاتهم، فيجب أن لا يفصل عن سياقها الموضوعي. فالقرآن ذم شعراء عصره في مكان التنزيل خاصة وزمانه، واستثنى منهم من يوظف الشعر لأغراض إيمانية وقيمية لا مزاجية متقلبة وأهوائية.

وهذا لا يعني تجاهل ما جرى للمنهج الشعري من تحوله عند شعراء معينين إلى آلية كسب المال والجاه، فضلاً عن ظهور الأغراض التي لا تليق بالقيم العليا كالمجون، والتغني بالخمريات، وهجاء المنافسين وتصوير عيوبهم.

وينقل د.زكي مبارك بعض المفاضلات بين الشعر والنثر من آراء بعض النقاد القدامى كالثعالبي والخوارزمي وابن رشيق.. ويخلص إلى أن لكلِّ

الشعر أحد الفنون الجميلة، ويسمها العرب "مُثُلًا رَفِيعَةً" كما ينقل بعض الأدباء، وهم يرون أنه كغيره من الفنون واسطة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، وأنه يقربنا

من المثل الأعلى الذي نتوق إليه، وينزع بنا إلى الكمال المبتغى، وينصر الخير، وينقّر من الشر ويصوّر تنازعهما.

هو في حقيقته ورسالته ليس لغواً، أو هندياً، أو منتجاً كمالياً غير ضروري، أو مجرد ترف أدبي في عالم الثقافة. وهو يتميز بقوة العاطفة، ويؤصل دورها في شحن المعنى، ويبرز موقعها من بنية الكلام كما أن هناك فرقاً بين الشعر والفلسفة في أن الشعر يستعمل الخيال للتعبير.

فالتعبير الشعري يفسح المجال للتخيل أكثر من النثري منه. ولا يعني ذلك الكذب، بل تصور عوالم أفضل وأجمل وأسنى وأطهر وأعمق، وكذلك هو يدعو إلى الحكمة، وهي معنى من معاني الفلسفة. والشاعر قد يكون أقرب إلى الواقع والتفاعل معه من الفيلسوف والحكيم، وإن من الشعر لحكمة كما في الحديث.



محمد رشدي عبيد  
العراق



الأدبي له علاقة بالواقع، كما كان يقوم الشعر أو يعلق عليه، ويوجه الشعراء، بل روي عنه قوله: "إن من الشعر لحكمة"<sup>(٢)</sup>. أما الشعر الذي شبهه الرسول بالقيح فهو في الامتلاء من الأغراض السمجة والمشوهة للإنسان والقيم والحقيقة.

وقد تابع أبو بكر هذا الموقف بإنتاج قصائد نسبت له، كما كان مرجعاً في تحقيقه ورده لأصحابه. أما عمر فقد عرف بميله إلى تمثيل الشعر وتقويمه ونقده كموقفه من الحطيئة وشعره الإشكالي، أو تأنيبه لمن عرّض بامرأة. ويروي عنه قوله: "تعلموا الشعر، فإن فيه محاسن تبتغي، ومساوئ تتقى، وحكمة للحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق"<sup>(٣)</sup>. وقد دعا أبا موسى الأشعري واليه على العراق إلى أن يأمر بتعلم الشعر لتعلم الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب.. لكنه نهى عن إثارة التعصب الطائفي بالشعر مثلاً.

وكذلك انتقد عثمان التشبيب بالنساء في الشعر، وكذلك الهجاء.. أما عليٌّ فقد جاءت روايات تنسب بعض المقطوعات له، لكنه لم يلتفت إلى الشعر ذلك الالتفات الكلي، فقد يكون لزمان الفتنة التي عاصرتها، وقد تكون سيرته قبل الخلافة وبعدها قد حالت بينه وبين صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجذابة، واختيار القوافي المؤثرة. وكذلك حكاية سعد بن أبي وقاص مع أبي محجن الثقفي وسجنه لتغنيه بالخمير.

وجهة وفطرة، وأن الموضوعات هي التي تحدد نوع الصياغة؛ فليس يفترض أن الشعر صالح لكل موضوع، ولا أن النثر صالح لكل موضوع<sup>(١)</sup>.

أما العلاقة التفصيلية بين الإسلام والشعر؛ فمن جهة برأ النص القرآني الرسول من قضية الشعاعية كما هو معلوم، لكن ذلك لا يغض من قيمة الشعر ومكانته دلاليًا وخطابياً، بل هو تقرير حقيقة أدبية، وقضية معرفية، تقرر بأنه ليس شاعراً، ولم يمارس الشعر حرفياً، لأن الشعر اقترن خاصة في أذهان العرب بالشيطنة والشر، كما أنه قد يرفق بالغناء الماجن.. فأبعد القرآن عن منهجه وطريقته.



د. زكي مبارك

أما الخبر في تبغيض الشعر له؛ فلا يعني ذمًا له، بل مخالفة لمضامينه السائدة، كما أن أميته ليست غضباً من الكتابة كما يقول ابن رشيق في العمدة. كما يورد أنه عليه الصلاة والسلام بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر، وكان أحياناً يستشهد بأبيات نادرة من الشعر، وكان أحياناً قليلة يتناقش في بعض الأبيات، ويستنشد أصحابه أحياناً، ويشجعهم عليه كوسيلة إعلامية، وكجزء من الحرب المعنوية، وكجزء من التراث



أبو القاسم الشابي

ويقول الزهاوي يبين رسالته الشعرية:

يا شعر إنك أنت صوت ضميري  
بيديك حزني تارة وسروري  
يا شعر أنت بكاي يوم كأبتي  
وتبسي يا شعريوم حبوري  
أنا أنت يا شعري وأنت أنا فمن  
يقرأك يقرأ سيرتي وشعوري  
ثم يتساءل مخاطباً الشعر:  
هل أنت في بلد أضعك أهله؟  
أم أنت بالإقبال غير جدير!  
يا شعر إنني سوف أدثر في الثرى  
ميتاً وأنت تعيش بعد دثوري  
ولسوف تقرؤك العيون مجلّة  
وتلذذ الأسماع بعد عصور  
يجد الغراب على صموتك عاذراً  
أما الهزارفليس بالمعدور<sup>(٥)</sup>  
ويقول إقبال في تعريفه للشعر وأهميته  
وحقيقته:  
مطلع الحسن ضمير الشاعر  
طوره صبح الجمال الباهر  
زادت الحسنَ جمالاً نظرته  
زادت الفطرة حباً صنعته

## رؤى أخرى للشعر وأهدافه:

ويقال أيضاً: إن الشعر ليس مجرد تزويق للكلمات، بل هو قناة للترويح عن النفس، ولترويح الحقائق والقيم والصور الجذابة، وهو انعكاس لشخصية الشاعر وتجربته الحوية والكونية.. كما أنه لون أصيل وعريق من ألوان الأدب وفنونه ظهر في جميع الشعوب والثقافات، وفي مراحل التاريخ الثقافي كافة كمرآة تعكس رؤى الأمم، وروائع خيالها، وجماليات بلاغتها ولغتها وتاريخها، وملاحمها وملاحمها، وآلامها وآمالها.

قال أبو القاسم الشابي في قصيدة "قلت للشعر" مبيناً بعض أغراض الشعر وأهدافه ورؤاه المشوقة بنظره:

أنت يا شعر فلذة من فؤادي  
تتغنى وقطعة من وجودي  
فيك ما في جوانحي من حنين  
أبدني إلى صميم الوجود  
فيك ما في خواطري من بكاء  
فيك ما في عواطفي من نشيد  
فيك ما في مشاعري من وجوم  
لا يغني، ومن سرور عهيد  
فيك ما في عوالي من ظلام  
سرمدي ومن صباح وليد  
فيك ما في عوالي من نجوم  
ضاحكات خلف الغمام الشroud  
فيك ما في عوالي من ضباب  
وسراب ويقظة وهجود  
فيك ما في طفولتي من سلام  
وابتسام وغبطة وسعود  
فيك ما في شببتي من حنين  
وشجون وبهجة وجمود<sup>(٤)</sup>



تهن الأعرصابُ من (أفيونه)

ويموت الحي من تلحينه  
يسلب القلب ثباتاً لحنه  
ويري الموت حياةً فنه  
يلبسُ النفع لباسَ الضررِ  
ويُري الحسنَ قبيحَ الصورِ

في قصيدة طويلة مركزاً على توصيف سمات  
ولمحات للشاعرين الملتزم صاحب فكرة الفن للفن  
والمجتمع، ومذهب الفن للفن وحده، فضلاً عن  
وصف الشاعرين المتفائل والمتشائم<sup>(٦)</sup>.

وكتب نزار قباني قصته مع الشعر، ونظرته  
لجدواه وأهميته، فالشعراء عنده: "يحركون  
اللغة، ويطورونها، ويحضرونها، ويعطونها هوية  
العصر"<sup>(٧)</sup>، ويؤكد على فرادته وصعوبته وجماليته  
وسيولته، واحتياجه إلى ناقد ماهر لتقويمه:  
"لو كان الشعر وصفاً لأمكن تركيبه في دكاكين  
العطارين، ولو كانت القصيدة شجرة لاكتشفنا  
في أوراقها وغصونها وجذورها كل تاريخ الشجر،  
ولو كان حجراً لعرفنا بعد دراسته مخترباً كل  
أنواع الحجر، لكن الشعر سائل شديد التبخر  
والتمدد، وأفراز إنساني لا يطبق سكتى الأوعية  
والقوارير"<sup>(٨)</sup>، وأنه تجربة ترى من الخارج بشكل  
أفضل.

وهو يرى أن الشعر ليس هو السبب في انحطاط  
الأمة، بل هو مرآة لتقدمها وانحطاطها، وأن  
الخطيئة ليست خطيئة الشعر، بل خطيئة من  
يكتبونه، ومن لا يقدرون حتى الشاعر المجيد  
إلا في حفلة تأبينه. ورؤيته قد تكون مبالغاً فيها،  
فهناك تكريم للشاعر الأصيل المبدع.

ويسرد نزار قباني مابيناً هويته الشعرية، وتاريخ  
ولادته شاعراً واصفاً بيئته التي حبت له الشعر  
العربي والفرنسي والإسباني، فينقل عن الجاحظ  
قوله: "إن الشعر هو فضيلة العرب". ثم يستطرد  
في وصف شاعريته، ونظرته لضرورة الشعر

غرد البلبلُ من تلحينه

ضياء خد الورد من تلوينه  
ناره كل فرّاش كاويه  
قصص العشاق منه زاهيه  
مضمرفي خلفه بحرٌ وبرٌ  
ألف كون ربّما فيه استنز  
كم شقيق في الحشا لم يطلع  
وغناه وبُكاً لم يُسمع  
فكره للبدر والنجم نجّي  
يبدع الحسن وفي القبح عيّي

إلى أن يقول:

لطفت في سيرنا حيلته  
وعلت في ركبنا نغمته  
يحفز الركب لفردوس الحياة  
ويتم الدور في قوس الحياة  
فمضى الركبان إثر الجرس  
وشدا الحادي بصوت مؤنس  
وسرت في زهرنا نفحته  
مذسرت في روضنا نغمته  
نفسٌ منه حياة تزهر  
حرة لوامة لا تصبر  
يأدب الناس جميعاً للقرى  
ناره كالريح تسري في الورى  
ويكمل لوحته التي تعكس جمالية الشعر  
وحكمته:

وغناه وبُكاً لم يُسمع

فكره للبدر والنجم نجّي

كما ينتقد الشعراء السلبين الذين يوهنون  
عزائم الإنسان، ويطفئون شوقه للحياة فيقول:

ويل قوم لهلاك طائره

صد عن ورد الحياة شاعره

كل حسن شاه في مرآته

في الجسموم السم من جرعاته

تذبل الأزهار منه القبل

ويعاف الشدومنها البلبل



حافظ إبراهيم

معين وحاجات محدودة في التاريخ؛ يقول حافظ إبراهيم:

ضعت بين النہی وبين الخيال  
يا حكيم النفوس يا ابن المعالي  
ضعت في الشرق بين قوم هجود  
لم يفبقوا وأمة مكسال  
قد أذلوك بين أنس وكأس  
وغرام بظبية أو غزال  
ونسيب ومدحة وهجاء  
ورثاء وفتنة وضلال  
وحماس أراه في غير شيء  
وصغار يجرديل اختيال  
عشت ما بينهم منذ الأ مضاعاً  
وكذا كنت في العصور الخوالي  
حملوك العناء من حب ليلي  
وسليبي ووقفلة الأطلال  
وبكاء على عزيزتولي  
ورسوم راحت بهن الليالي  
وإذا هم سموا بقدرك يوماً  
أسكنوك الرحال فوق الجمال  
آن يا شعر أن نك قيوداً  
قيدتنا بها دعاء المحال  
فارفعوا هذه الكمائم عنا  
ودعونا نشم ریح الشمال<sup>(١٤)</sup>

للتعبير عن مكنونات النفس البشرية مشبهاً له بقنديل أخضر.

ويبين الشافعي أهمية الأدب بمعانيه الوافرة، ومنه الشعر، وينعى على بعض من لا يقدرّون أهميته للثقافة والحضارة، إذ لا يستغنى عنه لتشكيل الهوية المعنوية للشعب:

أصبحت مطّرحاً في معشر جهلوا

حق الأديب فباعوا الرأس بالذهب

والعود لو لم تطب منه روائحه

لم يفرق الناس بين العود والحطب<sup>(١٥)</sup>

ويرى بعض النقاد أن: "الشعر هو بيان العواطف ووصفها عن طريق الكلمات"<sup>(١٦)</sup>. ويرى أحد الكتاب الأوربيين أن "الشعر هو كل ما يطرأ على القلب من حماسة أو تعجب أو حيرة أو أي نوع آخر من التأثير". وبناء على هذا فإن السماء الزرقاء، والنجم الساطع، ونسيم السحر، والشفق الوردي، وابتسامة الوردية، وسعادة رياح الصبا، وأنين الليل، ووحشة الصحراء، ونضارة الروح جميعاً من عوالم الشعر"<sup>(١٧)</sup>.

والعجيب أن فريد الدين العطار قال هذا الرأي قبل ستة قرون. وإذا كانت: "الموسيقى تستمتع بها قوة السمع فقط، ولا يمكن أن يكون لها أي فائدة بدون حاسة السمع، والرؤية والنظر شرط للتأثر بالتصوير، لكن الشعر يستطيع أن يؤثر على جميع المشاعر"<sup>(١٨)</sup>، ثم إن "الشعر تعبير فني بطريق الكلمة الموزونة عن داخلية مثارة بمثير داخلي أو خارجي"<sup>(١٩)</sup>.

وعن حكمة الشعر وأهدافه النبيلة المتمثلة في العقل (النهي)، والخيال الذي يسمو بالمتلقي لعوالم مرفرفة، وأن لا يكون همه منحصرأ في الأغراض التقليدية السائدة في عصر



مصطفى الشكعة

النصوص الشعرية.. أو أنه نمط تأويل أصحابه للنص الديني.<sup>(١٥)</sup> ومنهم من عزا الاختلاف بين المرحلتين إلى أن النبي ومن ثم الخلفاء والعلماء كان لهم موقع متميز على خلاف منزلة الشاعر، أو لأن هناك بعداً أخلاقياً في الموضوع كالصدق الموضوعي. ومنهم من جعل بعض إنتاج المستشرقين النقدي هو السبب لتقليلهم من أهمية الشعر في المرحلة المابعدية.

ويرى بعض النقاد أن الشعر الإسلامي ضعف مستواه الأدبي لتأثير البلاغة القرآنية المعجزة والفريدة، وكذلك للانشغال بمتطلبات الخطاب الجديد والتزاماته ورؤاه وتصوراته، وكذلك بفضاءاته الساخنة بالصراع السياسي.

وممن ذهب إلى ذلك ابن سلام الجمحي في طبقاته، وكذلك الأصمعي، نقله عنه ابن قتيبة في الشعر والشعراء، مستشهداً بشعر حسان بين الجاهلية والإسلام. أما ابن خلدون فقد انساق نحو نفس النظرية وكأن هزة هزت الشعراء بسبب الجو الديني، ثم عادوا لإنتاج الشعر حيث لم ينه النص عنه بالإطلاق، وخاصة أن النبي سمعه وأثاب عليه.

ومن المعاصرين من النقاد من سائر الأقدمين في هذا التصور وهذه المقارنة كالمبيني في كتابه (تاريخ الشعر العربي)، ومصطفى الشكعة في (الأدب في موكب الحضارة)، وعبد القادر القط في (الشعر الإسلامي والأموي).. وكذلك عمر فروخ في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، وبنيت الشاطي في كتابها (قيم جديدة للأدب العربي)..

لكن آخرين مثل د. شوقي ضيف، وسامي العاني من الذين لم يذهبوا هذا المذهب.. وكانهم يرون أن هذا التعليل سببه عدم الاطلاع الكافي على

#### الهوامش:

- ١- النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، (٢٠١٠م)، من المقدمة، ص ٣٤.
- ٢- العجلوني، كشف الخفاء، رقم ٧٨٥.
- ٣- الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، د. نايف معروف، بيروت، دار النفائس، ط ٤، (٢٠٠٨م)، ص ١٧٠.
- ٤- روائع الشعر المعاصر، أنس بدوي وحسان الطيبي، ط ١، بيروت: دار المعرفة، (٢٠٠٥م)، ص ٨٢.
- ٥- شعراء معاصرون، د. سعدي عمران، ط ١، بيروت، دار الكاتب العربي، (٢٠١١م)، ص ٤٩.
- ٦- ديوان محمد إقبال، أعداد سيد عبد الماجد الغوري، ط ١، ج ١، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، (٢٠٠٣م)، ص ١٤٩-١٥٠.
- ٧- قصتي مع الشعر، نزار قباني، ط ٨، بيروت: منشورات نزار قباني، (١٩٩٧م)، ص ٥١.
- ٨- نفسه، ص ٢٣-٢٤.
- ٩- دراسة فنية في شعر الشافعي، د. حكمت صالح، الموصل، مطبعة الزهراء، (١٩٧٣م)، ص ٢٢٩.
- ١٠- نفسه، ونفس الصفحة.
- ١١- شعر العجم، شبلي النعماني، ت: جلال السعيد الحفناوي، ط ١، ج ٣، القاهرة: المركز القومي للترجمة، (٢٠١٧)، ص ٢٠.
- ١٢- شعر العجم، ص ٢١.
- ١٣- أوراق من دفتر الروح، د. عيسى علي العاكوب، ج ٢، بيروت: الهيئة السورية العامة للكتاب، (٢٠١٢م)، ص ٩٥٩.
- ١٤- روائع الشعر المعاصر، ص ١٨٦-١٨٧.
- ١٥- الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، د. نايف معروف، ط ٤، بيروت، دار النفائس، (٢٠٠٨م)، ص ٢٦٣-٢٨٠.

- ١- النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، (٢٠١٠م)، من المقدمة، ص ٣٤.
- ٢- العجلوني، كشف الخفاء، رقم ٧٨٥.
- ٣- الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، د. نايف معروف، بيروت، دار النفائس، ط ٤، (٢٠٠٨م)، ص ١٧٠.
- ٤- روائع الشعر المعاصر، أنس بدوي وحسان الطيبي، ط ١، بيروت: دار المعرفة، (٢٠٠٥م)، ص ٨٢.
- ٥- شعراء معاصرون، د. سعدي عمران، ط ١، بيروت، دار الكاتب العربي، (٢٠١١م)، ص ٤٩.
- ٦- ديوان محمد إقبال، أعداد سيد عبد الماجد الغوري، ط ١، ج ١، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، (٢٠٠٣م)، ص ١٤٩-١٥٠.
- ٧- قصتي مع الشعر، نزار قباني، ط ٨، بيروت: منشورات نزار قباني، (١٩٩٧م)، ص ٥١.



لَمَّا ضَاقَتْ وَوَهَتْ حُجَّجِي فَظَنَنْتُ بِأَبِي غَيْرُ نَجِي  
 نَادَيْتُ وَصَبِحِي لَمْ يُعْجِ اشْتَدِّي أَرْمَهُ تَنْفَرَجِي  
 قَدْ أَدْنُ لَيْلِكَ بِالْبَلَجِ  
 وَإِذَا اشْتَدَّتْ وَعَلَا رَهْجُ وَدَجَا مَا كَانَ بِهِ بَلَجُ  
 فَاصْبِرْ فَالضَبِيقُ لَهُ فَرْجُ وَظِلَامُ اللَّيْلِ لَهُ سَرْجُ  
 حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السَّرْجِ  
 دَعَا تَجْرِي فَلَهَا قَدْرٌ وَلِكُلِّ وَقْتٍ مَعْتَبِرُ  
 وَرِيَا حُ الْجُودِ لَهَا نَشْرُ وَسَحَابُ الْخَيْرِ لَهَا مَطْرُ  
 فَإِذَا جَاءَ الْإِبَّانُ تَجِي  
 قَسَمًا مَا تَمَّ لَنَا عَمَلُ وَعَنْ التَّفْصِيلِ بِنَا مَلَلُ  
 أَوْ كَيْفَ يَخِيبُ لَنَا أَمَلُ وَفَوَائِدُ مَوْلَانَا جَمَلُ  
 لَشُرُوحِ الْأَنْفَسِ وَالْمَهْجِ  
 أَكْرِمُ فِي الْجُودِ بِهَا مَدَدَا نِعْمًا لَمْ نُحْصِ لَهَا عَدَدَا  
 مِنْهَا يَتَضَوُّعُ نَشْرُ هُدَى وَلَهَا أَرْجُ يُحْيِي أَبَدَا  
 فَاقْصِدْ مَحْيَا ذَاكَ الْأَرْجِ  
 إِنْ عَزَّ مَرَامٌ أَوْ أَعْيَا أَوْ جَفَّ تَرَى تِلْكَ الْأَحْيَا  
 أَوْ غَاضَ سَحَابُ سَمَا الْعُلْيَا فَلَرُبَّتَمَا فَاضَ الْمَحْيَا  
 بِبُحُورِ الْمَوْجِ مِنَ اللَّجَجِ  
 قَسَمَ الْأَشْيَاءَ بِسَرْمَدِهِ فَسَعِيدٌ ذَا لَتَعْبُدِهِ  
 وَشَقِيٌّ ذَا لَتَبْعُدِهِ وَالخَلْقُ جَمِيعًا فِي يَدِهِ  
 فَذُوو سَعَةٍ وَذُوو حَرَجِ  
 وَكَذَلِكَ النَّاسُ جَمِيعُهُمْ لِنَهَارِ الْحَشْرِ رَجُوعُهُمْ  
 عَاصِبُهُمْ ثُمَّ مَطِيعُهُمْ وَنَزُولُهُمْ وَطُلُوعُهُمْ  
 فَإِلَى دَرَكٍ وَعَالَى دَرَجِ  
 سَادَتْ بَعْلَاهُ مَرَاتِمُهُمْ وَصَفَتْ بِرِضَاهُ مَشَارِمُهُمْ  
 وَنَمَتْ بِهُدَاهُ مَكَاسِمُهُمْ وَمَعَانِشُهُمْ وَعَوَاقِبُهُمْ  
 لَيْسَتْ فِي الْمَشِيِّ عَالَى عَوَجِ  
 كَمْ قُلْتُ لَنْ أَمْسَى لَهْجَا رَفَقًا لَا تَحْسُ ظِلَامَ دُجَا  
 وَلَهَا فَاصْبِرْ وَارْجُ الْفَرْجَا وَرَضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ حِجَا  
 فَعَالَى مَرْكَوزَتِهِ فَعِجِ

# اشتدي أزمة تنفرجي

شعر:  
ابن مليك الحموي

• ابن مليك الحموي: (٨٤٠-٩١٧هـ) هو علاء الدين علي بن محمد... شاعر من العصر المملوكي. ولد بحماة، وبرع في الشعر، ومدح النبي ﷺ بعدة قصائد، وختم "المنفرجة" التي تنسب إلى ابن النحوي، وإلى أبي حامد الغزالي أيضاً، توفي بدمشق.

# وقفة على قصر المنتزه

نوال مهني  
مصر

خواطرها هنا طافت ببالي  
تحيط بها القباب على التوازي  
بأبواب بديعات الجمال  
يضوع أريجها عبر المجال  
قطوف دانيات في الظلال  
يدندن بالغناء والابتهاج  
تراها عن يمين أو شمال  
وقد صيغت على غير المثالي  
وفي نظراتها سيما التعالي  
وليس له شبيهه في الخيال  
غدا تصميمه عين الكمال  
وحليات من الحسن المغالي  
حوى من كل مرغوب وغال  
من التحف الثمينه واللاي  
وكم حفلت بربيات الدلال  
وكم ملئت بأصحاب المعالي  
بشوب العز يرفل والجلال  
من الذكرى لأيام خوالي  
فأين التاج والجلف الموائي  
وأين ظباؤه البيض الغوالي؟  
وقرت عين حساد وقال  
وكل وعودها محض احتمال  
وكم أمسى النعيم إلى زوال!  
فمن ينبئك عن حلق الليالي؟  
وسلّم للقضاء بكل حال  
فلا تحزن على جاء ومال

سرايا تلك أم حلم الليالي  
ببروج شامخات في إباء  
وأسوار محصنة تباهي  
وأزهارها الأفنان تزهو  
وذي الأشجار في نسق بديع  
بكل خميلة ركن فخيم  
جموع من طيور صادحات  
نوافير تصب الماء عذبا  
تمائيل تحاور زائرها  
طرار في محاسنه فريد  
تباري كل مشال خبير  
زوايا القصر زانتها رسوم  
أثبات أو ريباش في بهاء  
فكل نفائس الدنيا تراها  
وذي القاعات كم شهدت فنونا  
وكم ضمت مجالسها ملوكا  
وكان الأناض يأنس في حماها  
سرايا المملك صار اليوم رمزا  
رياح من صروف الدهر هبت  
وأين المملك والمملك المفدى  
تفترق ساكنوه فلا لقاء  
وذي دنياك تأخذ حين تعطي  
فكم أزلت بأقوام عتاة  
تمر الحادثات بلا نذير  
فهوّن من عناء النفس تهدأ  
هو الإيمان لا حصن سواه



أ. د. عبد الملك بومنجل<sup>(١)</sup>  
الجزائر

# مصادر الصورة الفنية في شعر محمد إقبال

## ١. عالم إقبال: الذات، الطبيعة، القرآن، فلسفة الروح

يكشف لنا ديوان إقبال عن شخصية طافحة بوجودان متدفق بالمشاعر، وذات متوثبة إلى التحرر، وذهن متوقد بالفكر والفلسفة، وحضور قرآني مؤسس لكل ذلك، موجّه له. وللطبيعة في كل ذلك حضورٌ لافت، وصوتٌ هادر. وللروح في هذا العالم منزلة المحور الذي تدور عليه حياة الشاعر كلها: مشاعره وتجاربه وفلسفته وأفكاره. إنه شاعر الروح، وفيلسوف الذاتية<sup>(١)</sup>. الشاعر الذي التقت الفلسفة والشعر في حياته على مسرح الذات؛ فكان كل منهما يغرف من الآخر، وكانت

مصادر الصورة الفنية في شعر إقبال بحثٌ في عالم إقبال النفسي والروحي والفكري منعكسًا على صفحة شعره. بحثٌ في نفسية الشاعر وثقافته وفلسفته في الحياة مُشكِّلةً ذلك البحر الذي يغرف منه صوره الفنية، تقصّ لأثر المعنى متجليًا في صورة فنية، بحيث يقودنا هذا الأثر إلى المصدر الأول حيث تُقيم ثقافة الشاعر وفلسفته ووجدانه.

وقد كتبت شعر إقبال بالفارسية أحيانًا، وبالأردية أحيانًا أخرى؛ ونحن ندارسه مترجمًا إلى العربية. فهل سيحول ذلك دون اكتشاف طبيعة المصادر التي يستقي منها محمد إقبال صوره الفنية؟



فِظْلُ زَائِلٌ، وَنَعِيمٌ رَاحِلٌ. إِنَّ عَالَمَ الْقَلْبِ لَمْ أُرَ فِيهِ سُلْطَةَ الْإِفْرَنْجِ، وَلَا اخْتِلَافَ الطَّبَقَاتِ، وَلَقَدْ كَدَتِ أَذْوَابُ حَيَاءٍ، وَتَنَدَّى جَبِينِي عَرَقًا؛ إِذْ قَالَ لِي حَكِيمٌ: إِذَا خَضَعْتَ لِغَيْرِكَ؛ أَصْبَحْتَ لَا تَمْلِكُ قَلْبَكَ وَلَا جِسْمَكَ.»<sup>(٣)</sup>

عالم إقبال هو عالم «المسلم المثالي»، الذي يمتاز، بين أهل الشك والظن بإيمانه ويقينه، وبين أهل الجبن والخوف بشجاعته وقوته الروحية، وبين عبّاد الرجال والأموال والأصنام والملوك بتوحيده الخالص، وبين عبّاد الأوطان والألوان والشعوب بأفريقياته وإنسانيته، وبين عبّاد الشهوات والأهواء والمنافع بتجرده من الشهوات وتمزّده على موازين المجتمع الزائفة وقيم الأشياء الحقيرة، وبين أهل الأثرة والأنانية بزهده وإيثاره وكبر نفسه، ويعيش برسالته ورسالته.»<sup>(٤)</sup>

## ٢. مصادر الصورة الفنية في شعر إقبال:

في شعر إقبال يلتقي الفن والفلسفة أحسن ما يكون اللقاء. الشعر شعور وصورة، والفلسفة تأمل وفكرة؛ ولكنهما التقيا في شعر إقبال لأنهما التقيا في نفسه قبل أن يلتقيا في شعره. ففلسفته هي فلسفة الذاتية، فلسفة الوجدان والروح؛ وهذان هما عالم الشعر الأثير ومسرحه وموضوعه.

### أولاً: الطبيعة:

يتخذ حضور الطبيعة في شعر إقبال وجوهًا عديدة: فأكثر حضورها على سبيل استعارة الشاعر منها المعاني والصفات والقيم ليخلعها على المعاني والخواطر الفلسفية التي تلوح له، فيبحث لها عن صور حسية تثبتها في النفوس، وتجذب لها الفكر والعاطفة.

وما يهمننا في هذا المقام هو الوجه الأول. فلننتق من دواوينه المختلفة نماذج من هذه الاستعارات البارة، والإشارات البديعة، يعبر من خلالها عن

الذات تمد كلاً منهما بأسباب التدفق والتألق. وقد أصاب العلامة أبو الحسن الندوي كبد الحقيقة حين عزا تكوين شخصيته المتوثبة المتقدمة المتحررة المتألقة إلى تأثير مدرسة عظيمة «ما تُعلّم التاريخ بل تلد التاريخ، وما تشرح الفكرة بل تضع الفكرة، وما تنتخب الآثار بل تنتج الآثار (...) إنها مدرسة داخلية تولد مع الإنسان، ويحملها الإنسان، معه في كل مكان، هي مدرسة القلب والوجدان، هي مدرسة تشرف عليها التربية الإلهية، وتمدها القوة الروحية.»<sup>(٥)</sup>

وهذا الوجدان مصبوغ، بحكم نشأة إقبال وتربيته الإسلامية القرآنية. بصبغة الإيمان، مشحون بالطاقة الحيوية العظيمة التي يفيض بها القرآن؛ فهو وجدانٌ له من الصبغة الذاتية بقدر ما له من الصبغة الإيمانية القرآنية؛ أو بالأحرى، هو ذاتية إيمانية قرآنية. وقد فصلّ الندوي العوامل المشكلة لشخصية إقبال ضمن تأثير هذه المدرسة الوجدانية، فكان ترتيبه لها موافقاً لهذا التصور الذي تشكّل عندنا من قراءة ديوان الشاعر.

وأعتقد أن الذات هي المبتدأ والمنتهى في فلسفة إقبال. إن قوة إيمانه بذاته، وشدة تعويله على قوة الذات في صنع مصيره وتوجيه مساره، هي التي انصهرت مع ثقافته الإسلامية وتربيته القرآنية، لتشكل شخصية تقرأ القرآن، وتفهم الوجود، وتمارس الحياة بوحى من فلسفة القوة والحرية والإبداع التي يجب أن تتمتع بها الذات. أليس هو القائل: «انزل في أعماق قلبك، وادخل في قرارة شخصيتك، حتى تكتشف سرّ الحياة، ما عليك إذا لم تنصفي وتعرفني، لكن أنصف نفسك يا هذا واعرفها، وكن لها وفيًا، ما ظنك بعالم القلب، وهو كله حرارة وسُكر، وحنان وشوق، أمّا عالم الجسم فتجارة، وزور، واحتيال. إنّ ثروة القلب لا تفارق صاحبها، أمّا ثروة الجسم



مشاعره أو مواقفه أو فلسفته في الحياة:  
في ديوانه «صلصلة الجرس» نقرأ هذه القطعة  
في تصوير أثر معيء النبي محمد صلى الله عليه  
وسلم في تغير حال الكون:

قد كان هذا الكون قبل وجودنا  
روضاً وأزهاراً بغير شميم  
والوردُ في الأكمام مجهولُ الشذا  
لا يُرتجى وردٌ بغير نسيم  
بل كانت الأيام قبل وجودنا  
ليلاً لظلمها وللمظلوم  
لما أطلَّ محمدٌ زكت الربى  
واخضرَ في البستانِ كلُّ هشيم  
وأذاعت الفردوسُ مكنون الشذا  
فإذا الورى في نُصرةٍ ونعيم<sup>(٥)</sup>

رمزاً للقوة، أو شاهداً على حكمة انتصار الذات  
بأخلاق القوة، حضوراً لافتاً لا يخلو منه ديوان.  
وفي قصيدة أخرى ذات طابع فلسفي يُعنى  
بتربية الذات، نقرأ له هذه الصورة مأخوذة  
من عالم الطبيعة الصحراوية حيث الجمل  
رمز للصبر والطاعة:

ألفه الكد شعارُ الجمَلِ  
شيمة الصبر وقارُ الجمَلِ  
صامت الأخفافِ يمشي ماضياً  
زورقاً في البيد يسري هادياً  
نقشت وجه الصحارى أرجله  
شارد النوم قليلاً أكله  
ثملاً يختال فوق المحمل  
راقصاً يُقدم شطر المنزل  
في المدى من راكبيه أصبر  
هائمً بالسير عجباً يخطُر<sup>(٦)</sup>

وحيث نفرغ من قراءتها، نشعر أن الشاعر لا يبث  
شعوراً وحسب، بل يبث فلسفة كذلك، وأن روح  
الشاعر الفيلسوف قد أسعفته أيما إسعاف في  
عرض جزء من فلسفته الروحية الإيمانية القائمة  
على فكرة أن الكون بالروح لا بالمادة، وأن هذا  
الكون لا يفتح أحضانه، ولا يُشرع بستانه إلا لمن  
يملك سرّاً قوامه الإيمان والروح.  
وفي القصيدة نفسها نقرأ له:

وهي صورة معبّرة جداً عن خُلق الصبر والطاعة  
لا عن ذل وكره، بل عن قوة كامنة في الذات، وتحلٍ  
بمحمود الصفات؛ فالجمل - كما صورّه إقبال -  
يفعل ذلك وهو واثق من نفسه، مختال في سيره،  
معجبٌ بصنيعه.

والملاحظ أن الشاعر ابتداءً القصيدة بهذه  
الصورة الاستعارية، ولم يكتفِ بأن يشبه المؤمن

كنا جبالاً في الجبال، وربّما  
سرنا على موج البحار بحارا

فنذكر قول المتنبي:

وكم من جبالٍ جُبْتُ تشهد أنني

الجبال، وبحرٍ شاهدٍ أنني البحر<sup>(٦)</sup>



الطائع بالجمل  
الصبور كما يمكن  
أن يفعل أي مخاطب  
يروم توضيح فكرته،  
بل ذهب في تصوير  
الجمل مذهباً  
تمثلياً تفصيلياً  
تشخيصياً تتنفس  
من خلاله أخلاق

فنشعر أن فلسفة الذاتية قد جمعت بين إقبال  
والمتنبي في مضمار واحد، وأن إقبالاً قد وجد في  
الطبيعة خير معبّر عن فلسفة القوة والشجاعة  
التي يؤمن بها ويدعو إليها. وللبحر صلة بإقبال  
أقوى من صلته بالمتنبي؛ فحضوره في شعره



على كل غصن تبين أن  
النبات مشوق لرحب الفضاء  
فما قرّفي ظلمة التّب حَبُّ  
جنونُ النشوء به والنماء  
فلا تبغ في فطرة ترك سعي  
فما ذاك معنى الرضا بالقضاء<sup>(١٠)</sup>

وفي ديوانه «والآن ما نصنع يا أمم الشرق!؟» باقةً  
من صور الطبيعة يستحضرها إقبال ليستجيش  
بها الأنفس في سبيل ممارسةٍ إيجابية للحياة؛  
حيث يدعو في بعضها أهل الزهد السلبي المنعزل  
عن حركة الحياة إلى محاكاة الطبيعة في حركتها  
ونفعها للناس، فيقول:

خرقة الزاهد عبءٌ للفيض  
كن عفيف القلب وانعم باليسير  
واسأل الأنسام في الروض النضير  
ما الذي تحمله غير العيز؟!  
إن تكن بحرًا قويًا غامرا  
فاجعل الصحراء سيلاً هادرا  
أو تكن طلاعش بين الورود  
وابعث العطر سلامًا في الوجود<sup>(١١)</sup>

فليست الأفضلية أن تكون قويًا أو طاهرًا أو  
طيبًا، بل هي في أن تشيع ذلك في الكون، فتكون  
نافعًا للناس، طهورًا، باعثًا في حياتهم أطيّب الآثار،  
وأزكى الأجواء.

وفي قصيدته الرائعة «حكمة الكليم» نسمع  
نغمة القوة والسمو وطلب الكمال، مستلهمةً  
من حكمة كليم الله، القوي الأمين، موسى عليه  
السلام، مستحضرًا فيها صور الطبيعة ذات  
الرمزية العالية في قيم التسامي، إذ يقول:

كن نظير الشاهين في القمم الشماء في  
مسارب الوديان

الجمل، فتؤلف مشهدًا حيًا يغري بالتعاطف  
والإعجاب؛ وتلك مهمة الفنان الكبير.

وفي سياق الحث على تعاون الذوات القوية  
واتحادها لإنجاز الأعمال العظيمة والحفاظ على  
أسباب استمرار الحياة، يقبس إقبال من الطبيعة  
صورة أخرى، هي صورة الأوراق مفصولة عن  
الغصن، فيقول:

تسقط الأوراق من غصن ينيغ  
فترى محرومة وصل الربيع<sup>(٨)</sup>

وهي صورةٌ طريفةٌ معبّرةٌ بنجاح عن الفكرة  
الفلسفية التي أرادها الشاعر.

وفي ديوانه «رسالة الشرق» نجد الطبيعة  
حاضرة في مواضع كثيرة، تزوّد الشاعر برموز  
الحياة القوية، إذ نقرأ له قوله:

دع الشيطان لا تركز إليها  
ضعيفٌ عندها جرسُ الحياةِ  
عليك البحر صارعٌ فيه موجًا  
حياة الخلد في نصبٍ تواتي<sup>(٩)</sup>

فحيث تكون دمدمة الحياة، وحيث يكون  
الكفاح والمكابدة والصراع، تكون الذات جديرةً  
بحياتها، وتكون حياتها جديرة بالخلود.

وفي سياق تصحيح المفاهيم، والتحفيز على  
مواجهة الحياة بقوة الإرادة وممارسة الفعل  
والتطلع إلى إثبات الوجود وتحقيق المنشود،  
يقبس إقبال من الطبيعة صورة أخرى يشخص  
فيها بذرة الحياة الأولى في عالم النبات وهو الحَبُّ،  
إذ يتصوره مصابا بجنون النشوء، مأخوذًا بحُب  
النماء؛ فهو لذلك لا يرضى أن يستقر في الأرض،  
بل يسعى لأن يظهر فوق الأرض ساقًا قائمة،  
وغصنًا نضيرًا. يقول:



والعبارات في سياقها من القرآن الكريم. فهي إذاً صور لفظية حاملة -على إيجازها، وانتزاعها من سياقها- كتلاً من المعنى تصغر أو تكبر، ولكنها في كل الأحوال تأخذ مأخذ الإشارة أو الصورة أو الدلالة الرمزية.

يمكن أن نتقي من ديوانه الجامع الأمثلة الآتية:

- باعثٌ في الشيب ألحان الشباب
- ناشرٌ في الكون ألوانَ الشباب
- هوفي الناس بشير ونديز
- وهو جنديٌّ وراغ وأمير
- مقصدٌ من «علمَ الأسماء..» هوهُ
- سرٌّ «سبحان الذي أسرى..» هوهُ<sup>(١٤)</sup>
- «لا إله» الروحُ في أمتنا
- «لا إله» اللحنُ في نغمتنا
- «لا إله» السرُّ في أسرارنا
- «لا إله» السَّمطُ من أفكارنا<sup>(١٥)</sup>
- «لم يكن» اشدُّدُها وامسِكُ يدا
- لترى في الناس حرّاً أوحدا<sup>(١٦)</sup>
- طلبوا الجنة في «بئس القرارُ»
- ف «أحلّوا قومهم دارَ البوارِ»<sup>(١٧)</sup>
- وزدّه «لا تحزنوا» في المأزقِ
- «أنتم الأعلون» تاجُ المفرقِ<sup>(١٨)</sup>
- بواديننا خلودٌ للزمانِ
- بلا صورِ نمت فيه المعاني
- حكيمٌ دائماً آخى كليماً
- لسانٌ ساكتٌ عن «لن تراني»<sup>(١٩)</sup>
- قد أزاعُ العين في الغرب سنأ
- لك من صاحب «ما زاع» إمام<sup>(٢٠)</sup>
- خلا الصوفيُّ من حُرَقِ وكدي
- شرابٌ «ألسْتُ» معذرةُ البطالة<sup>(٢١)</sup>

لقد اختار إقبال أن يسلك أسلوب التلميح والإشارة الخاطفة بدل التقرير والشرح. كان

تتحرى الطيورُ عند بناء العُشِّ أعلى الفروعِ في البستانِ  
لست دونَ النور بأساً فحاولَ دائرةَ النجمِ  
أودرى كيوان<sup>(٢٢)</sup>

ونختم هذا المبحث بمشهادين فنيين من ديوانه «هدية الحجاز»، أولهما يتصل بفلسفته الذاتية، ويقبس من الطبيعة معنى خلوّ الحياة من المعنى إذا لم تكن من صنع ذاتك، إذ يقول:

تمسكُ إن ظفرتَ بذيلِ ذاتِ  
بغيرِ الذاتِ ذا لم يعهدوه  
إذا قومٌ ربيعُهُم تولى  
فعطُرهُم التوهُّم ليس إلا  
وتُنبتُ أرضُهُم زهراً ولكن  
تُشاهدُ للذبولِ عليه ظلاً<sup>(٢٣)</sup>

والثاني يتصل بفلسفة الحب، وهي الجانب الآخر من الذاتية، حيث يرسم إقبال هذا المشهد المستوحى من الطبيعة، يعبر به عن شوقه إلى زيارة مقام النبي ﷺ:

ليثربَ كان في كُبرى رحيلي  
وبي فرحُ اللقاء مع الخليلِ  
كاني الطيرُ قبل الليل يمضي  
وبغي العُشِّ في الروض الجميلِ  
وقد ظهرَ أن الشاعر يأخذ من عناصر الطبيعة ما له صلة بنفسيته الحاملة بالسمو، وشخصيته الطامحة إلى الكمال، وفلسفته المبنية على إثبات الذات والأخذ بأسباب القوة.

### ثانياً: القرآن الكريم:

إن ألفاظ القرآن وعباراته، تحضر برسمها في كثير من قصائده، فتندمج في نسيج عباراته، وتشعّ خلال ذلك بهالات من الظلال والأضواء يستقبلها من له صلة ثقافية وروحية بهذه الألفاظ



أما استحضار المواقف والشخصيات القرآنية، لاستلها ما تختزنه من حمولة رمزية ذات صلة بالقيم التي يريد الشاعر بثها في النفوس، فهو كثيرٌ جدًّا في ديوانه.

لإقبال قصيدة بديعة عنوانها "حكمة الكليم - سياسة الأنبياء" تكشف فلسفة الشاعر في الحياة، وطريقة فهمه لسياسة الأنبياء، وسبب كثرة اتخاذه حكمة الكليم موسى عليه السلام رمزًا لخواطره الفلسفية. والقصيدة لا تتضمن من ذكر النبي موسى سوى العنوان، ولكنها تتضمن حكمته وسياسته التي هي عنده حكمة الأنبياء وسياستهم، حكمة الحرية والعزة وعدم إعطاء المقادة إلا لله، يقول فيها:

عندما يصدعُ النبي بأمر الله جهراً في  
مسمع الأكوان

يتحدى بوحيه كلَّ حكمٍ لأميرٍ في الأرض  
أوسلطان

لا يرى قصره سوى رسمٍ ديرٍ من بقايا  
هياكل الأوثان

لا يسبغُ المقامَ في موطن الدُّلِّ ولا يرتضي  
بعيش الهوان

تتذكى بنور صحبتته النَّفسُ وبمهدى  
الرشادَ للحيوان

يحدث الضجةَ الرهيبةَ في الأيامِ حتى تسير طوعَ  
الأمانى

معلنًا في الوجود لا ربَّ غير الله يُخشى  
وُيرتجى كلَّ آنٍ

كيف يرضى إذلالَ عبدٍ لعبدٍ وامتهانَ  
الإنسانِ للإنسانِ<sup>(٢١)</sup>

صار موسى عليه السلام إذا رمزًا لمعاني القوة والعزة والحرية ومقاومة الطغيان. رمزًا للفعل والهمة والتحدى؛ ولذلك يتردد ذكره في شعر إقبال كلما شاء أن يفتخر بأخلاق الأحرار، وينتشي

يعوّل على نباهة متلقٍ، له ثقافة إسلامية قرآنية تؤهله لالتقاط الإشارة الخاطفة باستحضار سياقها في القرآن الكريم. وكان يجذب إلى هذا اللون من الإشارة بجاذبية السحر الروحي، والخصوبة الدلالية اللذين تتمتع بها هذه العبارات والمواقف القرآنية.

استثمر إقبال ما في "علمّ الأسماء"، و"سبحان الذي أسرى" من قوة دلالية على تمكين الله الإنسان من التعلم، وتكريمه إياه بخرق المسافات، وإدراك المعالي جزاء له على العبودية، فاستلهم من العبارتين بعضًا من المعاني التي أراد أن يمثل بها حال من كرمه الله بخلافته في الأرض.

وأخذ من شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" جزءًا منها، يؤدي دلالة نفي الشرك، ويرمز من ثم إلى رسالة التوحيد، فاتخذ منه الشعار الذي يكشف روح الأمة، وعنوان حضارتها، وسر تميزها وأفضليتها، والعقد الناظم لكل أفكارها وأعمالها. وأراد إقبال أن يصوّر التوحيد طريقًا للحرية، فوجد في "لم يكن" نافيةً للشريك والكفء وسيلةً رمزية تختصر الكلام، وتستحضر المقام، وتستلهم روح سورة "الإخلاص"، سورة التحرر من كل ألوان العبودية لغير الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد".

وهكذا الشأن مع بقية الصور الفنية مستمدة من الألفاظ القرآنية ذات الحمولة الرمزية؛ ف"لا تحزنوا" خلُقُ المؤمن في المآزق، و"أنتم الأعلى" شعائره في الحياة. و"ما زاع" صراطُ المؤمن المستقيم، وميزته الفارقة عن الذين زاغوا عن الطريق. و"ألسنتُ" استحضارٌ لذكرى قديمة أشهد الله فيها الناس على ربوبيته، إشارةً إلى أن المؤمن ينجز من الأعمال في حاضره ما يثبت به إخلاصه في الشهادة، ولا يعمل عمل الصوفي الذي يتخذ من نشوة السكر بتذكر هذه الشهادة تعلقًا لما يسكن إليه من البطالة.



وكانت فلسفته في الحياة آخذة بروح التصوف، وكانت ممارسته للحياة على سنن التصوف؛ فكان طبيعيًا أن يكون التصوف أحد أكبر المصادر إمدادًا لشعره بالصور الفنية.

نبدأ بهذه القطعة من قصيدته الطويلة البالغة الروعة "الشكوى وجواب الشكوى" (٢٥)، يبت فيها الشاعر أشجانه الروحية، ويكشف طينته الصوفية، متفاعلًا فيها العامل الهندي مع العامل العربي:

ما بال أغصانِ الصنوبرِ قد نأت  
عنها فمأربها بكل مكان  
وتعرت الأشجارُ من حُلل الرُّبا  
وطيورها فرت إلى الوديان  
ياربِّ إلا بلباللم ينتظرُ  
وحي الربيع ولا صبا نيسان  
ألحانهُ بحرًا جرى متلاطمًا  
فكانهُ الحاي عن الطوفان  
يا ليت قومي يسمعون شكايهُ  
هي في ضميري صرخةُ الوجدان  
إن الجواهرَ حيرت مرآةً هـ  
ذا القلب فهو على شفا البركان  
أسمِعُهُمْ ياربُّ ما ألهمتني  
وأعدُّ إليهم يقظةَ الإيمان  
وأذفُهُم الخمرَ القديمةَ إنها  
عينُ اليقين وكونُ الرضوان  
أنا أعجبيُ الدينَ لكنْ خمرتني  
صنُغ الحجازِ وكرمها الفينان  
إن كان لي نغمُ الهندِ ولحنتهم  
لكنَّ هذا الصوتُ من عدنان (٢٦)

فاللغة في هذه القصيدة، لغة وجدانية طافحة بالشجن، غامرة برقعة الشعور وقوته في الوقت ذاته؛ وقد تخللها صور مشربة بروح التصوف، ولاسيما عندما يستعمل لغة الصوفية

بالتغني بأمجاد الأبطال.

إن النبي إبراهيم عليه السلام هو رمز قرآني آخر لفكرة التوحيد تقارع الأفكار والأوضاع الوثنية تترتبًا بأزياء سامرية مختلفة. لذلك ينصح إقبال المؤمن بأن يتخذ إبراهيم عليه السلام مثاله في مقاومة الأوضاع الفكرية والشعورية الفاسدة بقوة الإيمان وصلابة التوحيد:

### كن مثل إبراهيم في الإيمان

حتى تزيل معابد الأوثان (٢٣)

فإذا رأى من يتصدون لإصلاح الشرق بغير منهج القوة الإيمانية، ألمه ذلك، وأصابه بقدر من الحزن أو اليأس، فاستحضر صورة السامري يفتن أتباع موسى عليه السلام عن رسالة التوحيد بفنه الذي صنع به عجلًا له خوار، فقال:

ينسئ فلا أرجي في أناسي  
لهم فن كفن السامري  
سقاء في ربوع الشرق طافوا  
على الندماء بالقَدح الخلي  
سحاب ما حوى برقًا قديمًا  
وليس لديه من برق فتى (٢٤)

وهي صورة بارعة اشتركت في تشكيلها الطبيعة والرمز القرآني والرمز الخمري. وهذه مناسبة للانتقال إلى مصدر آخر له حضور قوي في صور إقبال، وهو التصوف.

### ثالثًا: التصوف:

لا يمكن لفيلسوف الذاتية الإيمانية القائمة على فلسفة الإعلاء من شأن الذات بالفكر والذكر، بالعقل والقلب، بالفعل والحب، إلا أن يكون له ضربٌ في أودية التصوف، وأن يكون تصوفه تصوفًا عاملاً لا خاملاً، خائضًا لبحر البحار، لا رابضًا في الصوامع أو تائهاً في القفار. وحقًا، كذلك كان إقبال؛ كان موقفه من التصوف إيجابيًا،



القصيدة كلها على ذلك؛ أو ادّعاء حصول حدث كلامي أو عمليّ ما، لم يحدث.

من القصائد التي ذهبت هذا المذهب في التخيّل قصيدة "برلمان إبليس"، التي تخيّل فيها إقبال "جلسةً برلمانية،

حضرها وتناقش فيها شياطين العالم، ووكلاء النظام الإبليسي، واستعرضوا فيها الاتجاهات والحركات والمذاهب السياسية العصرية التي تهدد مهمتهم في العالم، وتحبط مساعيهم،

أو تعرقل سيرهم، وأبدوا فيها آراءهم، ووجهات نظرهم، وترأس هذه الجلسة وأشرف عليها إبليس، فحكم على هذه الآراء والدراسات، وعارض أكثرها في ضوء تجاربه الواسعة، وتُعد نظره الذي لا يشاركه فيه أحد من تلاميذه، وأدلى برأيه الحصيف المبني على الدراسة الواسعة العميقة، وهو يتلخص في أن المسلم هو المنافس الوحيد، والمصارع الكُفء لنظامه، وهو الشرارة التي تتحول ناراً بسرعة، فالمصلحة والرأي أن يركّز "الزملاء" تفكيرهم على محاربة هذا العدو، أو إلهائه وتنويمه." (٢٨)

نكتطف من هذه القصيدة المقطع الذي يحذّر فيه إبليس مستشاريه من خطورة المسلم على نظامه، إذ يقول:

-الحذر الحذر مئة مرة من نظام الرسول، فهو حافظٌ لكرامة المرأة، ومختبرُ المرء، ويخلق الرجال.

-هذا النظام كرسالة الموت لكل أنواع

ورموزهم، من جوهر وكوثر وبقين، ومن خمر ودينٍ وكرم وذوق.

وغير بعيد عن هذه القصيدة، نجد قصيدة "جواب الشكوى" لاصقةً بها مجاوبةً إياها، ونشهد فيها للشاعر صوراً صوفية المنحى مبيلة بدموع العشق، مكلّلةً بتاج الحديث العلوي الموصول بالعرش. يقول إقبال:

لقد فاضت دموعُ العشق مِنِّي

حديثاً كان علويّ النداءِ

فحلّق في ربا الأفلاك حتى

أهاج العالمَ الأعلى بكائي

تجاوزت النجومَ وقلن صوتٌ

بقرب العرش موصول الدعاءِ

وجاوبتِ المجرةَ علّ طيفاً

سرى بين الكواكب في خفاءِ

وقالَ البدرُ هذا قلبُ شاكٍ

يواصلُ شدوّه عند المساءِ

ولم يعرف سوى رضوان صوتي

وما أحرّاه عندي بالوفاء!

ألم أكُ قبلُ في جناتِ عدنٍ

فأخرجني إلى حينٍ قضائي (٢٧)

فهذه الصور هي من أحاديث البث الصوفي، ومشاهد التواصل العرفاني مع العالم الأعلى بما فيه من نجوم وكواكب وأقمار، هي رمز للمقام العليّ.

## رابعاً: الخيال:

الخيال الذي نقصده مصدراً للصور الفنية في شعر إقبال هو الخيال الأصلي الذي تُبنى فيه الصورة أو الصور بناءً خيالياً يدعي فيه صاحبه حصول شيء لم يحصل في واقع الأمر، وليس في حكم العقل أو العادة أن يحصل، كنسبة قولٍ أو رأيٍ أو فلسفة ما إلى غير الكائنات العاقلة، وبناء



على فلسفة القوة والكفاح والمقارعة التي يؤمن بها ويدعو إليها. ونكتفي بعرض هذا المثال من حقل الفلسفة:

من تجلّي الفرّج نلتَ وجوداً  
فهُم منك هيكلاً قد أقاموا  
ومن (الذات) هيكلُ التُّربِ خالٍ  
أنتَ غِمدٌ مُذهَّبٌ لا حِسامٌ  
ووجودُ الإلهِ عندك ريبٌ  
وأرى الريبَ في وجودك أنتا  
إنما الكونُ جوهرُ (الذات) يُجلى  
فانظُرْ أَيَّ جوهرٍ قد دَفننا<sup>(٣٣)</sup>

والواقع أن جل شعر إقبال موزعٌ بين الفلسفة والتصوف، أو جامعٌ بينهما؛ غير أن صورته قليلاً ما تتخذ من المقولات والقضايا الفلسفية مصدراً لها، لأن الشاعر يدرك أن طريق التعبير الفني غير طريق التعبير الفلسفي، فيستجلب لعبارته ذات المضمون الفلسفي أساليب شعرية تستقي صورها من الطبيعة أو القرآن أو التصوف أو الخيال، لأن هذه مناسبة لروح الشعر. لذلك ترى في هذه القطعة الشعرية مادةً فلسفية واضحة قوامها مصطلحات الفلاسفة من قبيل "الوجود"، و"الجوهر"، و"الذات"، و"الريب"، و"الهيكل"، و"الترب"؛ غير أن الصورة ليست فلسفية خالصة؛ فقوله: "أنت غِمدٌ مُذهَّبٌ لا حِسامٌ"؛ يستقي الصورة من عالم الأشياء (السلح) لا الفلسفة، وقوله: "فانظُرْ أَيَّ جوهرٍ قد دَفننا" مزيج متفاعل من الفلسفة والطبيعة.

#### الهوامش:

(\*) مدير مخبر المناقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لين دباغين - سطيف ٢ - الجزائر.  
والبحث قدم إلى مؤتمر: "شاعر الإسلام محمد إقبال"، في رحاب إيوان إقبال بمدينة لاهور، في باكستان، بالتعاون بين المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في باكستان، والجامعة الأشرفية،

العبودية، ليس هناك فرقٌ بين مَلِكِ الصين، أو فارس، ومسكينٍ ذي مِربة.

-إنه يطهّر الثروة ويخلّمها من كل قذارة، ويجعل الأغنياء أمناء على المال والثروة.

-لا يوجد في الفكر والعمل ثورة أعظم من: "هذه الأرضُ لله، وليست للملوك".

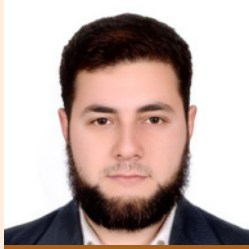
-يا حبذا لو يبقى هذا النظام مختلفاً من عين العالم، فهذا مغتنمٌ أن يبقى المؤمن محروماً من اليقين.<sup>(٢٩)</sup>

ولا يخفى على أهل الذوق أن هذا الأسلوب في إجراء الكلام -تخيلاً- على لسان العدو، في إثبات فضيلة المسلم، هو أسلوب من البلاغة والبراعة بمكان.

ولإقبال قصائد كثيرة تجري على هذا النحو، لا يتسع المجال لذكرها إلا على سبيل الإشارة؛ فمنها "الصورة والمصور"<sup>(٣٠)</sup> حيث يُجري حواراً بين الصورة والمصور، و"عالم البرزخ"<sup>(٣١)</sup> حيث يُجري الشاعر حواراً بين الميت والقبر، و"قطرة الندى"، و"النسيم"، و"سوس الأرض"، و"الحقيقة"، و"البراعة"، و"وحدة"، و"محاورة العلم والعشق"، و"أفكار النجوم"، و"الحياة"<sup>(٣٢)</sup>، حيث يُجري الشاعر الحديث على لسان قطرة الندى أو النسيم أو السحاب، أو يُجري حواراً بين كائنات نباتية أو حيوانية أو معانٍ مجردة؛ حواراً يبلغ بواسطته جملة من الخواطر الفلسفية.

#### خامساً: مصادرٌ أخرى:

في شعر إقبال صورٌ أخرى يمكن أن تُعزى إلى مصادرٍ غير المصادر الكبرى التي ذكرناها بقدر من التفصيل، ولكنها ترد بقدر أقل. وأهم هذه المصادر هو التاريخ عريباً وفارسياً وهندياً وغريباً، بأعلامه وبعض أحداثه، ثم الفلسفة بمصطلحاتها ومقولاتها وقضاياها، ثم عالم الأشياء ولا سيما ما يتصل بأدوات الحرب من حديد وحسام وسهم وسيف، فهي تترد كثيراً في شعر إقبال دليلاً



مصطفى قاسم عباس  
سورية

## علمتنا

عَلَّمْتَنَا أَنْ نُحِبَّ اللَّهَ وَالْبَشَرَا  
وَأَنْ نَكُونَ إِذَا مَا أَجْدَبَتْ مَطْرًا  
وَأَنْ نَبْتَثَ بِنَفْسِ الْمُشْتَكِي أَمَلًا  
وَنَجْبِرَ الْقَلْبَ بِالْحُسْنَى إِذَا انْكَسَرَا  
عَلَّمْتَنَا أَنْ نُوَاسِيَ كُلَّ ذِي أَلَمٍ  
وَنَجْعَلَ الرُّوحَ حُضْنًا لِلَّذِي قَهْرَا  
وَأَنْ نَكُونَ بِدَرْبِ التَّائِبِينَ هُدًى  
وَفِي دُجَى مَنْ سَرَى فِي ظُلْمَةٍ قَمَرَا  
عَلَّمْتَنَا أَنْ نُصَقِّي الْقَلْبَ مِنْ كَدْرٍ  
وَنَجْعَلَ الطَّيِّبَ جِسْرًا لِلَّذِي عَبْرَا  
عَلَّمْتَنَا.. يَا شَفِيعًا أَنْ يَكُونَ لَنَا  
لَدَى الْمَصَائِبِ قَلْبٌ يَرْتَضِي الْقَدْرَا  
وَأَنَّ خَيْرَ يَدٍ مَنْ رَأْفَةً مَسَحَتْ  
دَمْعَ الْيَتِيمِ وَأُخْرَى أَعْطَتْ الْفُقْرَا  
عَلَّمْتَنَا أَنْ فِعْلَ الْخَيْرِ يَتْبَعُهُ  
أَرْبُحُ ذِكْرٍ سَيَبْقَى فِي الْمَدَى عَطْرَا  
عَلَّمْتَنَا إِنْ عَفَوْنَا أَنْ يَعُودَ إِلَى  
قُلُوبِنَا مَنْ أَسَاءَ الذَّنْبَ مُعْتَدِرَا  
وَأَنَّ أَفْضَلَ مَا نَجْنِي الْمَكَارِمَ فِي  
حَيَاتِنَا فَالْتَدَى يُبْقِي لَنَا أَثْرَا

وحكومة البنجاب المحلية، في المدة من ٢٧-٢٨/١/١٤٣٨هـ، الموافق ٢٩-٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠١٦م.

(١) للدكتور حسن حنفي كتاب بعنوان "محمد إقبال فيلسوف الذاتية". وهو عنوان موفق؛ إذ كانت الذاتية هي ملتقى الشعر والفلسفة في حياة إقبال. وقد هياً هذا اللقاء لظاهرة نادرة في تاريخ الشعر وتاريخ الفلسفة كليهما، هي أن يتخذ الشاعر من شعره معرضاً لفلسفته، ومن فلسفته مضموناً لشعره، دون أن يجني أحدهما على الآخر.

(٢) ديوان محمد إقبال، إعداد سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط٣، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الجزء الأول، مقدمة أبي الحسن الندوي، ص٢٨.

(٣) أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، دار وحي القلم، دمشق، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص٤٠-٤١.

(٤) المصدر السابق، ص٧٥.

(٥) ديوان إقبال، ج١، صلصلة الجرس، ص٩٣.

(٦) ديوان المتنبي، شرحه وكتبه هوامشه مصطفى سبيتي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٢٣٤.

(٧) المصدر السابق، ص١٥٣.

(٨) المصدر السابق، ص١٩١.

(٩) ديوان إقبال، ج١، رسالة الشرق، ص٢٦٧.

(١٠) المصدر السابق، ص٤٨.

(١١) المصدر السابق، ص٣٤٥.

(١٢) المصدر السابق، ص٣٥٠.

(١٣) ديوان إقبال، ج٢، هدية الحجاز، ص٤٦٠.

(١٤) ديوان إقبال، ج١، الأسرار والرموز، ص١٥٦.

(١٥) المصدر السابق، ص١٩٥. (يختصر إقبال صبغة التوحيد: لا إله إلا الله، بعبارة النفي: لا إله؛ وهذا الاختصار لا يوافق التعبير العربي، وغير مألوف، ولو أنه كان أخذ الإثبات: إلا الله؛ لكان أوفق للمراد وأدل عليه. رابطة الأدب الإسلامي).

(١٦) المصدر السابق، ص٢٤٥.

(١٧) المصدر السابق، ص٢١٠.

(١٨) المصدر السابق، ص٢٤٥.

(١٩) ديوان إقبال، ج٢، ص٤٤٩.

(٢٠) المصدر السابق، ص٧٢.

(٢١) المصدر السابق، ص٣٩.

(٢٢) ديوان إقبال، ج٢، ص٣٤٨. (٢٣) المصدر السابق، ص٣٤٢.

(٢٤) المصدر السابق، ص٦٢-٦٣.

(٢٥) وقد انتشرت في البلاد العربية بعنوان "حديث الروح". ينظر: ديوان إقبال، ج١، ص٩٣. (٢٦) ديوان إقبال، ج١، ص٩٩-١٠٠.

(٢٧) المصدر السابق، ص١٠١.

(٢٨) ديوان إقبال، ج٢، مقدمة قصيدة برلمان إبليس للمترجم سمير عبد الحميد إبراهيم، ص٥٠٣.

(٢٩) ديوان إقبال، ج٢، ص٥١٦.

(٣٠) المصدر السابق، ص٥١٩.

(٣١) المصدر السابق، ص٥٢٠.

(٣٢) ينظر: ديوان إقبال، ج١، ص٢٨٢-٢٩٣.

(٣٣) ديوان إقبال، ج٢، ص٣٦.



# بقالة المستشار



## بَقَالَ بَرْتَبَةً مُسْتَشَارًا

أحمد نصيب علي حسين  
مصر

- ❁ ليس وهماً.
- ❁ أنت لا تريدين عملاً، تريدين اهتماماً.
- ❁ اهتماماً ممن؟
- ❁ اهتماماً من زوجك.
- ❁ لا أظن هذا.
- ❁ أنت تعانين من مشكلات في حياتك، فلست بحاجة للمزيد.
- ❁ أعرف ماذا ستقول: عمل المرأة خارج بيتها يكثر من مشكلاتها.
- ❁ ضحك من قولها ثم قال:
- ❁ هل تحفظين كلامي؟
- ❁ الحفظ مهارة ليس بحاجة للذكاء.
- ❁ إذا خرجت للعمل وأنت بحاجة للاهتمام الذي تطلبينه من زوجك، ستكونين صيداً سهلاً للرجال هذا أولاً، المرأة بين الرجال مطمع وإن كانت متزوجة، فأخطر شيء على المرأة قبل زواجها وبعده.. قُرْبُهَا من الرجال، الرجل يبحث في زميلته عما ينقصه في زوجته، والمرأة تنظر كذلك لزميلها عما ينقصها في زوجها.
- ❁ وثانياً؟

أصبحت تتردد على بقالته لشراء بعض حاجيات منزلها، وتستشيريه في بعض شؤونها الخاصة، فهو من أقاربها الذي يعرف عنها الكثير، مما يجعل مشورته في محلها، فلم يكن يخطئ في أجوبته، ولكنها لم تكن تقتنع بإجاباته، وتجادله فيها.

زادت المشكلات بينها وبين زوجها، كان يرى ذلك البقال أنها تسعى لإثبات ذاتها، وملء فراغها، لذلك تسعى للالتحاق بعمل، وزوجها يرفض.

ذهبت غاضبة لبيت أبيها، مكثت عنده عدة أيام، كان قريبها البقال يردد عليها قائلاً: "عمل المرأة خارج بيتها يكثر من مشكلاتها"، ولكنها لم تقتنع بكلامه.

جاء إليها زوجها معتذراً عما لم يفعله، عادت معه، ولكن بعد أن اصطالحا على أن تلتحق بعمل جديد.

ذهبت لتشتري بعض الحاجيات من بقالته، لتخبر قريبها بالجديد من أمرها، فصددها بقوله: ستندمين على اختيارك هذا!..

❁ لماذا تقول هذا؟

❁ الفراغ الذي بداخلنا، إذا لم نجد ما نملؤه بالحقيقة فسنملؤه بالوهم.



❁ وثانياً: ستقل قيمة زوجك لديك، فلن تشاهدي في زملائك في العمل إلا الجانب المضيء، وستضعين زوجك معهم في مقارنة ظالمة، فعيوب زوجك كثيرة، ومميزات زملائك كثيرة.

❁ وثالثاً؟

❁ وثالثاً: أنت تفتقدين ثقتك بنفسك، فكل ما تنالينه من اهتمام الزملاء سيعكر حياتك الزوجية، وسيجعلك تجددين راحتك في العمل وتعبك في البيت.

❁ والحل يا حضرة المستشار؟

❁ عودي لمملكتك، عودي لبيتك.. فامنحي زوجك وأسرتك وبيتك اهتماماً كبيراً، وأشغلي فراغك، وطوري من مهارتك في القراءة والتربية والطهي والأعمال اليدوية، فلن تجدي فراغاً في وقتك، ولا ضعفاً في ثقتك بنفسك، وستنالين اهتماماً كبيراً من زوجك.

❁ أنت تبالغ في حساباتك الخاطئة، وحلولك مثالية فوق طاقتي، هيا أعطني الجبن حتى لا أتأخر على عملي.

❁ خذي الجبن الذي تريدين، كأن الكلام معك لا فائدة تُرجى منه.

مضى شهران على التحاقها بعملها الجديد، وزاد انشغالها عن بيتها وزوجها، وزاد تأنقها، كانت تبدو مسرورة، ولكن من داخلها محطمة، كانت تشعر بإعجاب زملائها بها، كانت تبدو مسرورة مرحة، ولكن بداخلها قلق شديد، كانت تشعر أنها تسير في الطريق المغلق.

نظرت في ثلاجتها فوجدت أكثر الطعام قد نفذ، فكتبت بعض الأطعمة التي هي بحاجة لها، خرجت مسرعة لبقالة قريبها.

لما دخلت عليه بقالته، تعجب من منظرها، لقد فقدت حماسها الذي تبدو عليها دائماً، بدا عليها القلق والانطفاء وعدم الرغبة في أي شيء، بادرها بقوله:

❁ كيف حالك، وأخبار العمل الجديد؟

❁ مشكلات لم أكن أتوقعها، بدأت أدخل المصيدة برجلي.

❁ هل تفكرين في ترك العمل؟

❁ نعم.

❁ هيا خذي قرارك قبل أن تتعقد الأمور.

❁ أمور أياه!؟

❁ قبل أن تنغلق عليك المصيدة فلا تستطيعين الخروج.

❁ معك حق، أشعر أنني أسير نحو طريق مسدود.

❁ أقبلي على بيتك، واصنعي سعادتك بنفسك، بدلاً من وهم شغل فراغك وتحقيق ذاتك، حققي هدفك الحقيقي، أنت تريدين اهتماماً من زوجك.

❁ نعم معك حق!.. وكيف أنال هذا الاهتمام؟

❁ اهتمي بزوجك أولاً لهتم بك، امنحيه رعايتك وحبك وكثيراً من وقتك، اهتمي باهتماماته، تحدثي معه فيما يريد وحب، افتحي معه حواراً، سارعي لرضاه، لكن خطوة خطوة حتى لا يُصاب بالريبة بسبب اهتمامك هذا.

بدأت تشعر بصدق كلامه، وأخيراً اقتنعت بما يقول، وأخذ البقال ينال إعجابها، لتنتقل من مصيدة الزملاء لتقع في مصيدة البقال!.. ولكنها استغفرت ربها، وعزمت على أمر ما.

خرجت من عنده وقد اتخذت قرارها بترك هذا العمل، وبدأ الأمل ينبعث من جديد في فؤادها، وبدأت في السير في طريق العلاج، فأخذت تهتم ببيتها وزوجها وأولادها بطريقة متدرجة كأنها في خطة محكمة.

أخذت كلام البقال في تحذيرها من مخالطة الرجال على محمل الجد، وشعرت بهذا الخطر من كثرة تردددها على قريبها البقال، وجعلته أول الأخطار الذي ينبغي الحذر منه، فكلامه مؤثر، وشخصيته مؤثرة أيضاً، تركت الذهاب إليه ثانية.

وها هي في نهاية الشهر الأول من سعادتها بعد تركها العمل، ولقد نفذ الجبن لديها من ثلاجتها، ذهبت للبقالة لشراء الجبن، ولكنها في هذه المرة ذهبت لكدان، يقوم عليه امرأة، اشترت منها الجبن، وهي تردد في نفسها كلام البقال: (المرأة بين الرجال مطمع وإن كانت متزوجة، فأخطر شيء على المرأة قبل زواجها وبعده قهرها من الرجال!)، بعد أن أخذت الجبن قالت للبائعة: حضرتك تفهمين في الاستشارات؟

فردت البائعة: أفهم في الطهي والبقالة فقط!.

❁ وثالثاً: أنت تبالغ في حساباتك الخاطئة، وحلولك مثالية فوق طاقتي، هيا أعطني الجبن حتى لا أتأخر على عملي.

❁ خذي الجبن الذي تريدين، كأن الكلام معك لا فائدة تُرجى منه.

مضى شهران على التحاقها بعملها الجديد، وزاد انشغالها عن بيتها وزوجها، وزاد تأنقها، كانت تبدو مسرورة، ولكن من داخلها محطمة، كانت تشعر بإعجاب زملائها بها، كانت تبدو مسرورة مرحة، ولكن بداخلها قلق شديد، كانت تشعر أنها تسير في الطريق المغلق.

نظرت في ثلاجتها فوجدت أكثر الطعام قد نفذ، فكتبت بعض الأطعمة التي هي بحاجة لها، خرجت مسرعة لبقالة قريبها.

لما دخلت عليه بقالته، تعجب من منظرها، لقد فقدت حماسها الذي تبدو عليها دائماً، بدا عليها القلق والانطفاء وعدم الرغبة في أي شيء، بادرها بقوله:

❁ كيف حالك، وأخبار العمل الجديد؟

❁ مشكلات لم أكن أتوقعها، بدأت أدخل المصيدة برجلي.

❁ هل تفكرين في ترك العمل؟

❁ نعم.

❁ هيا خذي قرارك قبل أن تتعقد الأمور.



# واحسرتاه على غزة!



محمد الروكي  
سلا - المغرب

مِنَ الدَّمُوعِ عَلَى أَنْكِي مَآسِيهَا  
وَالصَّمْتِ وَالخِزْيِ وَالخِذْلَانَ يُزِدُهَا  
وَلَا صَرِيحَ لَدَانِيهَا وَقَاصِيهَا  
فِي حُبِّ دُنْيَاهُ تَسْبِيهِ مَلَاهِيهَا  
وَلَا شَرَابَ وَلَا مَأْوَى تُرَاعِيهَا  
وَتَسْتغِيثُ، فَهَلْ فِينَا مُلِيهَا؟!  
تَعُدُّو المَنَايَا عَلَيْهِم مِّن نَّوَاحِيهَا  
بَيْن الرُّكَامِ وَهَدْمٍ مِّن مَّبَانِيهَا  
أَمَعَاؤَهَا ثَم جَفَّتْ مِّن خَوَافِيهَا  
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا مَنَعٌ مُدْمِيهَا  
إِلَى العَلِيمِ الَّذِي أَحْصَى لِمَا فِيهَا  
حَدَّ الخِيَالِ إِذَا مَا شِئْتِ تَحْكِيهَا  
وَكَيفَ أَكْتُبُ نَثْرًا فِي دَوَاهِيهَا  
حَتَّى أَصَبَّ قَاصِدِي فِي قَوَافِيهَا

عِيونُ غَزَّةٍ قَد جَفَّتْ مَآقِيهَا  
الجُوعُ وَالقُصْفُ وَالتَّشْرِيدُ يَقْتُلُهَا  
مَوْتُ هُنَاكَ وَمَوْتُ هَاهُنَا دَأْبًا  
وَلَا نَصِيرَ لَهَا فَالْكَلُّ مُنْغِمِسُّ  
أَطْفَالُ غَزَّةٍ جَوْعَى لَا طَعَامَ لَهُمْ  
نِسَاءُ غَزَّةٍ تَبْكِي مَن فَوَاجِعِهَا  
شِيوُخُ غَزَّةٍ وَالمَرَضَى بِأَجْمَعِهِمْ  
هَلَكَى وَجَرَحَى وَأَشْلَاءٌ قَد انْدَثَرَتْ  
أَجْسَادُهَا هَزَلَتْ بِالجُوعِ وَالتَّصَقَّتْ  
دِمَاؤُهَا سَفِكَتْ وَاللَّهُ حَرَّمَهَا  
فَنَحْنُ نُسْأَلُ عَنْهَا يَوْمَ مَرَجِعِنَا  
أَهْوَالُ غَزَّةٍ قَد فَاقَتْ عَجَائِبَهَا  
فَكَيْفَ أَنْظِمُ شَعْرًا فِي مِصَارِعِهَا  
يَا وَهَبِ الشُّعْرَ أَلْهَمْنِي بِلَاغَتِهِ

لأهلِ غزّةِ مرَضَاهَا وَأَسِيهَا  
 مَنْ يَلْقَاهَا غَاصَ فِي أَعْمَاقِ وَادِيهَا  
 أَعْدَاءُ غَزَّةَ بِالنِيرَانِ تَرْمِيهَا!  
 أَعْدَاءُ غَزَّةَ أَشْلَاءَ تُذَارِبِيهَا!  
 تَنْدُقُ لِلْمَوْتِ لَا شَيْءَ يُوَاسِيهَا!  
 الْقَتْلُ غَيْبًا أَفْقَى أَمَانِيهَا!  
 بِمَسْمَعٍ وَعَلَى مَرَأَى مُوَاجِبِيهَا!  
 يُغِيثُ غَزَّةَ فَالِدُنْيَا تُعَادِبِيهَا؟!  
 أَلَيْسَ فِيهَا رِجَالٌ لَا تُمَارِبِيهَا؟!  
 فَيَسْتَجِيبُوا لِدَبِّ عَنِّ أَهَالِيهَا؟!  
 لَا تَقْبَلُ الدُّلَّ يَمْشِي فِي أَرْضِيهَا  
 عَلَى الشَّدَائِدِ سُفْلَاهَا وَعَالِيهَا  
 لَا الْقَتْلُ يُمَسِكُ شَيْئًا مِنْ نَوَاصِيهَا  
 حُرِيَّةٌ يَخْتَسِي مِنْ سَوَاقِبِيهَا  
 فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ يَمْشِي فِي مَغَانِيهَا  
 لِأُمَّةٍ طَالَمَا ذَاقَتْ مَخَازِبِيهَا  
 وَامْضُوا عَلَى سَنَنِ الْأَسْلَافِ تَنْوِيهَا  
 بِأَرْضِ غَزَّةَ تَمْشِي فِي نَوَادِيهَا  
 بِصَوْلَةِ الْعِزِّ لَا تَخْفَى مَعَانِيهَا  
 وَيَطْوِي الْحُزْنَ وَالْآهَاتِ وَالْإِيهَا

وَأَنْظِمَ الْهَمَّ وَالْأَحْزَانَ فِي أَدَبِ  
 وَأَنْظِمَ الْمَوْتَ خَفَاقًا بِأَلْوِيَّةِ  
 وَاحْسَرْتَاهُ عَلَى الْأَرْوَاحِ تُزْهِقُهَا  
 وَاحْسَرْتَاهُ عَلَى الْأَجْسَادِ تَجْعَلُهَا  
 وَاحْسَرْتَاهُ عَلَى الْجَوْعَى وَأَضْلَعُهُمْ  
 وَاحْسَرْتَاهُ عَلَى أَطْفَالِ غَزَّتِنَا  
 وَاحْسَرْتَاهُ عَلَى أَعْرَاضِهَا انْتَهَكَتْ  
 أَلَيْسَ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَدَدِ  
 أَلَيْسَ فِيهَا صِلَاحُ الدِّينِ أَوْ قُطْرُ  
 أَلَيْسَ فِيهَا رِجَالٌ يُسْتَغَاثُ بِهِمْ  
 لِلَّهِ غَزَّةٌ مِنْ أَرْضِ مَصَابِرَةٍ  
 لِلَّهِ غَزَّةٌ مِنْ نَاسٍ قَدْ اضْطَبَّرُوا  
 لَا الْجَوْعُ يُسَكِّتُهُمْ لَا الْقَصْفُ يَصْرِفُهُمْ  
 مَنْ عَاشَ عَاشَ عَزِيزًا رَافِلًا بِحَايِ  
 وَلِلَّذِي مَاتَ رِضْوَانٌ وَمَنْزِلَةٌ  
 فَصَابِرُوا أَهْلَ غَزَّةٍ أَنْتُمْ أَمَلٌ  
 وَرَابِطُوا أَبْهَاتِ الْأَبْطَالِ لَا تَهِنُوا  
 وَرَابِطُوا فَجُنُودَ اللَّهِ تَحْرُسُكُمْ  
 يَا أَهْلَ غَزَّةِ إِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ  
 فَالْفَجْرُ يُوشِكُ أَنْ يَسْعَى بِغُرَّتِهِ



# مفكرون مؤمنون في مواجهة الحداثة(\*)



هاشم صالح  
سورية

للعالم الرأسمالي ولنزعته الفردانية البورجوازية، وبلور كمضاد لكل ذلك الفلسفة الشخصية التي تجمع بين المسيحية والاشتراكية أو العدالة الاجتماعية.

وفي عام ١٩٣٦م؛ أصدر مونييه مانيفست الفلسفة الشخصية، وانتقد فيه الفلسفة البورجوازية القائمة على طلاق الروح مع المادة. فالبحبوحة المادية، والاستمتاع بالاستهلاك، وإشباع الغرائز؛ هو وحده الذي يهتم هذه الفلسفة التي أصبحت مهيمنة على فرنسا وعموم أوروبا بعد انحسار المسيحية والقيم الدينية. وفي ذات الوقت راحت النزعة الفردية تفصل الإنسان عن جذوره الروحية.

وهكذا حلت الطبقة البورجوازية التي تحترم بالدرجة الأولى قيم المال والربح والادخار محلّ روح الإنجيل. وفي ذات

الوقت يدين مونييه بعنف الحركات الفاشية التي كانت قد ابتدأت تظهر في المجتمعات الأوروبية. فهذه الحركات تقدس قيم الحياة، والقوة والعنف والدم والأرض، وتحلها محل القيم الروحية

هناك تيار كامل في الغرب نهض ضد الحداثة باسم الثورة الروحانية أو القيم الأخلاقية والدينية. ونادراً أن نتوقف عند هذا التيار، نحن -مثقفي العالم العربي أو الإسلامي- نادراً أن نعرّف بأقطابه الكبار وأفكارهم الأساسية، هذا إذا كنا قد سمعنا باسمهم أصلاً!..

لا ريب في أن الفيلسوف المغربي محمد عزيز الحبابي كان قد شق الطريق لفلسفة الشخصية

الإسلامية مستلهماً بذلك تيار إيمانويل مونييه والشخصانية المسيحية. ولكن المثقفين الذين اتبعوا هذا الخط -أي الخط الإيماني الحديث- قليلون في العالم العربي.

لعب الفيلسوف إيمانويل مونييه (١٩٠٥-١٩٥٠م) دوراً مهماً في فترة ما بين الحربين العالميتين. فقد أسس مجلة شهيرة باسم «إسبري» أي: روح،

عام ١٩٣٢م، وهي لا تزال تصدر حتى الآن بعد أن بلغ عمرها السبعين عاماً، وهذا عمر نادر في تاريخ المجالات الفكرية. وقد أدان هذا الفيلسوف الفوضى الاقتصادية والاجتماعية والروحية



محمد عزيز الحبابي

(\*) جريدة الشرق الأوسط: الأربعاء ٢٤/١٠/٢٠١٧م، العدد ١٠٥٥٧، ملحق المنتدى الثقافي.



فالإنسان من جسد وروح، وليس من جسد فقط، أو من روح فقط.

لا يمكننا أن نفهم منظور مونييه وفلسفته الشخصية أو الروحانية إذا لم نأخذ بعين الاعتبار تطرف المجتمع البورجوازي الغربي في اتجاه الماديات والشهوات وإهماله للروحانيات.

كان مونييه يريد أن يقول: إن الإنسان هو شخص أولاً، إنه ذات حرة، وله أعماق روحية، وليس فقط حيواناً يأكل ويشرب، أو يتناسل

ويستهلك، ثم ينتهي الأمر!.. لكن بعض نقاد الحداثة المادية ذهبوا بعيداً في إدانة التقدم والرفاهية والآلات التكنولوجية؛ باسم أولوية القيم الروحية. فإذا كان مونييه قد ظل متعلقاً بالقيم الإنسانية والاشتراكية، ويعترف بالجانب التحرري الإيجابي من الحداثة، فإن الآخرين راحوا يهملون هذا الجانب، ويحاربون الحداثة جملةً وتفصيلاً.

ولذلك فينبغي التمييز داخل الدائرة الدينية نفسها بين التيار اليساري، والتيار اليميني؛ إن لم نقل الرجعي. فهذا التيار الأخير راح يهاجم حركة الحداثة ككل بدءاً من عصر النهضة، وانتهاء بحكم العلم والعقل؛ مروراً بعصر التنوير في القرن الثامن عشر. في الواقع إن التفاؤل المطلق بالحداثة راح يتفسخ في القرن العشرين بعد الحرب العالمية الأولى.

إن انقلاب النزعة الإنسانية على الإنسان يشكل مأساة العصور الحديثة وفاجعتها الكبرى. فلا يمكن تحرير الإنسان عن طريق حرية الإنسان فقط، لأن الإنسان ليس الغاية النهائية للإنسان. وإنما غايته النهائية هي: (الله). فالله هو المبدأ والمعاد، وإذا ما تخلى الإنسان عنه أو عن

والأخلاقية للدين. ومنذ عام ١٩٣٤م راح مونييه يدين هذه القيم المزيّفة للفاشية، ويعتبر عبادة الزعيم بمثابة إهانة للعقل واستقالة للشخص البشري.

ومن المعلوم أن عبادة الزعيم انتقلت إلى العالم العربي من خلال أحزاب سياسية معينة، وشخصيات لا داعي لذكرها. وفي الفترة نفسها راح مونييه يدين الماركسية أيضاً لأنها تعتبر نفيًا للعامل الروحي.

فالماركسية تعتبر أن جوهر التاريخ يكمن في الصبرورة الاقتصادية والعوامل المادية. وأما القيم الفكرية والأخلاقية والروحية فهي ليست إلا أشياء ثانوية في نظرها. إنها مجرد انعكاس لتطور المجتمع، أي للقيم الاقتصادية والمادية ليس إلا. (انظر: مقولة البنية التحتية والبنية الفوقية). وهذا يقف تمامًا على النقيض من أفكار مونييه الذي كان ثوريًا باسم



إيمانويل مونييه

الروح أولاً. وكان أحد أتباعه يقول: نحن نؤمن بالحرية الإنسانية ضد المادية التاريخية، ونريد ثورة تنقيد بمطالب الروح والفكر. ولا نريد أن نكون عبيدًا للمادة كما يفعل الماركسيون والشيوعيون الذين وصل بهم الأمر إلى حد تألمها تقريبًا.

كان مونييه قد طرح السؤال التالي: ما هي الفلسفة الشخصية؟ وأجاب عنه قائلاً: إنها تعني الاهتمام بالإنسان في أبعاده الثلاثة: الجسد والعقل والروح. وهذا يعني أن الشخصية لم تهمل العوامل المادية، وحق الإنسان في الرفاهية والسعادة. ولكنها ربطت كل ذلك بالإشباع الروحي أيضاً، لأن الإشباع المادي لا يكفي؛ على عكس ما تزعم الفلسفة البورجوازية أو الوضعية.



إنهم يريدون «تأليه» الفكر البشري... ويحهم! لقد أصابهم الغرور والتبجح إلى أقصى حد ممكن. ألا يعلمون أن الإنسان زائلٌ فإن في مواجهة الحي الباقي؟! وكيف أتيج للحدثة الغربية أن تثق بنفسها إلى مثل هذا الحد، وتتغطرس إلى مثل هذه الدرجة؟! ويرى مارتين أن العالم الحديث ما هو إلا خيانة للإنجيل. فقيم الحدثة تتمثل في النزعة



توما الإكويني

المادية المتطرفة التي لا هدف لها إلا مضاعفة إنتاج السلع المفبركة من أجل إشباع غرائز الإنسان وحاجياته السفلية التي لا نهاية لها... كما تتمثل في تلك النزعة الفردانية والأناية التي تعطي الأولوية للفرد وليس للجماعة.

ومن هو المسؤول عن ذلك؟ إنهم آباء العالم الحديث الكبار: مارتن لوتر، رينيه ديكارت، جان جاك روسو... وقد كرس لهم كتابًا بعنوان: المصلحون الثلاثة. وعلى الرغم من إعجابه بهم إلا أنه يدين النتائج السلبية المترتبة على فكرهم. وهو بذلك يقسو عليهم، ويكشف عن نزعة محافظة إن لم نقل رجعية! وما هو الحل؟ كيف يمكن الخروج من أزمة الحدثة الراهنة؟

لابد من العودة إلى الإنجيل، يقول مارتين: فالمسيحيون مسؤولون عن الأزمة الحالية وانحسار الدين عن سطح المجتمعات الغربية. لماذا؟ لأن كنيستهم وقفت إلى جانب الأغنياء في معظم الأحيان على الرغم من أن الإنجيل يدعو إلى العكس تمامًا، أي الوقوف إلى جانب الفقراء. وبالتالي فإن مارتين ينصح المسيحيين بالوقوف في وجه الرأسمالية والشيوعية على حد سواء. فكلتاهما مغرقة في النزعة المادية واليهيمية، كلتاهما تنسى الله، والقيم الروحية.

الإيمان به فإنه يفقد بوصلة اتجاهه ويضيع.

وهذا ما حصل للحدثة الغربية أو للتيار المهيمن فيها: أي التيار الوضعي المادي الإلحادي. ولكن التيار المؤمن المستنير اتخذ موقفًا آخر كما نرى. في الواقع إنه كان يوجد لدى بيرديايف نوع من الحنين إلى مسيحية القرون الوسطى. وكان يعتقد بأنها لو استمرت،

أو لو لم يقض عليها عصر التنوير، لكانت قد مدت على العالم كله ظلها وهيمنتها الروحانية. فالسيادة العليا للبابا، والتفوق الساطع للقيم الروحية كان بإمكانهما توليد حضارة كونية.

أما جاك مارتين (١٨٨٢-١٩٧٣م) فكان يمشي في نفس الاتجاه، وكان له تأثير كبير على الرأي العام الفرنسي في فترة ما. وهو من أتباع الفلسفة الإنسانية المسيحية، أو بشكل أدق من أتباع القديس توما الإكويني (١٢٢٥-١٢٧٤م) الذي صالح المسيحية مع العقلانية الأرسطوطاليسية في القرن الثالث عشر، ومن أهم كتبه: مقال في الفلسفة المسيحية، نحو نزعة إنسانية متكاملة أو كلية... إلخ. وقد شن هجومًا صاعقًا على الحدثة والعالم الحديث. وقال: إن سبب البلاء هو ديكارت، لأنه فصل الفلسفة عن علم اللاهوت أو علم الدين، وقد كانا مترابطين بشكل لا ينفصم في عهد القديس توما الإكويني. وبالتالي فإن جاك مارتين يريد هو أيضًا العودة إلى القرون الوسطى، حيث كان الدين سائدًا والمسيحية في عزها.

إن العلم الحديث كله يهدف إلى إحلال وجهة نظر الإنسان محل وجهة نظر الخالق عز وجل.



# رُكَّاب



إبراهيم حافظ غريب  
مكة المكرمة

## رُكَّاب

- كيف امتلأت الأرض مجدداً بهذا الفساد؟ أليس كل الذين حملتهم على متني هم أطهر من بقي من الخليقة التي غرقت في الطوفان؟  
سفينة نوح تتساءل بِحَيْرَةٍ!..  
يردد إبليس في نفسه بخبث:  
- فكيف نجوت أنا؟

## بالمقلوب

اكتشفتُ أَنَّ العناق العاطفي قد يحدث بطريقة مختلفة..  
التصق ظهره بصدرها.. حملها وطاف بها البيت!

## عاجلاً

التهم الحريق كل شيء.. تفجّم المخيم.. أنقذوها بأعجوبة..  
بقيت في العراء يومين تتصوّر جوعاً وحسرة.. سألتها  
مندوب جمعية خيرية:  
- ماذا تحتاجين يا خالة؟  
- مصحفاً ونظارة طبية!

## انقسام

أناقشه في معتقده.. ينتفض ويؤكد:  
- أنا مسلم..  
أناقش قلمه فيما يكتب.. يحتدّ ويؤكد:  
- يجب أن يتحرر الإبداع..  
أعود إليه:  
- هل الدين قيد لحرية الإبداع؟  
- ليس مطلقاً.  
- هل قلمك استثناء من حساب الأخرة؟  
- لا..  
- لماذا لا تدعو بقلمك إلى الإسلام؟  
- ...

## وإن تتولّوا..

نشأ في أسرة عادية.. تفوق في دراسته الجامعية.. فاز  
ببعثة دراسية إلى دولة أوروبية.. أصبح شخصاً محافظاً  
كيلاً ينجرف.. أعجبت به زميلة من دفعته راقبته عن  
كثب.. تأثرت بأخلاقه حتى شغفها حباً.. مازالت تراوده عن  
نفسه، ويراودها عن دينها حتى أسلمت!.. تزوجها وأسلم  
نفسه لها.. أنهيها دراستهما وعادا إلى بلده.. عاشا بسعادة  
مع أهله مدة؛ حتى سألته يوماً وهي جادة:  
- لماذا لا تدعو أهلك إلى الإسلام كما دعوتني؟!

## الدنيا

نام على سريريه؛ استيقظ في كَفَنِهِ!..

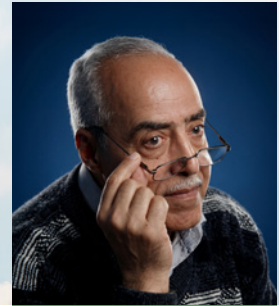
## اكتشافات

أفقت؛ ظلام حالك.. أصخت؛ قرع نعال تبتعد،  
وأخرى تقترب..





# قراءة في قصيدة فكتور هوجو: "العام التاسع من الهجرة"



محمد محمد السنباطي  
مصر

وهذه القصيدة التي أبدعها الشاعرُ والروائيُّ ذائع الصيت فكتور هوجو (٢٦ فبراير ١٨٠٢- ٢٢ مايو ١٨٨٥م) لَبِيَّ خَيْرٍ دليلٍ على ذلك. وهي من القصائد التي لاقتْ اهتمامًا عالميًا في الذكرى الثلاثمئة لميلاد الشاعر الفرنسي الكبير، حيث تناقلتها مراكز الإعلام الإسلامية الأوروبية، فاهتمت بها صحفهم، ونشرتها العديد من الجرائد والمواقع. وفي بعض هذه المواقع ظهرت القصيدة تحت عنوان: "فكتور هوجو يغني لنبي الإسلام في "السنة التاسعة من الهجرة".

وكانت القصيدة قد ظهرت بعنوان "العام التاسع من الهجرة" في ديوان أسطورة القرون La Légende des siècles بطباعة ونشر هيتزل الذي كان ينشر مؤلفات بلزاك. صدرت تلك الطبعة عام ١٨٥٩م، واحتلت القصيدة الصفحات (٥٩-٦٥). عدد أبيات القصيدة مئة وخمسون بيتًا، ليست جميعها متوائمة مع ذائقتنا

اهتمَّ كثيرٌ من أدباء الغرب وشعرائهم بسيدنا محمد ﷺ وكتبوا عنه. وبالطبع لا ننتظر منهم أن تكون كتابتهم كلها متطابقة تمامًا مع ما عرفناه في السيرة النبوية المشرفة، ولا أن تكون كما يريدونها المسلم الغيور على دينه أن تكون، لكنها مع ذلك على قدر من الأهمية. ذلك لأنها صرخة في واد، وتنبية على وجود نور في مكان يظن غيرهم أنه بلا بصيص نور.



بن مالك رضي الله عنه. ولم يغفل الشاعرُ ذكْرَ الإبل وورودها الماء، فنقلَ المشهدَ إلى القارئ الأوروبي، وأتى بالبيئة البدوية إلى خيال المتابع الفرنسي ليوضح أن هذا النبي لم يكن مرقِّهاً، بل كان يعتلي ظهور النوق مسافراً في الطرق الوعرة.

وها هو يقدم صورة وصفية للنبي صلى الله عليه وسلم كما قرأها في الكتب، أو سمعها من البعض، أو أضاف إليها خياله الشعري، فيذكر

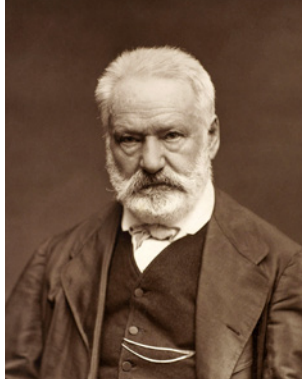
الجبينَ الناصع، والنظرة العميقة والعنق الفضي، والسمت الذي يتمتع به الأنبياء السابقون كما يعرفهم المثقف الغربي المتدين:

لقد كان ذا جبينٍ أشم، وخذٍ أسيل،  
حاجبين رفيعين، ونظرة عميقة،  
وعنقٍ أشبه ما يكون بكوزِ الفضة،  
وله سيماءٌ نوح الذي يعرف سرَّ الطوفان.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقضي بين المتخاصمين بالعدل، يستمع إلى الطرفين لا يقاطع أحدهما، بل يعطيهما الوقت الكافي للتعبير عن الواقعة، ويقضي بينهما، هو الذي لا ينقطع لسانه عن ذكر الله:

إذا جاءه رجلان يختصمان، فإن هذا القاضي  
يدعُ أحدهما يؤكدُ، بينما الآخرُ يضحكُ وينفي.  
يصغي صموتاً ويكونُ آخرَ المتكلمين.  
فمُه دائماً أبداً في صلاة.

ومن الواضح أن الشاعر الفرنسي الكبير كان مطلعاً على السيرة النبوية العطرة اطلاقاً مكنه من معرفة أشياء كثيرةً ومهمّةً عن خصال النبي وأفعاله، فهو صلى الله عليه وسلم لا يأكل إلا إذا جاع، وإذا أكل لا يشبع، لا يكره أن يجلس على الأرض، بل هو الذي يحيك ثوبه، ورغم قلة الطعام إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر



فكتور هوجو

الدينية، لذا وجدتُ من الأوفق أن أختارَ منها ما يفني بالعرض.

تبدأ القصيدة هكذا:

كما لو أنه كان يحسُّ بدنوّ أجله  
لم يوجّه أيّ توبيخٍ لأحدٍ  
يشقُّ طريقه ويردُّ على تحياتِ  
العابرينَ  
من يرونه يكبركلَّ يومٍ على الرغم  
من كونِ

عشرينَ شعرةً بيضاءً بالكادِ في  
لحيته السوداءً

كان يتوقف أحياناً لمشاهدة الإبل وهي تردُّ الماء  
فيتذكر أيامَ كان يعتلي ظهورها.

تحاول القصيدة التغلغل في نفسية الشخصية التي يكتب عنها، وهي شخصية النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، والذي كان الشاعرُ بدون شكٍ يُوليه قدرًا عظيمًا من التعظيم، وإلا ما كتب عنه بهذا القدر من الجمال والإجلال. يتخيله في أيامه الأخيرة كأنما يحمل عصاه ويتأهب للرحيل من هذا العالم. يمشي يشقُّ طريقه يردُّ على هذا، ويسلم على ذلك. تضي الأيام بالناس لكنَّ شعراتٍ قلائل هي التي ابيضَّت في اللحية السوداء لنبي الإسلام.

ومن المعلوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراتٍ قليلةً ابيضت في رأسه أو في لحيته، وقد سئل أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أخضَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إنه لم يرَ من الشيب إلا نحو سبع عشرة أو عشرين شعرة في مقدم لحيته)) [رواه ابن ماجة في سننه].

وبالنسبة لشاعرٍ لا يهّمه التدقيق عن مكان الشعر الذي ابيضَّ إن كان في الرأس أم اللحية، لكن الذي يهّمه هو أن كثرة الشعر الأسود دليلٌ على أن الشخص ما يزال يحتفظ بشيء غير قليل من القوة والصمود الجسدي. على أي حال ذكرَ فكتور هوجو العشرين شعرة كما ذكرها أنس



مِنْ كِتَابٍ وَلَا  
تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ  
إِذَا لَأَزْتَابُ  
الْمُبْطُلُونَ ﴿٤٨﴾

[العنكبوت ٤٨]،  
لن نتوقف هنا  
طويلاً لكننا  
سنثمن وجهة  
نظر الشاعر  
الذي يؤكد على  
أن النبي والحي  
تجتاحه لم

يتوقف عن ترتيل القرآن الكريم لحظات.  
الحي تجتاح جسد الرسول ولا يتوانى عن تلبية  
النداء، فيجاء في وقت الصلاة متكئاً على علي بن  
أبي طالب كرم الله وجهه، ويرى الصحابة ويرونه.  
لا بد من أن يخطب في الناس. يوصيهم وينصحهم:

لقد جاء إلى المسجد في وقت الصلاة  
متكئاً على علي، والصحابة تابعوه  
والبيرق المقدس يخفق في الريح  
وهناك، شاحباً متأوهاً استدأر إلى الحشد  
أهيا الناس، الزمن يمضي والخلق يرحلون

ومن أجمل ما أبدع بيان الشاعر في هذه  
القصيدة:

الغبار والليل نحْنُ، والله وحده هو العظيمُ.

وهنا يتخيل الشاعر صوتاً يتحدث إلى النبي،  
صوت شيخ مُسنٍ يُذَكِّرُ النبي بيوم مولده، وكأنما  
الشيخ يريد العودة إلى الميلاد من جديد بعيداً عن  
الممات المرتقب الذي يتمنى لو أنه لا يكون:

قال شيخ: يا نور عيون المؤمنين، إن العالم  
بمجرد سماع دعوتك آمن بك  
ففي يوم مولدك وُلِدَ نجمٌ  
وثلاث شرفاتٍ من قصر كسرى تَهَدَّمَتُ.

هنا يتحدث النبي عن القصاص في اللحظات

من الصيام غير الرمضاني أيضاً. وقد سمع هوجو  
بموضوع الحجر الذي يقال: إن النبي كان يضعه  
على بطنه من شدة الجوع، حيث رواه الترمذي  
وضعه، ولم يسمع بتكذيب الخبر حيث قال ابن  
حبان في صحيحه بعد أن أورد حديث النهي عن  
الوصال، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم:  
((إني لست كأحدكم، إنني أطعم وأسقى)).

قال أبو حاتم رحمه الله: "هذا الخبر يدل على  
أن الأخبار التي فيها ذكر وضع النبي صلى الله  
عليه وسلم الحجر على بطنه كلها أباطيل، وإنما  
معناها الحجر لا الحجر، والحجر طرف الإزار،  
إذ الله جلّ وعلا كان يطعم رسوله صلى الله عليه  
وسلم ويسقيه إذا واصل، فكيف يتركه جائعاً مع  
عدم الوصال حتى يحتاج إلى شدّ حجر، وما يعني  
الحجر عن الجوع؟! على أي حال لم ير الكثير من  
العلماء مانعاً من صحة موضوع الحجر، فلا مانع  
من أن يجوع الرسول صلى الله عليه وسلم فترة  
من الزمن ثم يطعمه الله ويسقيه. وقد عبر فكتور  
هوجو عن ذلك بقوله في تلك القصيدة:

قليل الأكل، يشدّ حجراً على بطنه  
هو بنفسه الذي يقوم بحلب نعاجه  
يجلس على الأرض ويخيط ثيابه  
يصوم كثيراً في غير أيام الصيام

وسبحان الذي يغير ولا يتغير. ها هي الأيام  
تمضي ويفقد النبي شيئاً من قوته وعنفوانه،  
ويدركه المرض وتجتاحه الحي:

وهاهو يفقد قوّته فلم يعد شاباً  
وفي الثالثة والستين تجتاحه الحمى  
يرتل القرآن الذي خطه بيده.

ونقف قليلاً عند "الذي خطه بيده"، فيبدو أن  
فكتور هوجو كان يعلم أن "النبي الأمي" لا تعني  
الذي لا يقرأ ولا يكتب. فظن أن النبي هو الذي  
كان يكتب الآيات التي تنزل عليه بيده وليس بيد  
الكتبة. والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ



ويُفعل، ثم يدلّف إلى عمق الدار بوجودانه ليلحظ ما كان من أمر عائشة، ومن المسجد يسمع نهبة أبي بكر. الشاعر كأنما حاضر في كل مكان، لا يريد أن يفوته شيء. حتى ملك الموت وحوار متخيل. وأخيراً النداء وإجابة النداء استعداداً للصعود إلى الملاء الأعلى. ثم البريق الذي تلمع به العين لحظة الموت يشبه البريق الذي كانت تسطع به العين لحظة الميلاد. لكأنَّ العمرَ لحظة واحدة تجمع البدء والمنتهى بين قوسهما:

كانت عيونهم نديانة كأنها عيون الحَمَام.  
جميعهم انخرطوا في البكاء لما رأوه يدخل بيته بعد ذلك.  
لكن الكثيرين ظلوا مكانهم لا يغمضون الأُجفان

مَرَّ اللَّيْلُ وَهُمْ مَمْدُودُونَ عَلَى حَجَرٍ  
وَفِي صَبَاحِ الْغَدِ، وَقَدْ لَاحَ الْفَجْرُ:  
"يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا أَقْدِرُ عَلَى الْنَهْضِ مِنْ مَكَانِي  
خِذِ الْكِتَابَ وَصَلِّ بِالنَّاسِ."  
تقهقرت زوجته عائشة إلى الخلف  
بينما كان يتناهى إلى سمعه ترتيل أبي بكر  
ذلك الذي كان صوته يتهجج بالقراءة  
وكان غالباً ما يهينه في ختام كل آية  
وعندما اقترب المساء كان ملائكة الموت بالباب  
هل يمكن أن تسمح لي بالدخول  
فليفعل، ورأوا عيني النبي تأتلقان  
الألق عينه الذي كان بعينه يوم مولده  
فقال له الملك: يريد الله حضورك  
حسناً، أجب. ورعدة سرت في خديه  
ونفخة خرجت من بين شفثيه، ومات محمد.

المشهد المروّع يرسمه فكتور هوجو بالكلمات البسيطة. وفي نهاية القصيدة الطويلة جداً يقول: "ومات محمد"، وكأنها نقطة نهاية الجملة. يضعها يهدوء تام، وبلا أي انفعال بعد اكتمال المعنى. لا زيادة. وكأنما يتضاءل كلُّ انفعالٍ أمام جلال الموت، فما بالك بموت خاتم الأنبياء والرسل!

الحاسمة. النبي لا يريد أن يلقى الله وعليه "دين" لأحد، فيخاطب الناس يسألهم:

حانت النهاية فاسمعوني: إذا كنت قد تحدثت إلى أحدكم بطريقة غير لائقة، فليقف ويرد ذلك عليّ قبل رحيلي  
وإذا كنت قد ضربت شخصاً منكم فليأت ليضربني.

الشاعر يريد للقارئ الفرنسي ألا يبتعد عن خلفيات المشهد. فيرسم امرأة عجوزاً تجز الصوف، إنها اختصار للبيئة البدوية. هذه المرأة بكل التعاطف والودّ تدعو الله أن يعين النبي على أداء رسالته. ثم بعد ذلك يركز على كلمات يرى الشاعر أنها أفضل الكلام ولذلك نسبها للنبي:

ويهدوء أشار بعصاه إلى المارة  
امرأة عجوز كانت تجز صوف خروف  
جالسة على عتبها، صاحت: فليعنك الله!  
بدا وكأنما يطالع بعض رؤى حزينة  
ويفكر بعمق ويقول: انتهىوا!  
ما أنا إلا كلمة في فم الله  
أنا رماذ كبشر، ونازك نبي

ثم يبرع الشاعر في المقارنة بين محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام. مقارنة لم يلتفت إليها أي شاعر عربي. فمحمد في رأي هوجو يمثل القوة، بينما عيسى عليه السلام يمثل العذوبة والرقّة. عيسى كالفجر الناعم تأتي بعده الشمس القوية العنيفة. وإن كان عيسى قد بعث أولاً ومن بعده محمد فلأن الشمس دائماً يسبقها الفجر:

لقد أتممت ما لم يكن كاملاً من نور عيسى  
أنا القوة يا أبنائي، وكان عيسى العذوبة.  
والشمس دائماً يسبقها الفجر.  
لقد سبقني عيسى لكنه لم يكن السبب  
لقد كان ابن عذراء لها عقب الزهور.

يصف الشاعر تأثر الصحابة بما يقول النبي



د. وليد قصاب  
سوريّة

# كعب بن مالك من شعراء الإسلام

(مسرحيّة من أربعة مشاهد)

والتثاقلَ حتى انطلق النبيّ والمسلمون إلى الجهاد، وأنا أتكاسل لا أتجهّز.. وجددتني أتخلف عنهم وأنا قويّ شديد، أملك الرّاحلة والزّاد، وجميع متطلبات الخروج.

**كعب:** (محتبس الصّوت من الحزن والانكسار) اللهمّ، إنه وأنت أعلم بحالي- لا عذر لي، اللهمّ ارحم ضعفي، وخفف حزني.. لقد نبى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، نحن -الثلاثة الذين تخلفنا عن هذه الغزوة-، فاجتنبنا النّاس، وتغيّروا لنا، حتى تنكرت لي الأرض؛ فما هي التي أعرف، ولا هو تراؤها الذي أطأ..

**كعب:** (يبكي حتى تبلل الدّموع خديّه، ويسجد

## المشهد الأول:

"الشّاعر كعب بن مالك الأنصاريّ، في بيته، شابّ في الثّلاثين، يصليّ ويدعو الله ويستغفره بضراعة وخشوع"

**كعب:** اللهمّ أنت تعلم أنّي أحبّك، وأحبّ رسول الله حبّاً يملك عليّ شغاف القلب.. وإنّك لتعلم بلائي في سبيل الإسلام، ودفاعي عن رسول الله ﷺ بسيفي وشعري.. ما تخلفت قطّ عن غزوة غزاها رسول الله، ولا كنت يوماً من المتلكّتين..

**كعب:** (تبلّل الدّموع لحيته) ولكنّ الشّيطان أغواني يومَ تبوك.. ما زال يزيّن لي التّباطؤ



وقد قال لي ﷺ: ((ما نسي ربك لك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بيتًا قلتة))، قلت: ما هو؟ قال: أنشده يا أبا بكر، فقال أبو بكر:

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا  
وَلْيُغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْغَالِبِ

**الزوجة:** كان لشعرك أثر كبير، ولا سيما شعرك في الحرب. ألم تسلم دوسًا فرفقًا من قولك:

نَخَيْرُهَا وَلَوْ نَطَقْتَ لِقَالَتْ  
قَوَاطِعُهُنَّ: دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا؟

إنَّ الله.. وإنَّ رسوله لن ينسيا.. لن ينسى الله بلاءك وجهادك.. أنت ما تخلفت عن غزوة قط مع المسلمين، أبلت يوم أحد بلاء منقطع النظير، قاتلت قتالًا شديدًا حتى جُرِحْتَ سبعة عشر جرحًا.. ولكنَّ تقاعسك عن الخروج إلى تبوك -على ما عُرِفَتْ به من الإيمان- ألم رسول الله ﷺ، وهو ينتظر أمر الله فيك.. وما أظنَّ -وقد صدقت في القول- إلا أن الله قابلَ توبتك برحمته وفضله..

**كعب:** (متأثرًا): سمع الله منك يا امرأة! والله إني لأعلم أن ذنبي عظيم.. لقد كان يومُ تبوك يومَ عُسرةٍ، كان المسلمون في ضنكٍ وشدةٍ، في عطش وجوع، وقد تكاثف عليهم جيش الروم مع العرب التابعة لهم من غسان.. وقد خرج المسلمون جميعًا ما تخلف إلا منافق أو معذور بين العذر.

لقد كنت أمشي في أسواق المدينة، يوم انطلق المسلمون إلى تبوك وتخلفت، فيحزني أتى لا أرى فيها إلا مغموصًا عليه في النفاق، أو مطعونًا في دينه، أو ضعيفًا.. (تخنقه العبرة) ووالله لقد كان هؤلاء المجاهدون أحوج ما يكونون إلى من يشد أزهم لا إلى متخلفين متقاعسين يثبطون الهمم، ويلبثون العزائم..

داعياً الله) اللهم يا أرحم الراحمين.. لقد ضاقت عليّ الدنيا، وأنكرني الجميع.. إنني أخرج إلى الأسواق، أحاول أن أخاطب المسلمين فما يكلمني أحد.. وأدخل المسجد أصلي قريبًا من رسول الله ﷺ فأسارقه النظر.. فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي.. وإذا التفت نحوّه أعرض عني.. وأسلم عليه إذا دخلت المسجد -وهو في مجلسه- فأقول في نفسي: أحرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا؟!

## المشهد الثاني:

"تدخل زوج كعب، تنظر إليه بإشفاق، وهو في تضرعه ومناجاته لا يشعر بها، شديدة الحزن والتأثر"

**كعب:** (يرفع يديه بالتضرع، وعينه مملئتان بالدموع، لا يزال يخاطب نفسه وكأنه لم يرها) مضت عليّ أربعون ليلة.. قاطعني الجميع بأمر رسول الله، وما كان لأحد أن يعصي أمره.. حتى ابن عمي أبو قتادة، أعزُّ أصدقائي، وأحبُّ الناس إليّ، أسلم عليه فما يردّ السلام.

**الزوجة:** خفف عليك يا كعب.. سيتوب الله عليك.. وسيسامحك رسول الله.. فأنت رجل مؤمن صالح مشهود لك بالصلاح. أنت من شعراء رسول الله، دافعت عن الإسلام وعن رسوله بشعرك، وهو ضرب من الجهاد لا يقل عن الجهاد بالسيف. ألم يقل لكم رسول الله ﷺ: "إنَّ المجاهد مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل!".

**كعب:** بلى، قال لنا وشجعنا، وكان يدعو لنا.



**الزوجة:** (بتأثر وانفعال) كنتُ أعلم أن رسول الله سيأمرُك باعتزالي.. لقد طلب من هلال بن أمية -أحد المخلفين الثلاثة- مثل ذلك.. ولكن امرأة هلال استأذنته أن تبقى إلى جانب زوجها تخدمه، وتُعنى بأمره على ألا يقربها.. هل أذهب إلى النبي ﷺ فأستأذنه في مثل ذلك؟

**كعب:** إن هلالاً شيخٌ كبير يحتاج من يخدمه، وأما أنا فشابٌ.. ووالله لا أستأذنُ رسول الله فيك وأنا قادر على خدمة نفسي.. سأصبر على الابتلاء، واصبري معي يا امرأة.. امضي إلى أهلِكَ يا امرأة.. وانتظري حتى يحكم الله بيننا.

(تخرج زوجة كعب وهي تخفي حزنها، وتمسح دمعاً انحدر على وجنتها، ويبقى كعب وحيداً في تضرعه ومناجاته).

## المشهد الرابع:

**كعب:** (في وحدته وخشوعه) اللهم اغفر لي وارحمني.. ضاقت عليّ نفسي.. وضاق بي الجميع.. أصبحت وحيداً منبوذاً.. الجميع يتعد عني كأني جمل أجرب.. مضت خمسون ليلة وأنا على هذه الحال.. وأنت أرحم الراحمين.. اللهم لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك..

(يُسمع من بعيدٍ صوت ينادي)

**الصوت:** يا كعب بن مالك! يا كعب بن مالك.. يا أبا بشير! أبشر!

**الصوت:** يا كعب بن مالك.. أبشر!

**كعب:** (يخترُ ساجداً) اللهم لك الحمد.. لقد جاء الفرج.. ما أحسبُ إلا أن الله قد تاب علينا..

**الزوجة:** (متأثرة) واضب يا كعبُ على التضرع والدعاء والاستغفار.. والله يعلم سريرتك وصدق إيمانك، وهو يبتليكَ، وسيتوب عليك إن صبرت واستغفرت..  
(تخرج المرأة تاركة زوجها في تضرعه ودعائه وخشوعه).

## المشهد الثالث:

(كعبٌ ساجدٌ يدعو الله. يُسمع صوتُ رجل من خارج البيت)

**الرجل:** (بصوت مرتفع من خارج البيت) يا كعب بن مالك! يا كعب بن مالك! يا أبا بشير! اسمع مني.. ولا داعي لأن تخرج إليّ.. بعثني إليك رسول الله ﷺ، وهو يأمرُك أن تعتزل امرأتك!

**كعب:** (من الدّاخل وهو ينهض متأثراً) سمعاً وطاعة لأمر رسول الله.. أأمرني رسول الله بتطبيقها؟

**الرجل:** (من الخارج) لا، بل أمر أن تعتزلها فلا تقربها.

**كعب:** (دامع العين) السمع والطاعة لأمر رسول الله..

(يخفي الصّوت، وينادي كعبٌ امرأته)

**كعب:** تعالي يا امرأة..

**الزوجة:** (بقلق) نعم يا كعب.. ما بك؟!

**كعب:** (وهو يخفي دمعته) لقد أمر رسول الله أن أعتزلك يا امرأة.. فالحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.



اللهم لك الحمد والمنة.. أنت أرحم الراحمين..  
**أبو قتادة:** (صاحب الصوت) افتح يا كعب..  
افتح.. أنا ابن عمك أبو قتادة..

**كعب:** والله ما كنت لأكذب على رسول الله وأنا  
أعلم أن الله سينبئني بكل شيء..

**أبو قتادة:** ماذا قال لك رسول الله عندما  
سألك عن سبب تخلفك؟

**كعب:** لما رأني رسول الله ﷺ تبسم تبسم  
المغضب، وقال: ألم تكن ابتعت ظهرك؟ قلت:  
بلى. قال: فما خلفك؟ قلت: والله لو بين يدي أحد  
غيرك جلست لخرجت من سخطه علي بعدد؛ لقد  
أوتيت جدلاً وفصاحة، ولكن قد علمت يا نبي الله  
أنني أخبرك اليوم بقول تجد فيه علي، ولكي قائل  
ما أرجو به عقبى الله! والله يا رسول الله ما كنت  
قط أيسر مني، ولا أحسن حالاً مني، حين تخلفت  
عنك.

**أبو قتادة:** فماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ لا بد  
أنه عاتبك عتاباً شديداً!

**كعب:** بأبي وأمي رسول الله! صاحب الخلق  
الرفيع، بل قال ﷺ: أما هذا فصدق.. ثم نظر إلي  
وقال: قم الآن حتى يقضي الله عليك.

**أبو قتادة:** الحمد لله يا كعب.. إن الكذب  
مهلكة، وإن الصدق منجاة.. قم بنا إلى  
رسول الله ﷺ فإنه منتظر في المسجد..  
(يخرج الرجلان لملاقاة رسول الله).

(يفتح كعب، ويدخل أبو قتادة، ووجهه يبرق  
بالفرحة والسرور)  
**أبو قتادة:** السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

**كعب:** وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..  
أقبلت أخيراً يا وجه الخير!؟

**أبو قتادة:** أقبلت بأمر رسول الله ﷺ يا كعب يا  
بن عمي! جئت أبشرك بتوبة الله عليك.. وأهنتك..  
لقد أنزل الله في توبتكم قرآناً يتلى إلى يوم الدين..

**كعب:** (يهجم على أبي قتادة معانقاً) اتل علي يا  
أبا قتادة ما قال الله تعالى فينا..

**أبو قتادة:** أعوذ بالله من الشيطان الرجيم،  
بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى  
النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ  
الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِمَّنْ ثُمَّ  
تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ\* وَعَلَى الثَّلَاثَةِ  
الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا  
رَحَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ  
مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة ١١٧-١١٨].

**كعب:** (تسيل دموع كعب، ويخر ساجداً)  
صدق الله العظيم. بشرك الله بالجنة يا أبا قتادة..  
بشرك الله بالجنة.. والله ما حمل إلي أحد في حياتي  
خبيراً أسعد من هذا الخبر.. والله إنه لخير يوم مر  
علي من يوم أن ولدتني أُمي..

**أبو قتادة:** هنيئاً لك يا كعب.. لقد نجاك

## - النهاية -

# نور الحبيب

نطق الوجودُ على المدى بلسانه  
 أعطافُ مَنْ شَبَكَ الرِّضَا فِي شَانِهِ  
 والبحرُ بعد البحرِ في سرِّياته  
 كي يكتبوا الكلماتِ في قرآنِهِ  
 أبدًا ولا نَفِدَ الندى ببيانه  
 والبدرُ يغسلُ وجهَهُ بينانه  
 طابَ الصَّبَاحُ وذابَ في ألوانِهِ  
 والجِدْعُ حَنَّ فأنَّ مِنْ أحزانه  
 يحميه من لَفْحِ الهوى بحنانه  
 وعلى المدينةِ طافَ في ربحانه  
 لمَسَ الربوعَ فأينعتُ بجنانه  
 يشفي صُدورًا ترتوي بدنانه  
 عَصَرَ الفؤادَ فذابَ مِلءَ قنانه  
 نامَ الجمالُ فذابَ في أشجانه  
 فيسيلُ عِشْقًا في الهوى بجمانه  
 هَشَّتْ طيورُ الدَّوحِ عندَ بيانه  
 يا سَعْدَ مَنْ سَكَنَاهُ فِي أجفانه

اللَّهُ أَرْسَلَ لِلوُجُودِ مُحَمَّدًا  
 عَمَّ السَّلَامُ فَأَشْرَقَتْ وَتَبَسَّمَتْ  
 لَوَكَانَتْ الأشجارُ أَقلامًا لَهَا  
 والبحرُ بعد البحرِ سبعةُ أَبْحُرٍ  
 لَمْ تَنْفِدِ الكلماتُ ما بين الوري  
 النورُ يغزلُ خيطَهُ بِمُحَمَّدٍ  
 بِاسْمِ الحبيبِ أَتَى المَسيحُ مُبَشِّرًا  
 الضُّبُّ يَنْطِقُ بِالشَّهادَةِ موقِنًا  
 فوقَ الطريقِ ترى السَّحابَ مُعانِمًا  
 مِسْكٌ يَفُوحُ بِبَطْنِ مَكَّةَ دائِمًا  
 فوقَ القلوبِ العطرُ يعبِقُ بِاسِمًا  
 مِنْ حيثُ جاءَ ترى الحنانَ مسافرًا  
 خمرُ الحبيبِ إِلَى الحبيبِ مَعْتَقٌ  
 صوفيَّةُ الكلماتِ فِي أعطافِها  
 هو سَيدٌ إِنْ قالَ يَسْمَعُهُ الندى  
 صَمَتَ الطريقُ لِصِمْتِهِ متَأَمِّلًا  
 هو سَيدٌ صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا



جمال ربيع عبد الحفيظ  
 مصر

# مسار العشق



كَمْ عَشْتُ أَنْكَرُ أَمْرَ الْعَشْقِ عَنْ رَهْبٍ!  
 وَأَوْجَلْتَنِي حِكَايَا الْعَشْقِ فِي الْكُتُبِ  
 وَاحْمَرَّ وَجْهَهُ كِتَابَاتِي مِنَ الْغَضَبِ  
 وَلَا تَقَلَّبْتُ مَقَهْوَرًا مِنَ التَّعَبِ  
 فَمَا تَعَنَيْتُ فِي عَشْقٍ بِلا سَبَبِ  
 فَأَوْصَلْتَنِي إِلَى حَالِيْنَ مِنْ عَجَبِ  
 كَوَاكِبِ الْحُسْنِ وَالْأَطْوَاقِ مِنْ ذَهَبِ  
 وَرُحْتُ أُطْفِي لَهَيْبِ الشَّوْقِ بِاللَّهَبِ  
 أَقْفَالُ قَلْبِي.. فَهَذَا سُوءٌ مُنْقَلَبِي؟  
 لَا حَبْدَ عَنْهُ وَلَا مَبِيلٌ إِلَى الْهَرَبِ  
 وَقُلْتُ: مَنْ جَاءَهُ غِرٌّ وَمَحْضُ غَيْبِ  
 لِأَسْهَرِ اللَّيْلِ رَهْنِ النَّارِ وَالْحَطَبِ  
 وَاللَّيْلِ يَرْسُمُنِي فِي لَوْحَةِ الشُّهْبِ  
 يَمْضِي وَفِي قَلْبِهِ كَمْ جَانِبِ حَرِبِ  
 مِنْ قَبْلِكَ النَّاسُ مِمَّنْ سَادَ فِي الْعَرَبِ  
 أَوْ ذُقْ هَوَاكَ وَعَانِقْ بِهَجَةِ الطَّرِبِ  
 وَالْحَقُّ بِهِ رَاقِبِ الْأَشْوَاقِ عَنْ كَثْبِ

مَا كُنْتُ أَحْشَاهُ عَادَ الْيَوْمَ فِي طَلْبِي  
 فَقَدْ سَمِعْتُ بَلْبِي جُنَّ عَاشِقُهَا  
 وَلَمْ تَزَلْ تَنْكِرُ الْأَشْوَاقَ قَافِيَتِي  
 أَيْبْتُ لَيْبِي فَلَا هَمُّ يُورِقُنِي  
 مَضَيْتُ عَنْهَا خَلِيَّ الْقَلْبِ مُبْتَهَجًا  
 حَتَّى تَرَاءَتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ طَلَعَتْهَا  
 غَيْدَاءٌ مَلْحَاءٌ.. فِي عِزِّ تَحْفُفُ بِهَا  
 فَقَمْتُ أَشْفِقُ مِنْ قَلْبِي تَوَجُّسُهُ  
 وَعَدْتُ أَسْأَلُ مَا حَاطِبِي هَلْ انْكَسَرْتُ  
 وَهَلْ تُرَى قَدَرِيَا قَلْبُ نَعَشِقُهَا  
 قَدْ كُنْتُ أُدْرِكُ أَنَّ الْعَشْقَ مَهْلِكَةٌ  
 فَإِذْ بِهِ الْيَوْمَ يَأْتِينِي عَلَى هَرَمِ  
 وَأَكْتُبُ الشَّعْرَ وَالْفِنْجَالَ يَرْشُقُنِي  
 هَذِي حَيَاةٌ.. وَمَنْ لَا عَشْقَ يَشْغَلُهُ  
 فَكَيْفَ ظَنُّكَ لَا تَهْوَى وَقَدْ عَشِقْتُ  
 فَعِشْ وَحِيدًا بِلا قَلْبٍ وَلَا أَمَلِ  
 حَاذِرْتُفُوتُ مَسَارَ الْعَشْقِ مُبْتَلِسًا



سامي بن أحمد القاسم  
السعودية



شمس الدين درمش  
السعودية

## قراءة في تقديم الشيخ محمد الرابع الندوي

# لكتاب «رسائل الأعلام» للشيخ أبي الحسن الندوي

إن الأديب الإسلامي الذي يتشرب روح الإسلام، ويصير في حياته كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، هذا الأديب ستكون كل كتاباته

وإبداعاته نابغة من ظلال هذه الآية الكريمة، وسيلمس ذلك كل قارئ لكتاباته الأدبية المباشرة، وغير المباشرة، كما يسري الماء في نسغ النبات الأخضر، وكما يسري الدم في شرايين الإنسان الحي.

ولا غرو؛ فإن الشيخ العلامة الداعية الأديب محمد الرابع الندوي من هذا الطراز من الكُتَّاب. وفيما يأتي نظرة في

تقديمه كتاب «رسائل الأعلام» للشيخ أبي الحسن الندوي، نرصد من خلاله عنايته بالأدبية فيما يكتب ويقرر؛ فضلاً عن الإسلامية التي هي روح كتاباته.

\*\*\*

يقرر الشيخ محمد الرابع في بداية تقديمه أدبية الرسائل، فيقول: «إن الرسائل من أبرز النماذج الكتابية التي يتجلى فيها التأثير والإمتاع. فقد يتخذها صاحبها ذريعة لنقل تأملاته و انفعالاته

عُني الشيخ محمد الرابع الندوي (رحمه الله تعالى) في كتاباته بالأدب الإسلامي، وهو أمر بدهي، وتحصيل حاصل من مثله، فقد نشأ في بيئة إسلامية وعلمية وأدبية، وصحب أعلام الأدب

الإسلامي، وفي مقدمتهم سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي (رحمه الله تعالى)، ووضع مناهجه، وعلم مقرراته في ندوة العلماء، بل دَبَّج فيه مقالات قيمة، ثم أخرجها في كتب قيمة مفيدة.

وقد تيسر لي الاطلاع عن كثب على بعض هذه المؤلفات، ومنها: «الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذجه لصدر الإسلام»، و«أضواء على الأدب الإسلامي»،

و«الغزل الأردني.. محاوره ومكانته في الشعر». وقد كتبت تعريفاً بكتابه الأخير نشر في العدد (١١٧) من مجلة الأدب الإسلامي، في باب المكتبة، ونشر أيضاً في مجلة الرائد الصادرة من مكتب رابطة الأدب الإسلامي لشبه القارة الهندية. وعنوان الكتابين الأولين يفصحان عن مضمونهما المباشر في الأدب الإسلامي، والحديث عنهما حديث مباشر يمثل تعريفاً بتفاصيل الكتابين، وسيكون -إن شاء الله- في وقت آخر.



الشيخ محمد الرابع الندوي



وانتهاء بأبي العلاء المعري، يقول: «وهذه الرسائل كلها بأنواعها المختلفة مادة كبيرة للمتعة الأدبية للقراء والدارسين».

ويستدرك على هذه الرسائل وحدة النمطية، فيقول: «إذا قرأت رسالة منها فلا تقرأ بعدها إلا شقيقتها وأختها إلى آخر المجموعة، وهذا الشكل من العمل الرسائلي يخلو من

التنوع الفني، والتنوع النفسي كذلك، فكانت الحاجة ماسة إلى أن يكون بين أيدي القراء مجموعات للرسائل المتنوعة الأسلوب بتنوع كتابها، وهو ممكن إذا راعينا وحدة المرسل إليه لا وحدة الكاتب، أو تركنا الوحدة وجمعنا الأشتات بشرطة أن يكون كتابها من أهل الأقلام البليغة، وإلا لم تبلغ هذه الرسائل إلى درجة النفع والإمتاع»، (ص ٩). وهنا يدهشنا فضيلته في الإصرار على أدبية الرسائل، وشروط هذه الأدبية، ويكشف عن عمق تشربه الأدبية في رؤيته وكتاباته تنظيراً وتطبيقاً.

ثم ينقلنا فضيلته من هذا التقديم التاريخي والتأطير التنظيري لأدب الرسائل إلى النموذج الأدبي الجديد الذي سيعرضه في هذا الكتاب «رسائل الأعلام»، وهي رسائل استقبلها سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي من عدد كبير من الأعلام الذين خاطبهم في موضوعات متنوعة بأسلوب تحققت فيه سمات الأدبية، فيقول: «فقد كانت لديه بتأثير ارتباطه بشخصيات متنوعة كثيرة في العالم الإسلامي رسائل كثيرة يوجد عليها طابع أخوي، وطابع أدبي، وطابع فكري معاً»، (ص ١٠).



الشيخ أبو الحسن الندوي

النفسية، وتكون ناجحة في إصابة الغرض عندما تكون طبيعية غير متكلفة» (ص ٧)، فيقرر في هذه العبارات بعض أهم أسس الأدبية، وهي التأثير والإمتاع، والتأمل والانفعال النفسي الذي يعبر عنه كثيراً بالتجربة الأدبية.

ثم يعود بنا إلى تاريخية أدب الرسالة، فيقول: «وبدأ تاريخ

الرسائل القوية في اللغة العربية منذ الصدر الأول، فهناك مجموعة من رسائل [يتصل] سندیاً إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي مع كون طائفة منها مشكوك في نسبتها إليه، ولكن الذي لا يشك فيه أن منها ما يبلغ أيضاً من الجمال الأدبي والتأثير النفسي إلى الدرجة العالية» (ص ٨). فالشيخ محمد الرابع هنا يؤكد أدبية الرسائل، وسماتها الرئيسية.

ويشير إلى تنوع مجالات الرسائل من سياسية واجتماعية وإخوانية فردية، ويقول: «وتقتصر قوة الرسالة الأدبية على الانفعال النفسي لكتابها في الغرض الذي يكتب لأجله، وعلى رعايته للحالة النفسية للمرسل إليه، وفي كل الأحوال كان لا بد للكاتب أن يراعي الفصاحة في كلامه»، (ص ٨).

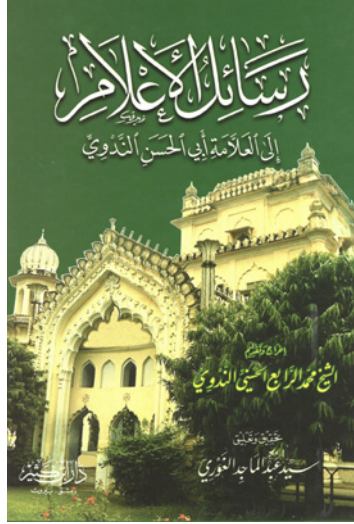
فالرسالة في رؤية الشيخ قطعة أدبية، أو تجربة أدبية ينبغي أن تتضمن عناصر الأدب الرئيسية من الانفعال العاطفي، ومن شروط الفصاحة حتى تؤدي الغرض الذي كتبت من أجله.

وبعد أن يستعرض أسماء كبار كتاب الرسائل في التاريخ الأدبي بدءاً من رسائل عبد الحميد الكاتب،



وبذلك أصبحت المجموعة حديقة ذات ألوان، وروائح مختلفة، لانجد هذا النموذج في مجموعات الرسائل الأخرى، وهي ميزة تمتاز بها هذه المجموعة، ويزيد ذلك من قيمتها وأهميتها» (ص ١١-١٢).

وعن حجم الرسائل المنتخبة وعددها في كتاب «رسائل الأعلام»، يقول: «كما أنها نخبة من كثير، لأن الرسائل التي نجدها لدى فضيلته -أي الشيخ أبي الحسن الندوي- تناهز في عددها ثلاثمائة رسالة، اختار منها فضيلته نحو سبعين رسالة بالاعتناء بجوانب



الإفادة والمتعة معاً...، وتمتد المساحة الزمنية لذلك إلى سبعة وثلاثين عاماً»، (ص ١٢-١٣).

إن تقديم فضيلة الشيخ محمد الرابع لكتاب «رسائل الأعلام» لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي؛ كشف لنا عناية الشيخين بالأدب شكلاً ومضموناً، وبدايةً وغايةً، فالكتابة عمل إبداعي يصبغه كاتبه بلون أدبي مفيد وممتع، يضع فيه عقله وروحه وعاطفته.

وهذا التقديم يدعونا إلى قراءة هذه الرسائل قراءة أدبية متأنية وعميقة للكشف عن جانب آخر من جوانب الأدبية في الرسائل المنتخبة في هذا الكتاب، لم يتعرض له أحد فيما أعلم.

فرحم الله تعالى؛ الشيخين أبا الحسن الندوي، وخليفته محمد الرابع الندوي، وجعل ما تركاه من كتب علماء ينتفع به إلى يوم القيامة.

ويذكر لنا أن الشيخ أبا الحسن الندوي هو الذي اختار من الرسائل التي وردت إليه من أعلام العلم والأدب والفكر هذه المجموعة لتوفر سمات الأدبية فيها، فيقول:

«فرأى أن يختار منها ما يحتوي على الإفادة والإمتاع أكثر، وينشرها للراغبين في مثل هذه النماذج المفيدة؛ ليطلع الطلبة على الأساليب اللائقة لكتابة الرسائل، فتغذي ملكتهم في إبداء الخواطر، ومخاطبة الأصدقاء، وأهل الفكر والأدب، كما يطلع بها أهل العلم والدراسة على اتجاهات وآراء وأفكار للشخصيات النابهة

المختلفة، فيستنتجون منها نتائج ذات قيمة علمية ودينية»، (ص ١٠).

ونجد في هذا الوصف لاختيار العلامة الندوي من الرسائل التي وصلته؛ وضوح الرؤية لوجهي العمل الأدبي الشكلي والمضمون، وغائية العمل الأدبي، وأنه عمل هادف فيه إفادة وإمتاع، وليس الإمتاع وحده حسب مذهب الفن للفن.

ويعطي فضيلة الشيخ محمد الرابع وصفاً لرسائل هذه المجموعة فيقول: «نجد في رسائل هذه المجموعة تنوعاً لانجده في مجموعات الرسائل الأخرى، وذلك لأن صاحب هذه المجموعة نفسه يمتاز بالتنوع العلمي والأدبي، ويلتقي بأصحاب الرسائل من أصحاب المجالات العلمية والأدبية المختلفة على تنوعهم بكل واحد منهم في نوعه. إن فضيلته أديب بالعربية والأردية، وعالم من العلماء المعروفين، ومفكر وداعية...»

# عرس الأحران

أَغْرَى النُّمُوسَ بِمَطْمَعِ اللَّبْسِ  
مَشْحُونَةً بِقَدَائِفِ التَّعْسِ  
أَبْكِيكَ أَمْ أَبْكِي عَلَى نَفْسِي؟!  
فِيهِ الْقُلُوبُ قَسَاوَةٌ الْجَبْسِ  
بَعْدَ انْصِهَارِ الدِّعْجِ وَالرُّبْسِ  
وَأَنَا أَسِيرٌ عَلَى خُطَا قَيْسِ  
بِخِتَامِ قِصَّتِنَا فَتَى عَبْسِ  
شَهَدَتْ لَهَا بِحَلَاوَةِ الدَّرْسِ  
تَغْتَالِهَا دَوَامَةُ الْعَبْسِ  
تَرْتَدُّ صَوْبَ الصَّدْرِ بِالْعَكْسِ  
عَرَبَاتُهَا اغْتَادَتْ عَلَى الدَّهْسِ  
وَعَدَا يَفُودُ سَفِينَتِي حَدْسِي  
قَبْلَ اكْتِمَالِ النُّضْجِ وَالْعُرْسِ  
لَمْ أَقْطِفْ مَهْمَا سِوَى الْبُؤْسِ  
قَوْلُ الدِّيَارِ بِالْحُسْنِ خُرْسِ:  
كَأَسْ الْمُنِيَّةِ لَيْلَةَ الْعُرْسِ  
كَأَسَالِ الْعَلَقِمِهَا سِوَى كَأْسِي  
لِتَحُطَّ هَوْدَجُهَا عَلَى رَأْسِي  
كَادَتْ تُصِيبُ الْعَقْلَ بِالْمَسِ  
لِتَنَالَ وَصْلِكَ ظَلَمَةَ الرَّمْسِ  
مِثْلِي تَفِيضُ دَمًا عَلَى الطَّرْسِ  
فِيهِ تُؤَلِّوُلُ مِنْ لَطَى الْبَأْسِ  
تَرْتَجُّ وَالْهَةَ بِلَا حِسِ  
وَخِدِي الْمَكْبَلِ مِنْ بَنِي جُنْسِي  
إِلَّا وَقَدْرُكَ زَادَ فِي النَّفْسِ  
ذِكْرَكَ فِي نَطْقِي وَفِي هَمْسِ  
وَكَأَنَّ وَصْلَكَ كَانَ بِالْأُمْسِ  
يَدْعُوكَ فِي صَلَوَاتِهِ الْخَمْسِ

نَبَأُ ارْتِحَالِكَ لَيْلَةَ الْعُرْسِ  
زَلَّالُهُ الْقَاسِي تَوَابِعُهُ  
قَامَتْ لَهُ الدُّنْيَا تَصِيحُ مَعِي:  
يَا فُمْفُمَ الْوَجَعِ الَّذِي طَحَنْتَ  
وَلَيْتَ جُيُوشَ الصَّهْرِ هَارِيَةً  
أَصْبَحْتَ لَيْلَى فِي حِكَايَتِنَا  
يَا لَيْتَ أَنَّكَ عَيْلَةٌ وَأَنَا  
فَهَوَاكِ مَدْرَسَةٌ رَسَائِلِنَا  
يَا لَيْسَ عَادَةً عِنْدَ مَوْلِدِهَا  
كَرِصَاصَةٍ بَعْدَ انْطِلَاقِهَا  
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى طُرْقِ  
كَيْفَ اتَّخَذْتُ الْأَمْنَ مَرْكَبَتِي  
شَجَرُ الْمَتَى قَدْ جَفَّ فِي دَمِنَا  
قَدْ صَارَ أَشْوَاكًا بِأُورْدَتِي  
فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ يُـوَرِّقُنِي  
إِنَّ الَّتِي أَحْبَبْتَهَا شَرِيَتْ  
يَا وَنَحَهَا الدُّنْيَا أَمَا وَجَدْتُ  
لِكَأَنَّهَا أَوْجَاعُهَا خُلِقَتْ  
يَا مَنْ مَضَتْ وَلَطَى فَجِيعَتِهَا  
حَكَمَ الرَّدَى بِوُجُوبِ فُرْقَتِنَا  
أَرْتِيكَ وَالْأَفْلامُ أَعْيَتْهَا  
أَمَا الْمَكَانُ فَكُلُّ زَاوِيَةٍ  
حَتَّى الْمَقَاعِدُ فِي أَمَاكِنِهَا  
انظُرْ إِلَى قَيْدِ الْأَسَى تَرْنِي  
وَاللَّهِ لَا يَمْضِي لَنَا نَفْسُ  
أَمَا اللِّسَانُ فَمِنْ مَلَدَّتِهِ  
وَتَمُرُّ أَعْوَامٌ بِلَا عَدَدِ  
يَا رَبِّ فَرِّجْ هَمَّ مُكْتَتِبِ

(وافتها المنية  
يوم زفافها؛ فكانت  
هذه القصيدة):



عاطف عكاشة  
الإمارات



# مساهمة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تطوير أدب الأطفال

رسالة دكتوراة مقدمة في مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو في نيودلهي بالهند

للباحث سلمان عارفي - الهند



رابطة الأدب الإسلامي العالمية منذ نشأتها (عام ١٩٨٤م) اهتماماً بأدب الطفولة، فقد نص البند السابع من أهداف الرابطة في كتيب التعريف على: (العناية بأدب الأطفال، ووضع منهج لأدب الطفل المسلم)، بما أنه وسيلة تربوية مؤثرة تسهم في تنشئة الأطفال، وبناء شخصيتهم من نواح متعددة، فساهم في هذا المجال عدد كبير من الأدباء والكتاب المنتسبين إلى الرابطة، في مقدمتهم الشيخ أبو الحسن علي الندوي، وعبد التواب يوسف، وأحمد فضل شبلول، ومحمود حسين مفلح، وشمس الدين حسين درمش، ويحيى بشير الحاج يحيى، وأحمد محمد زرزور وغيرهم.



وقد تناول الباحث مختارات من هذه الإصدارات بالدراسة والتحليل.

## أهمية الدراسة

لا شك أن أدب الأطفال لقي تطوراً واسعاً في العصر الحديث، فتنوعت مجالاته، وتعددت وسائله، فلم يعد هذا الأدب ينحصر في القصة والأناشيد والمسرح فقط، بل ظهرت له صور وأشكال مختلفة مثل: الكتب المصورة، وكتب الرسوم التوضيحية، وكتب الرسوم الهزلية، والصور التعليمية، والأحاديث، والفيديو التعليمي، والبرامج التلفزيونية، والمسلسلات، والأفلام، والحوار، والمسابقة والمحاضرة وغيرها من الأشكال، كما أنه انتقل من شكله الورقي إلى العالم الإلكتروني الرقمي، فهناك كثير من المواقع وشبكات الإنترنت برعاية المؤسسات التعليمية والتربوية ودور النشر المختلفة، التي تهتم بنشر المواد الأدبية والثقافية للأطفال على الإنترنت، وتحولها إلى برامج وأفلام ومسلسلات كرتونية، وقد شاعت هذه الظاهرة خاصة في العقود الثلاثة الأخيرة على النطاق العالمي.

ومن ثم قدمت رابطة الأدب الإسلامي للأطفال أدباً يرتبط بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، ويعتق تصوره الشامل للكون والإنسان والحياة، ويعتمد على تربيته المتكاملة للناشئين، وهذا ما يسعى «أدب الأطفال الإسلامي»، فمن سمات هذا الأدب أنه يحمل في جوهره روح الفكرة الإسلامية التي تخلو من الزيغ والانحراف، ومن الأوهام والخرافات، فهي تثري خيال الطفل بما هو خير ونافع، مما يوضح له غاية الحياة ومفهوم السعادة الحقيقية فيها، وخلال ذلك؛ يدعو هذا الأدب بشكل غير مباشر - جميع أطفال العالم إلى دين الإسلام، ولذلك هو يميل في بنائه إلى الواقعية، فيركز

كما اهتمت الرابطة بإصدار عدد من الكتب والمؤلفات الأدبية للأطفال تحت عنوان «سلسلة أدب الأطفال»، بالتعاون مع داري نشر في الرياض، الأولى منهما: مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، والأخرى دار الحضارة للنشر والتوزيع، فنشرت مكتبة العبيكان خمسة عشر كتاباً للأطفال، منها ثلاثة عشر كتاباً في الشعر والقصة والمسرحية، وهي أربعة في الشعر، وواحد في الشعر القصصي، وأربعة في القصة، وواحد في السرد التاريخي، وثلاثة في المسرحية، وكتابان في دراسة أدب الأطفال. وصدر من دار الحضارة خمسة عشر كتاباً للأطفال، منها أربعة عشر في القصة، وواحد في المسرحية الشعرية، وكل ذلك حتى نهاية عام ٢٠٢١ م.

ففي الإنتاجات الأدبية التي أصدرتها الرابطة للأطفال من مكتبة العبيكان؛ نجد الدواوين الشعرية مثل: غرد يا شبل الإسلام لمحمود حسين مفلح، وتغريد البلابل ليحيى بشير الحاج يحيى، وأشجار الشارح أخواتي لأحمد فضل شبلول، وأغنية للغيمة البعيدة لأحمد محمد زرزور، ومذكرات فيل مغرور شعر قصصي لحسين علي محمد، كما نجد مجموعات قصصية مثل: قصص من التاريخ الإسلامي للشيخ أبي الحسن علي الندوي، وبقاقة ياسمين، وهي مجموعة قصصية ألفها الكاتب التركي علي نار باللغة التركية، وترجمها شمس الدين درمش إلى اللغة العربية، ومغامرات عصفور لعبد الجواد الحمزاوي، وشيماء لحسن الغشتول، وأشهر الرحلات إلى جزيرة العرب» وهي قصص تاريخية قصيرة عن عشرة رحالين إلى الجزيرة العربية، كذلك نجد ثلاث مسرحيات مشوقة للأطفال وهي: مدينة الرحمة لمحمود عبد الله محمد، وبيض من ذهب لمحمد لطفي عبد المعطي المطاوع، وسجين الهاء والواو لمحمد عبد الحافظ الناصف،



أولاً أهميته وفاعليته في تربية الأطفال، وبناء حياتهم في العصر الحديث، الذي يعاني فيه أدب الأطفال العربي الكثير من الهبوط من ناحية غرس الفكر الإسلامي في الناشئين، وربطهم بضرورة العقيدة والدعوة.

## البحوث والدراسات المتعلقة

حاول الباحث التوصل إلى دراسات سابقة ذات صلة بموضوع الدراسة الحالية، واستعان لذلك بدليل الرسائل الجامعية المناقشة والمسجلة في جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند، ودليل «شوده غنغا» للبحوث الجامعية الهندية، الذي يوفره مركز شبكة المعلومات والمكتبات في غاندي نغر بولاية غوجرات، الهند، وهو مركز مستقل مشترك بين الجامعات الهندية وتابع للجنة المنح الجامعية (UGC) نيودلهي، (وزارة التعليم الهندية) كما قام الباحث بتصفح مفتوح على شبكة الإنترنت العالمية، فلم يعثر على أية دراسة جامعية بنفس العنوان والمحتوى، إلا بحث وجيز لشمس الدين حسين درمش، في (١٣) صفحة فحسب، نشرته الرابطة تحت عنوان «جهود رابطة الأدب الإسلامي العالمية في أدب الأطفال»، في كتاب أدب الأطفال بحوث ودراسات»، وهو كتاب يضم (١٩) بحثاً قدم في ندوة منهج الأدب الإسلامي في أدب الأطفال التي أقامتها الرابطة بالرياض عام ٢٠٠٦ م، وقد صدر الكتاب من مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع عام (٢٠١٨ م). فهذا البحث الذي يتناول جهود الرابطة في أدب الأطفال نظراً وتطبيقاً، هو في الحقيقة تقرير أو بحث استطلاعي سرد فيه الكاتب شمس الدين درمش معلومات سريعة عن ندوات الرابطة وإصداراتها وأعضائها الذين ساهموا في هذا المجال بأسلوب تقريرية مباشر، كما أنه قدم بالاختصار ملحوظاته سلباً

عموماً على معالجة حقائق الكون والحياة، ليرغب الناشئين ويحثهم على الحياة العملية، على عكس أدب الأطفال الحديث الذي يمتلئ عامةً بالأساطير والخرافات، وأوهام الخيال العلمي التي بسببها يفقد الأطفال بالتدرج قوة الوعي والتفكير حول ظروف العالم الحقيقي وأحداثه.

فهذه بعض أهم الخصائص والميزات التي تميز الأدب الإسلامي عن الآداب الأخرى، والأساس في ذلك أن الإسلام لا ينظر إلى الأدب عموماً وإلى أدب الأطفال خصوصاً أداة لتسلية الوجدان فحسب، بل هو يريد للأطفال أدباً يمتاز بقيمته الفنية، وغايته البناءة، ويشبع نفوسهم بما هو ممتع ونافع معاً، ويجمع بين كافة العوامل والمؤثرات التي تسهم في تنمية شخصيتهم عقدياً وسلوكياً وتعليمياً وثقافياً ووجدانياً، ويكون لهم سلاحاً تربوياً مؤثراً بلباس فني مشوق.

ونحن -المسلمين- نعتقد أن التربية بمعناها الشامل لا تكتمل، ولا تحدد معالمها وغاياتها ما لم تنطلق من مفاهيم التربية الإسلامية، وذلك لأن الإسلام أولى تربية الأطفال والنشء رعاية خاصة وأكد تربيتهم وثقيفهم. فإذا كانت الأمم المتحدة قد أعلنت حقوق الأطفال في الخمسينيات من القرن العشرين، وأسست لهم منظمة عالمية باسم «اليونيسف» للدفاع عن حقوقهم في الحياة والصحة والتربية والتعليم، فإن الإسلام قد أعلن حقوق الأطفال قبل أربعة عشر قرناً ونصف القرن، وحدد لهم مناهج وأساليب تربوية راسخة تتميز بالدقة والشمول والتجدد والانفتاح، وتتفوق على ما عند الآخرين، من المناهج التربوية الحديثة التي تقدمها الدول والمدنيات المعاصرة، فمن هذا المنظور التربوي الإسلامي؛ قامت الرابطة بتنظير أدب الأطفال، وتحديد سماته وأهدافه.

ومن هنا عقد الباحث العزم على دراسة هذا الفن الأدبي الإسلامي للأطفال، ليرز



الديوانين (أشجار الشارع أخواتي لأحمد فضل شبلول)، و(مذكرات فيل مغرور للدكتور حسين علي محمد) من إصدارات الرابطة في أدب الأطفال، ففي المقالة الأولى تناول أحمد محمود مبارك الديوان قراءة وتحليلاً، وبين ما يوجد فيه من سمات وأهداف، وفي المقالة الثانية: تحدث محمد زيدان عن خصائص الديوان لغة ومضموناً، فإذا نظرنا إلى هاتين المقالتين، وجدنا أنهما لا تعالجان مباشرة مساهمة الرابطة في أدب الأطفال، حيث هما تركزان على شرح وتحليل كتابين خاصين أصدرتهما الرابطة للأطفال، غير أنهما تشكلان مصدراً مهماً أفاد الباحث خلال تناوله إصدارات الرابطة تحليلاً وتطبيقاً.

وقد استفاد الباحث ما عدا ذلك من البحوث والدراسات التي نشرت في مجلة «الأدب الإسلامي» بعددها الخاص بأدب الأطفال (المجلد العاشر، العدد الأربعون ٢٠٠٤م)، ومن الدراسات التي نشرت في كتاب «أدب الأطفال: بحوث ودراسات»، وكذلك من بعض التقارير التي صدرت عن ندوات الرابطة أدب الأطفال، فهذه المواد تشكل مصادر

وإيجاباً عن جهود الرابطة في أدب الأطفال، فهذا البحث الاستطلاعي يختلف عن الدراسة الحالية بناءً وغايةً، حيث هو لا يتخصص في دراسة أدب الأطفال وتطوره وخصائصه وأهدافه من منظور رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ولا يتناول قضايا الأطفال بالبسط والشرح من خلال تحليل إصداراتها في الأجناس الأدبية المختلفة، كما هو لا يلقي ضوءاً وافياً على فكرة الرابطة وأهدافها ومناهجها في توظيف العمل الأدبي للأطفال، غير أنه يعد مصدراً مهماً استفاد منه الباحث في تأطير دراسته.

ومن البحوث التي تتعلق جزئياً بموضوع الدراسة الحالية: «مساهمة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تطوير الأدب العربي»، وهي رسالة الدكتوراه، قدمها الباحث عارف قاضي لقسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية واللغات في الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي الهند، عام ٢٠٠٩م تحت إشراف الدكتور حبيب الله خان، فهذه الرسالة الجامعية - كما يظهر من عنوانها - تدور حول مساهمة الرابطة وأدبائها في تطوير الأدب العربي بمنظور الإسلام، وقد استفاد منها الباحث خاصةً في كتابة الباب الأول لدراسته، كما أنه وجد مقالتين تتعلقان جزئياً بموضوع دراسته:

الأولى: «قراءة في ديوان أشجار الشارع أخواتي» للشاعر أحمد فضل شبلول؛ بقلم أحمد محمود مبارك، والثانية: «مستويات اللغة والمضمون في مذكرات فيل مغرور» للدكتور حسين علي محمد؛ بقلم محمد زيدان، وتم نشر هاتين المقالتين في مجلة الرابطة «الأدب الإسلامي» بعددها الخاص بأدب الأطفال، (المجلد العاشر - العدد الأربعون، ٢٠٠٤م). وجدير بالذكر أن كلا



مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع بالرياض، فتناول الباحث هذه الكتب بالدراسة والتحليل، وشرح ما تحويه من موضوعات وأهداف تسهم في تنمية حياة الأطفال وشخصيتهم من الناحية الدينية والسلوكية والتعليمية والثقافية والاجتماعية وغيرها، كما أبرز ما يوجد فيها من خصائص لغوية وفنية، وهذا ما يساعد على فهم فكرة الرابطة في أدب الأطفال، واستكشاف المناهج النظرية والتطبيقية التي تبنتها في تقديم الأدب الإسلامي للأطفال، وقد حُصّصت هذه الدراسة التحليلية بباب كامل.

وقد انتقل الباحث في آخر الدراسة إلى المنهج النقدي أيضاً عندما تحدث عن أهمية أدب الأطفال الإسلامي وعالميته وحاجته في العصر الحديث، وقدم ملاحظاته إيجاباً وسلباً حول إسهامات الرابطة في هذا المجال، مع تقديم عدد من المقترحات والتوجهات ذات الصلة، وقد بذل الباحث قصارى جهده في جمع بيانات ومعلومات دقيقة موثوقة عن موضوع الدراسة، وحاول من خلال ذلك التوصل إلى نتائج وحلول منطقية.

ثانوية للدراسة، وبناء على ذلك يمكن القول: إن موضوع الدراسة الحالية (مساهمة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تطوير أدب الأطفال) سيكون جديداً من نوعه في هذا المجال وغير مسبق.

## منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة أساساً على المنهج الوصفي التحليلي، الذي وصف الباحث من خلاله اهتمام رابطة الأدب الإسلامي العالمية بأدب الأطفال، وألقى الضوء على ما اتخذته الرابطة من إمكانيات ووسائل في تطوير هذا الفن من النشر والتأليف وعقد المسابقات والندوات، بالإضافة إلى ذكر أعضاء الرابطة المساهمين في هذا المجال، كما بين مفهوم أدب الأطفال عند الرابطة مبرزاً خصائصه وأهدافه.

وإن المنهج التحليلي يعد جزءاً مهماً لمنهجية هذه الدراسة، فقد اختار الباحث تسعة كتب أدبية للأطفال في كل من الشعر والقصة والمسرحية، والتي نشرتها الرابطة من طريق



**الفصل الثالث:** يتناول جهود الرابطة في أدب الأطفال، بما فيها من جهود نظرية مثل ندوات الرابطة في أدب الأطفال، وجهود تطبيقية مثل مسابقات الرابطة، وإصداراتها المختلفة في أدب الأطفال، كما يذكر بعض أدباء الرابطة المساهمين في هذا الفن.

**الباب الثالث: في قراءة إصدارات الرابطة في أدب الأطفال وتحليلها.**

**الفصل الأول:** يقوم بدراسة دواوين الرابطة في أدب الأطفال وتحليلها، وهي ثلاثة دواوين شعرية مختارة: ديوان غرد يا شبل الإسلام»، وديوان «أشجار الشارع أخواتي»، وديوان «أغنية للغيمة البعيدة».

**الفصل الثاني:** يقوم بدراسة وتحليل قصص الرابطة في أدب الأطفال، وهي ثلاث مجموعات قصصية مختارة: «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال»، و«شيماء»، و«باقة ياسمين».

**الفصل الثالث:** يقوم بدراسة وتحليل مسرحيات الرابطة في أدب الأطفال، وهي ثلاث مسرحيات مختارة: «سجين الهاء والواو»، و«مدينة الرحمة»، و«بيض من ذهب».

**الباب الرابع: في دراسة الرابطة في أدب الأطفال وملاحظات عامة.**

**الفصل الأول:** يلقي نظرة فاحصة على دراسات الرابطة في أدب الأطفال، ويبحث في هذا الصدد كتابين خاصين وهما كتاب «أدب الأطفال بحوث ودراسات» لمجموعة مؤلفين، وكتاب «النص الأدبي للأطفال: أهدافه ومصادره وسماته رؤية إسلامية» للدكتور سعد أبو الرضا.

**الفصل الثاني:** يقدم ملاحظات عامة حول

وجاءت هذه الدراسة في مقدمة، وأربعة أبواب، يحتوي كل باب منها على ثلاثة فصول، كما تضم ملخصاً أو خاتمة، وتنتهي بذكر المصادر والمراجع، وفيما يأتي شرح أبواب الدراسة وفصولها:

**الباب الأول: في تعريف رابطة الأدب الإسلامي العالمية.**

**الفصل الأول:** يقدم تعريفاً مفصلاً عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، بما فيه تأسيس الرابطة وعوامل نشأتها ومبادئها وأهدافها ونظامها الأساسي فيما يتعلق بالهيكل الإداري والتنفيذي.

**الفصل الثاني:** يشتمل على ذكر شخصيات الرابطة وأعضائها المؤسسين من أمثال الشيخ أبي الحسن الندوي، والدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، والدكتور عبد القدوس أبو صالح، والدكتور عبد الباسط بدر، والشيخ محمد الرابع الندوي، وغيرهم من الأعضاء الآخرين المتميزين في العصر الحديث.

**الفصل الثالث:** يتناول إصدارات الرابطة في مختلف مجالات الأدب والنقد والدراسة، كما يتحدث عن مجلات الرابطة التي تصدر من مكاتبها الرئيسية والفرعية ولا سيما مجلة «الأدب الإسلامي»، التي تصدر من مكتبها الرئيسي بالرياض.

**الباب الثاني: في أدب الأطفال، وجهود الرابطة في هذا المجال.**

**الفصل الأول:** يعرف أدب الأطفال بمفهومه الواسع، ويعالج خصائصه العامة، ويذكر نشأته وتطوره في السياق العربي خاصة.

**الفصل الثاني:** يبين مفهوم أدب الأطفال من منظور الرابطة، ويتناول في هذا السياق الأدب الإسلامي وخصائصه، كما يشرح ما اعتمده الرابطة من أهداف وسمات مميزة في أدب الأطفال.



العربية وآدابها»، بدار العلوم لندوة العلماء بلكنائو الهند، حيث وجد الباحث نسخة لكتاب «أدب الأطفال في ضوء الإسلام» لنجيب الكيلاني.

وفي يوم الأربعاء ١٣ ديسمبر ٢٠٢٣ م، الساعة ١١,٠٠ صباحاً بتوقيت الهند، عقد مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو في نيودلهي، بالهند، تحت إشراف رئيس المركز الأستاذ البروفيسور مجيب الرحمن جلسة افتراضية لمناقشة (رسالة الدكتوراة) التي قدمها الباحث سلمان عارفي بعنوان: «مساهمة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تطوير أدب الأطفال»، وذلك تحت إشراف الدكتور محمد أجمل، الأستاذ المساعد في المركز، وشارك الأستاذ الدكتور محمد أسلم إي كي مناقشاً رئيسياً لأطروحة الدكتوراه، وهو الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بجامعة كي تي أيم، ملابورم، ولاية كيرالا، بالهند.

بدأت المناقشة بكلمات ترحيبية ألقاها رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية، الأستاذ البروفيسور مجيب الرحمن، للمناقش الرئيسي الدكتور محمد أسلم، وشكر له تلبية الدعوة لإجراء المناقشة.



**د. محمد أجمل إسماعيل**

أدار الأستاذ المناقش جلسة المناقشة بدقة وإحكام واستيعاب مستجوباً ما ينطوي عليه البحث من موثوقية المحتوى، والالتزام بمنهجية البحث في الصياغة، وإحالة ما يهم الباحث من تعديلات ومقترحات. وأشاد بسعي الباحث ومشرفه لاكتمال بحثه، وأوصى بمنح شهادة (الدكتوراة) للباحث سلمان عارفي.

جهود الرابطة في أدب الأطفال في ضوء الواقع المعاصر، انطلاقاً من جهودها النظرية من الندوات والمؤتمرات، إلى جهودها التطبيقية من المسابقات والكتابات الشعرية والقصصية والمسرحية، كما يعرض عدداً من التوصيات والمقترحات في هذا الصدد.

**الفصل الثالث:** يختص بأدب الأطفال الإسلامي، فيذكر ما يوجد له من سمات وأهداف، ويبين عالميته وتأثيره في أدب الأطفال العام، كما يؤكد أهميته ودوره في معالجة التحديات المعاصرة. ومن المصادر المهمة التي استفاد منها الباحث خلال دراسته سوى كتابي الرابطة: كتاب «أدب الأطفال في ضوء الإسلام» لنجيب الكيلاني، وأدب الأطفال أهدافه وسماته لمحمد حسن

بريغش، و«في أدب الأطفال» لعلي الحديدي، و«أدب الأطفال في العالم المعاصر: رؤية نقدية تحليلية» لإسماعيل عبد الفتاح، و«أدب الأطفال علم وفن لأحمد نجيب»، وغير ذلك العديد من الكتب والبحوث والمقالات التي تناول أدب الأطفال من المنظور الإسلامي. وقد حصل الباحث على معظم

هذه المصادر من الإنترنت بصيغ (بي دي إف)، كما تتبع بعض المكتبات للمدارس والجامعات الهندية، منها مكتبة الجامعة المليية الإسلامية»، حيث وجد الباحث رسالة الدكتوراه للباحث عارف قاضي بعنوان: «مساهمة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تطوير الأدب العربي»، ومنها مكتبة العلامة شبلي «نعماني، ومكتبة كلية اللغة



# لَكَ الْحَمْدُ رَبِّي



د. عبدالرحمن العشماوي  
السعودية

يليق بوجهك ربًا كبيرًا  
عزيزًا حكيمًا جليلاً قديراً  
إليك، فأتبعه مستجيراً  
إليك، وتمنح قلبي حبوراً  
يُريني كبيرَ الأمورِ صغيراً  
وحنّاً، وتسقيه ماءً نَميراً  
وتبني لراحةِ بالي قصوراً  
وفوق البحارِ تمُدُّ جسوراً  
فيصبحُ روضُ الحياةِ نضيراً  
على رَبّواتِ فؤادي غزيراً  
وتظهرُ في الليلِ بدرًا مُنيراً  
وصيرتَ أعسرَ دربي يسيراً  
دروسَ وفاءٍ تُريحُ الضّميراً  
وهبهمُ وهبني عطاءً وفيراً  
ونبعُ من الحبِّ يشدو خيراً  
يفيضُ به كلُّ قلبٍ سروراً  
إليك، وأني أجذتُ المسيراً  
لجأتُ إليك رحيمًا غفوراً  
بفضلِكَ يا ربَّ حمداً كثيراً

لك الحمدُ ربّي كثيراً كثيراً  
يليق بوجهك ربًا عظيمًا  
لك الحمدُ حمداً يطيرُ بقلبي  
لك الحمدُ تفتحُ أبوابَ رُوحِي  
لك الحمدُ ترقى بنفسِي رُقياً  
لك الحمدُ تُشبعُ قلبي يقيناً  
لك الحمدُ تجتازُ بي كلَّ سُدِّ  
وتفتحُ لي طرقاً في الفياثي  
لك الحمدُ تُسقي منابتَ رُوحِي  
لك الحمدُ كالسُّحْبِ تَهْلُ غيثاً  
وفي رَوْثِ الفجرِ تنسابُ نوراً  
لك الحمدُ أخرجتني من همومي  
ويسررتُ لي إخوةً علموني  
فزدتهمُ وزدني عليك اتكالاً  
أخوتنا في جلالِكَ ظلُّ  
فهيتُ لنا في الجنانِ لقاءً  
لك الحمدُ أني عرفتُ طريقي  
وأني إذا وقعَ الذنبُ مني  
لك الحمدُ مني رضاً واعترافاً



# كتاب : خَوَاطِرٌ

للدكتور الشيخ جعفر مسعود الندوي

هذا كتاب جليل النفع، جميل الوقع، ألفه الأستاذ الدكتور جعفر مسعود الندوي، واختار له اسم (خواطر)، وعالج فيه عددًا من القضايا التي عرضت لخاطره في مناسبات متعددة، بأسلوب ميسر، وعميق، والطابع العام لهذه الخواطر هو الإصلاح، في وجوهه الخلقية والاجتماعية، والسياسية، والحضارية.



د. حسن الأمرائي

رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية  
المغرب



لتبين ذلك ينبغي تحديد مصطلح المقالة، ومصطلح الخاطرة، ونختصر فنقول:

## المقالة

أول استعمال لكلمة مقالة ظهرت حين نشر الناقد الفرنسي مونتيني كتابه مقالات (Essais) عام ١٥٨٠م.<sup>(١)</sup> والمقال ليس حشدًا للمعلومات، وليس كل هدفه أن ينقل المعرفة، بل لا بد إلى جانب ذلك أن يكون مشوقًا.

«ولما لم يكن للمقال ميدان محدد؛ فقد رأيناه يتنوع أنواعًا عدة، فمقال أدبي، وآخر سياسي، وثالث اجتماعي، ورابع نقدي.. إلى غير ذلك من الأنواع».

## الخطرة في ميزان النقد الحديث

إن «الخطرة من الأنواع النثرية الحديثة التي نشأت في جِجْر الصحافة، ولكنها تختلف عن المقالة من عدة وجوه، فالخطرة ليست فكرة ناضجة وليدة زمن بعيد، ولكنها فكرة عارضة طارئة، وليست فكرة تعرض من كل الوجوه، بل هي مجرد لمحة.

«وليست كالمقالة مجالًا للأخذ والرد، ولا هي تحتاج إلى الأسانيد والحجج القوية لإثبات صدقها، بل أقرب إلى الطبع الغنائي.»

«الخطرة أقصر من المقال، وهي لا تجاوز كثيرًا نصف عمود من الصفحة، وعمودًا من المجلة.» والخطرة تكون عادة بلا عنوان، وهي تختلف في ذلك عن المقال».<sup>(٢)</sup>

ولكن المتأمل يجد أنّ فن الخطر ليس طارئًا على أدبنا، ولا مستحدثًا كما يذهب المعاصرون، وإن كان شاع مع أدياء عصر النهضة. إن لهذا

إن قارئ هذا الكتاب يحس بأن الهدف من تأليفه هو نهضة الأمة، واستعادة رسالتها في خدمة الإنسانية، وذلك بإشاعة قيمها القائمة على المؤاساة والمساواة، والعدالة والحرية، والاعتدال والوسطية، وذلك هو ما مكن قديمًا، وما يمكّن حديثًا، من بناء حضارة راشدة من جديد، إذ (الحضارة في الواقع ليست تقدمًا ماديًا مقطوع الصلة بالأخلاق والضوابط والحدود التي تحفظ الكيان الإنساني والكيان الاجتماعي). ولا يمكن النهوض من جديد إلا بالتحرر من مفاهيم الغرب، (الغرب غرب، يغرب فيه كل ما نعهده من الفضيلة والحياء والحشمة والكرامة والأخلاق والقيم الإنسانية الرفيعة).

وإن شئنا اقتراح محاور تندرج تحتها هذه الخواطر استطعنا تلخيصها فيما يلي: الأخلاق، والتوحيد، وحسن التآسي بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعلاقة بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي.

وضمن هذه المحاور يعالج الكاتب القضايا الآتية، مثل «طوفان» الأقصى»، وما سمي «الربيع العربي» الذي أجهضته الثورات المضادة التي مؤلها الغرب، والأوبئة المادية والمعنوية التي رعاها الغرب، مثل «كورونا»، و«الأنفلونزا» في أشكالها المتعددة، والقيم الفاسدة التي تسلخ البشرية عن فطرتها الأدمية.

ولعل القارئ يسبق إلى ذهنه سؤال: لم اختار الكاتب اسم (الخواطر) لكتابه؟ والخطرة يغلب عليها أن تكون من اللوح العابر الذي قد يغلب عليه العاطفة، ولا يترك لسلطان العقل إلا هامشًا صغيرًا؟

يحملنا هذا على أن نعرف الخطرة، كما حددها «النقد الأدبي»، فما الخطرة؟ وما الفرق بينها وبين المقالة؟ وهل الكتاب خواطر أم هو مقالات؟



عليه من كثيب التفهم ما لا يجوز التفريط فيه، فجعلت هذا الكتاب قيِّداً لصيد الخاطر. والله ولي النفع، إنه قريب مجيب.<sup>(٥)</sup>

وخواطر ابن الجوزي في معظمها قصيرة لا تتجاوز الصفحة أو الصفحتين، وقد تكون جملة واحدة أو نحو ذلك، كالخاطرة السابعة التي سماها «في علو الهمة»، وهي هذه: (من علامة كمال العقلِ علوُّ الهمةِ، والراضي بالدون دنيٌّ: ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام)، غير أنها قد تطول أحياناً، فتتجاوز عشر صفحات مثل الخاطرة رقم (١٩)، التي عنوانها: «انحراف الصوفية».

هذا.. وقد سعى الشيخ علي الطنطاوي أحد كتبه (صور وخواطر)، فهل كان ينظر في هذا إلى صنيع ابن الجوزي؟

وما لنا نذهب بعيداً، وأمامنا إمامنا الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي وكتابه: (خواطر وفصول)؟

لقد سعى الدكتور جعفر مسعود الندوي كتابه: (خواطر)، فهل كان يريد الاقتداء في هذا الاختيار بشيخه أبي الحسن؟

لا ريب أن هناك شيئاً من هذا، سواء أقصده المؤلف أم لم يقصده، لأن روح أبي الحسن الندوي الحسيني تتجلى في الكتاب.

والآن من حقنا أن نسأل أنفسنا: هل تنطبق على الكتاب الذي نحن بصده الشروط المذكورة في فنِّ الخاطرة أنقاً؟

الحق أن ما تضمنه هذا الكتاب يتراوح ما بين الخاطرة والمقالة، فغلبة حضور الروح والوجدان تجعله يندرج ضمن الخواطر، إلا أنه في الوقت



الفن باعتباره مصطلحاً، جذورًا في ثقافتنا. فقد كتب ابن الجوزي: (صيد الخاطر)<sup>(٦)</sup>، وعلل هذه التسمية، مما يدل على أنه كان على وعي بأنه يخط شيئاً غير معهود عند كثير من الناس.

قال عليّ الطنطاوي في مقدمة الكتاب: «إن الخواطر لا تفتأ تمر على الذهن كأنها الطيور التي تجوز سماء الحقل، فكأنك ما رأيتهما، فإذا أنت اصطدتها وقيدتها ملكتها أبداً. لذلك جعل المؤلف الكتاب «قيِّداً لصيد الخاطر»، فكان

الاسم نفسه نفحة من نفحات العبقرية، وقد قلده فيه أحمد أمين، فسعى مقالاته: «فيض الخاطر» و«شتان ما هما»<sup>(٧)</sup>.

قال ابن الجوزي في مقدمة كتابه: «لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تُعرض لها، ثم تُعرض عنها، كان من أولى الأمور حفظ ما يخطر لكيلاً يُنسى.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((قيدوا العلم بالكتابة)). وكم

قد خطر لي شيء، فأتشاغل

عن إثباته، فيذهب، فأتأسف عليه! ورأيت من نفسي أنني كلما فتحت بصر التفكير، سنح له من عجائب الغيب ما لم يكن في حساب، فانتال



الشيخ جعفر مسعود الندوي



ذاته يجمع إلى ذلك الحجج والبراهين، مما يسمح بإدراجه في فن المقالة. فهو بهذا يخاطب العقل والقلب معًا. وسبب هذا هو أن الكاتب جعل شعاره الإصلاح، إصلاح النفس وإصلاح المجتمع. وموضوعاته تمس الأخلاق والتربية وبناء الروح، كما أن خواطره تعالج قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية والحضارية، فكان من الطبيعي إذاً الجمع بين جذوة الروح، وشعلة العقل.



وقد نشر المؤلف هذه الخواطر في مجلة (الرائد)، ما بين (٢٠١٩-٢٠٢٣م)، ومما يشغل الكاتب قضية الإسلام والغرب، فهي تبرز منذ مطلع الكتاب، ثم ما تلبث أن تظهر في مقالات أخرى، إلى آخر الكتاب.

قلت: إن الكاتب لا يكتفي بالكتابة العاطفية التي تحرك الوجدان، بل يجمع من الحجج والبراهين ما ينصر به أطروحته. وهذه الحجج والبراهين متنوعة، فهي مستمدة من التاريخ حيناً، البعيد منه والقريب، والشرقي منه والغربي، وهي تستند إلى تجارب واقعا المعاصر، وإلى شواهد من النصوص، وفي مقدمتها نصوص القرآن والسنة، وأقوال للسلف من الأمة؛ من الصحابة والتابعين ومن تلاهم إلى عصرنا هذا. كما يقدم شهادات من الغرب المسيحي، لرهبان منصفين. وهو بعد ذلك يصوغ كل ذلك وفقاً لرؤيته المتميزة.

يعد المتبصر في هذه الخواطر أن الكاتب مخلص لأرومته، ومقتبس من جذوتها روحاً تهيم على الكتاب. هذه الروح التي أوقد جذوتها الشيخ عبد العلي الحسني، وتلقفها الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، فسرت في شرايين كاتبنا ماءً عذباً فراتاً. فلذلك ما يفتأ يستحضر تلك الروح، وهو يراها جامعة لما يريد أن يبلغه من أفكار وعواطف.

ليس الدكتور جعفر مسعود الندوي خريج ندوة العلماء فحسب، بل هو خريج مدرسة

يحكم فيها الإسلام، ويسود فيها النظام الإسلامي في كل مجال من مجالات الحياة يعيد إلينا الثقة بالإسلام، ويخلصنا من الشعور بمركب النقص، وهذا ما نحتاج إليه الآن، يقول المفكر الإسلامي الهندي الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي: «لا ينهض العالم الإسلامي إلا برسائلته التي وكلها إليه مؤسسها صلى الله عليه وسلم والإيمان بها، والاستماتة في سبيلها، وهي رسالة قوية واضحة مشرقة، لم يعرف العالم رسالة أعدل منها، ولا أفضل، ولا أيمن للبشرية منها، وهي نفس الرسالة التي حملها المسلمون في فتوحهم الأولى، والتي لخصها أحد رسلهم في مجلس يزيد مجرد ملك إيران بقوله: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»، رسالة لا تحتاج إلى تغيير كلمة وزيادة حرف.

وفي الخاطرة التي عنوانها: (إلى حقيقته الإيمان وحلواته) يقرر أن الأوضاع الراهنة لا ينبغي أن



ولا بأس من أن نقتطف من هذه الكلمة الأخيرة شذرة لأهميتها: «إن العالم العربي بحر بلا ماء، كبحر العروض، حتى يتخذ سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم إمامًا وقائدًا لحياته وجهاده، وينهض برسالة الإسلام، كما نهض في العهد الأول، ويخلص العالم المظلوم من براثن مجانين أوروبا الذين يأبون إلا أن يقبروا المدنية، ويقضوا على الإنسانية القضاء الأخير بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم، ويوجه العالم من الانهيار إلى الازدهار، ومن الخراب والدمار والفوضى والاضطراب إلى التقدم والانتظام والأمن والسلام، ومن الكفر والطغيان، إلى الطاعة والإيمان، وأنه لحقّ على العالم العربي، سوف يسأل عنه عند ربه، فلينظر بماذا يجيب». وهناك مواطن أخرى استشهد فيها بقول الشيخ أبي الحسن الندوي مثل ما ورد في الخاطرة التي عنوانها: (جبهة جديدة للهجوم على الإسلام)، حيث يقتبس كلاً ما قوياً من كتابه «إلى الإسلام من جديد». فلا غرو إن نحن حكمنا بأن الكاتب تخرج في مدرسة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى.

وهناك أسماء مفكرين آخرين كانت حاضرة في الاستشهاد، مثل محمد قطب، ويوسف القرضاوي، ومحمد الغزالي، ومالك بن نبي، مما يدل على أن هذه الخواطر لم تكن مجرد لمعات كالبرق، بل كانت نتيجة تفكير وروية. ولم يكن علماء الإسلام وحدهم مرتكزاً لهذه الخواطر، بل كان لعلماء الغرب، -ولاسيما المنصفين منهم- نصيب. ونكتفي بضرب مثل واحد، وهو رد بعض الرهبان الزعم السائد بأن الإسلام انتشر بالسيف.

ففي خاطرة عنوانها: (أسخف خرافة ردها الناس في التاريخ) يفتتح بشهادة راهب، كان شامخاً (شماساً) في إحدى الكنائس، مضمونها: أن الذين يزعمون بأن الإسلام انتشر بالسيف لم ينتهوا



تبعث فينا اليأس والقنوط، ويستحضر قول أبي الحسن الندوي في ذلك: «لستُ قانطاً من ظهور حقيقة الإسلام في هذا العصر، ولا نصدق ما يقال بأن الزمان قد تغير، والمسلمين قد ابتعدوا جدًّا عن روح الإسلام، فلا أمل في حقيقة الإسلام وغلبتها من جديد، انظروا إلى ورائكم تروا جذر حقيقة الإسلام قائمة منتشرة في فجر التاريخ، وأن الحقيقة لم تزل تطفو كلما رسبت، وتظهر كلما اختفت، وكلما ظهرت حقيقة الإسلام وتجلت في ناحية من نواحي العالم الإسلامي، أو عصر من عصور التاريخ، غلبت وانتشرت». وفي «مهمة العالم الإسلامي» (اليوم) يعود إلى الاستشهاد بالشيخ أبي الحسن الندوي، ثم يعود إليه مرة أخرى في أرض البشرية في حاجة إلى سمادها، ثم هو في خاطرة «بالإسلام سعدنا وعززنا» يورد بعض ما قاله الشيخ أبو الحسن في حفل تكريمه في دبي، عام ١٩٩٩م.



بقي أمر جدير بأن نشير إليه، وهو أن الكاتب يعرض لبعض الأوهام التي صارت عند طائفة كبيرة من الناس، وكأنها من الحقائق المطلقة بسبب التضليل الإعلامي، فيأتي عليها الكاتب من القواعد لبطلانها، سواء أعلق الأمر بأحداث من التاريخ القديم، أم بوقائع من التاريخ المعاصر. وحسبنا هذا المثل من التاريخ المعاصر، فقد رد خرافة شاعت، وهي «الإسلام هدم الحضارات التي سبقت»، ويستشهدون بفعل الطالبان، وهي أنهم هدموا تماثيل بوذا، في حين أن أفغانستان فتحت في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وظلت تماثيل بوذا أربعة عشر قرناً، وعاش طالبان مع تماثيل بوذا خمسة أعوام، ولما جاءت الأقلية الشيعية، وحاولوا الاتفاق مع البوذيين واليابان لإسقاط نظام طالبان فهدموها، فالعمل السياسي دفع الطالبان إلى هدمها. وتلك حقيقة كانت تغيب عن كثير من الناس. ولو أردنا استقصاء ما يشد القارئ من هذا الكتاب لطلال بنا الحديث، ولكني أطمئن القارئ صادقاً على أن غيبته الإيمانية والعلمية ستجده فيما هو بين يديه من الكتاب ما يزيكها، وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

إلى أنه لم تذكر في القرآن كلمة «سيف» إطلاقاً. وفي مقابل ذلك، فإن المسيحية التي يزعمون أنها دين التسامح والمحبة، هي دين الاضطهاد، وأن كلمة السيف وردت في الإنجيل مئتي مرة، وأن دول أوروبا دخلت المسيحية بحد السيف، لا بتعاليم المسيح. وأنهم يرددون كلمة لا يؤمن بها أحد منهم، وهي: مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ.. فَأَدِرْ لَهُ خَدَّكَ الْأَيْسَرَ).

ويستشهد على صدق هذا الرجل بما كتبه راهب آخر، نشر كتاباً سماه «المسيحية والسيف»، وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي الغزاة المسيحيين<sup>(٦)</sup>، ووصف فيه الملوك المسيحيين بالدمويين الذين ارتكبوا مجازر تفشعر منها الجلود، وترتعد منها الفرائص في الأراضي التي دخلوها واحتلوها، وأدخلوا شعوبها في المسيحية بأدوات الحرب لا بتوجهات المسيح<sup>(٧)</sup>.

أما انتشار الإسلام سلباً، فقد استشهد عليه بإسلام التتار والمغول، وإسلام ماليزيا واندونيسيا، كما قوى استشهاده برأي الكاتب النمساوي الشهير محمد أسد الذي قال في كتابه «الإسلام في مفترق الطرق»: «إن اتهام الجيوش المسلمة بأنها خرجت تخضع الشعوب كلها بالقهر وحد السيف للإسلام هو أسخف خرافة ردها الناس في التاريخ».

### الهوامش

(١) المطران برتلومي ديلاس كازاس، وهو شاهد عيان قص فيه ما رآه ووثقه بأمر عينيه، وترجمته: سميرة عزمي الزين، ولم يذكر الناشر اللغة التي ترجم منها، وربما كانت الإسبانية، وهو من منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية. وكتب مقدمته الناشر نفسه، وصدرت أول طبعة له بالعربية، عام ١٩٩١م، وهو متوسط الحجم، في حدود خمس وتسعين صفحة، وحسب مقدمة الناشر: ولد كاتبه «المطران برتلومي» عام ١٤٧٤م، في قشتالة الإسبانية، ومات معزولاً في إسبانيا.

(٢) خواطر، ص ٢٣.

(٣) سى ابن رشيد السبتي رحلته: ملاء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريميتين إلى مكة وطيبة.

(١) Essais 1580:/Michel de Montaigne  
وقد وقع وهم في كتاب الدكتور عز الدين إسماعيل: «الفنون الأدبية» حيث ذكر تاريخ (١٨٥٠م) بدلاً من  
(٢) ينظر في ذلك الكتاب المذكور آنفاً «الفنون الأدبية» لعز الدين إسماعيل.  
(٣) راجعه علي الطنطاوي، وحققه ناجي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق الطبعة الأولى ١٩٦٠م.  
(٤) صيد الخاطر، ص ٥-٦.  
(٥) نفس المرجع، ص ٣٣.  
(٦) يقول الدكتور جلال محمد صالح، على موقع (رابطة علماء إرتيريا): «يعد كتاب (المسيحية والسيف) من أهم وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية، على أيدي النصارى الإسبان كتبه



# الجدار المائل



محمد الشرقاوي  
مصر

على الفور بردُّ العجوز متأثراً بشدة: كيف ذلك؟ إنَّ الصدمات العنيفة ليس لها علاجٌ؟ وهنا يزدادُ تأثرُ السامعين، وتندفقُ نحو الرجل مشاعرُ العطف من كلِّ الوجوه، ويبدى الجميعُ الرغبة في تخفيفِ الآلمة.

باسم: وماذا حدث يا عم؟

يرد العجوزُ بصوتٍ يملؤه اليأسُ: لقد خسِرَ الفريقُ البطولةَ، وعدت الآن من الاستاد منكسرًا حزينًا. وهنا يخيمُ الوجومُ والدهشةُ على وجوه الجميع كأنَّ الرجلَ القى قبلةً مدويةً تجعلُ كلَّ الأبصارِ شاخصةً نحوه، الصممتُ يلجُمُ الأفواهَ، الأسماعُ لا تكادُ تصدقُ ما قيل، لكنه لا يزالُ يندبُ الحظَّ العائرَ لفريقه متهماً الحكمَ بعدمِ العدالة.

هل سمعتِ مثلي ما قال الرجلُ؟! كانت تلك العبارةُ همسةً من باسم في أذن صديقه! ما زالت الدهشةُ تخيمُ على معظم الركابِ الذين يتبادلون نظراتِ التعجب، بينما يترحمُ الرجلُ على زمنِ عظماءِ الكرة، ثم يمضي في سردِ البطولاتِ بتواريخها، وكذلك أسماءِ اللاعبين والهدافين والمدربين، بينما يكادُ الدهولُ يقفرُ من الوجوه!..

يتواصلُ الهمسُ بين الشايين:

- باسم: سبحان الله، هل هذا عاقلٌ؟

- سامح: لا تتعجب، إنه ضحيةٌ لصناعةِ الوهم.

- باسم: ليتنا ما ساعدناه.

- سامح: لقد فعلنا ما يجب علينا.

- باسم: ألهذا الحد وصل جنونُ الكرة؟

سامح: نعم، وأكثر من ذلك، إننا نرى كل يوم أمثاله في العمر يتشاجرون في المقاهي والطرق من أجل هذه الرياضة.

ما زال العجوزُ مستمرًا في حديثه معلنًا أن انتماءه لناديه لن يتأثر، وسوف يشجعه لآخر يوم في عمره!..

وهنا تتلاشى كلُّ نظراتِ الشفقةِ القادمة نحوه كما يتلاشى ضياءُ الشمسِ عند قدومِ الليل.

كخيطةٍ سميكةٍ يحاولُ المرورَ من ثقبٍ يتحدى العيونُ أن تراه. هكذا يبدو هذا العجوزُ أثناء تكررِ محاولاته التي تبوءُ بالفشل. تمرُّ الدقائقُ مسرعةً يتخللها زنبُ هاتفه القديم، يردُّ بغضبٍ مرَّةً ويمتنعُ مرات، على وجهه تنطقُ علاماتُ الضيقِ والسخطِ مما ترى عيناه.

يسألُ نفسه: ما العملُ؟! لكنه يقررُ أن يتعاملَ على صحته لتحقيقِ المغامرة، فلا جدوى من طولِ الانتظار. أخيرًا ينجحُ العمُّ إبراهيم ذو الخمسةِ والستين ربيعًا في اللحاقِ بإحدى عرباتِ المترو بعد أن عاونه بقوةُ شابان قويان. كتلُّ من الأجسادِ المتلاصقةِ بشدةٍ تجعلُ المنظرَ في الداخلِ كأنه صحورٌ صلبةٌ يستحيلُ زحزحتها، يلتقطُ الرجلُ أنفاسه بصعوبةٍ بالغةٍ بينما تكادُ عيناه تذرغان.

المشهدُ الغريبُ بالداخلِ يدعو للشفقةِ والتعجبِ معًا، تسافرُ عيونُ الشايين عبرِ وجوهِ الجالسينَ لعلها تكتشفُ أحدَ الشبابِ لاقتناصِ مقعده من أجل هذا العجوز، ثم ينادي بذلك أحدهما ملتمسًا شهامةَ أولادِ البلد، يقترُبُ الرجلُ بصعوبةٍ ثم يجلسُ دون توجيهِ كلمةٍ شكرٍ واحدة.

لا يزالُ زنبُ هاتفه كالموجِ المتدفقِ دون انقطاعٍ، يخبره أحدُ الواقفينَ لكنه لا يهتمُّ، فمشاعرُ الغضبِ التي سيطرتُ عليه تنسيه هذا الصوتَ المزعج، أما جبينه فقد صنعتُ به التراجعُ لوحةً من الهمومِ والمآسي المتراكمةِ القادمة من زمنٍ بعيدٍ، يهمسُ لنفسه بكلماتٍ توحى بتلك المشاعرِ، فينظرُ الناسُ إليه مشفقينَ وملتمسينَ له الأعداءَ. يحاولُ بعضهم التخفيفَ عنه لكن بلا جدوى.

تدبُّ الحرارةُ في صوته فيرتفعُ قليلاً بعباراتِ اليأسِ والحظِّ العائرِ وغدرِ الدنيا وخداعها، فيحصد بذلك مزيدًا من التعاطفِ.

يتبادلُ باسم وسامح الحوارَ حول جدولِ امتحانها الذي تم إعلانُه على صفحةِ الكلية، يتسلمان بتفاؤلٍ، ثم يحاولان التخفيفَ عن العمِّ إبراهيم:

- باسم: ما أسئلك يا عم؟

- يرد الرجلُ بصوتٍ حادٍ: وما شأنك؟

يهدهو شديدٌ يقولُ سامح: نحنُ نحاولُ التخفيفَ عنك.

# أحببت أجمل منك!



عبدالناصر الجوهري  
مصر

أحببتُ أجملَ منك ..  
يغفرُ كلَّ شيءٍ لو أسأتُ لخلقه  
أما سواه فغارقٌ في الانتقامِ  
أحببتُ أجملَ منك ..  
مَنْ خَلَقَ الوجودَ بأسره  
سؤالُك أنتِ ..  
فكيف فيكِ الافتتانُ؟  
(حواءُ) قد سكتتِ بجناتِ النعيمِ ..  
وقد رأته فيضُ الجنانِ  
(تفاحةُ) أَلقتِ بها للأرضِ ..  
ما انتهتِ  
و شاء اللهُ أن يأتي بها  
من ضلعِ (آدم) ..  
رحمةً سكتنا له،  
أو قاربًا بسطَ النجاةُ  
أحببتُ أجملَ منك ..  
قد عشقَ الفؤادُ لديَّ عشقًا ثانيًا  
فسأغزلُ الكلماتِ حتمًا في حبيبي  
مَنْ لنا خلقَ الحياةَ  
وأحبُّ دومًا مَنْ هداني  
للوصولِ لحبِّه  
وأموتهُ عشقًا في هواه  
أحببتُ أجملَ منك ..  
فالوجدُ المعنى  
قد تعلقَ بالإلهِ  
إذ ليس للعُشاقِ مَعْبودٌ سِوَاهُ!

صرتُ مجذوبَ الهوى كالمبتلى  
كم كان حُبُّكَ قاتلي  
لا تعتبي يومًا عليَّ ..  
فليس قلبي راهبًا،  
أو ناسكًا هجرَ المرباعِ ..  
أو حينَ المنزلِ  
فاللومُ للعُشاقِ ليس بمنطوقِ  
جمرُ الملامةِ ما انطفا فيه الهَيَامُ  
فالعِشْقُ للمخلوقِ أولُ سُلْمٍ  
نحو العروجِ لصاحبِ الملكوتِ ..  
حُبًّا في المقامِ  
أحببتُ أجملَ منك ..  
مَنْ خلقَ الملائكُ،  
والخلائقَ والهوامِ  
فمتى يُقارنُ حَبْلُكَ المزعومُ يومًا  
بالمثيلِ لحبِّه؛  
فبحبِّه تسمو الأنامُ  
السَّخَرُ في عينيكِ منه  
والتقاسيمُ الجميلةُ من صنيعته  
وثرغركِ آيةُ  
فحبيبُ قلبي مُبدعٌ - سبحانه -  
بالنطقِ أَلْمَمِكِ البَيانِ  
أبوابُ خَلِيٍّ بالهُدى مفتوحةُ  
للوافدينِ جميعهمِ  
لكنَّ بابكِ مُوصدٌ  
لا تفتجيه سوى لمعشوقِ جبانِ

أنا مُتعبٌ نشب السُّهادُ بقلبه  
وعلى الصِّراطِ - هنالك - مُهْجتي  
سبقتُ خُطايَ  
ومررتُ مُشتاقًا إليه ..  
وبالصحيفةِ باسطًا معها رؤايَ  
فحبيبُ قلبي دائمًا حولي  
فليس كحُسْنِهِ حُسْنُ  
سيمنحني هُدايَ  
أُنسيْتُ شيئًا في حقيقةِ مُنتهايَ  
لا تغفلي  
قساماتِ صَبِّ كمْ يُعاني  
لا تديعي سرَّه قبل الأوانِ  
فَتَشْتِ قَبْلِكَ ما كفاني الحسُنُ ..  
من إنسي وجانِ  
كنتُ ادخرتكِ للزمانِ  
مهما سكبَتِ العطرُ حولكِ ..  
في ارتحالِكِ للقفارِ وللنسيمِ  
ما عاد يَشغلي بريدُ للحرائرِ،  
أو إماءٍ، أو عذاباتِ الجحيمِ  
ليستُ سهامُكِ صائباتِ للجوى  
فالآنِ تغمرني ثنِيَّاتُ السماءِ  
ما قد وجدتُ الحَبَّ فيكِ ..  
ونازعتني حضرةُ أهفو إليها  
في التعلقِ بالحبيبِ الأُوحدِ  
كم عشتُ أهفو للقا، للموعِدِ  
فبداخلي حُبٌّ دفينٌ يُصطلي  
وتقاطرتُ حَبَّاتُ دُمعِ



الشيخ الحافظ فضل الرحيم

## رحيل العلامة فضيلة الشيخ الحافظ فضل الرحيم

تنعى رابطة الأدب الإسلامي العالمية ممثلة بمكبتها الرئيس في المغرب، ومكبتها الإقليمي في باكستان: فضيلة العلامة الشيخ الحافظ فضل الرحيم الأشرفي رئيس الجامعة الأشرفية في لاهور، رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في باكستان، وعضو مجلس الأمناء. فقد وافاه الأجل يوم الاثنين ١٦ رجب ١٤٤٧هـ، الموافق ٥ كانون الثاني (يناير) ٢٠٢٦م، في مدينة لاهور في باكستان. نسأل الله عز وجل أن يرحمه ويغفر له، ويسكنه فسيح الجنات، (إنا لله وإنا إليه راجعون).

والبحرين، وغيرها من الدول الأوربية والآسيوية والأفريقية. وشارك في عدد من المؤتمرات والندوات المحلية والعالمية في باكستان وخارجها، منها: مؤتمر التضامن بين الأديان والمسالك المنعقد في باكستان (٢٠ أبريل ١٩٩٩م). ومؤتمر المجلس الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي حول «الاتجاهات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، بمكة المكرمة، (مارس ٢٠١٧م). وحضر عدة دورات لمجلس أمناء الرابطة ومؤتمراتها، وندوات نظمها المكتب الإقليمي للرابطة في باكستان، مثل: أدب الأطفال الإسلامي، ديسمبر ٢٠٠٧م. ومحمد ﷺ رمز الأمن العالمي، مايو ٢٠٠٨م، ومؤتمر شاعر الإسلام العلامة محمد إقبال الدولي، في مدينة لاهور، في رحاب الجامعة الأشرفية، (٢٩-٣٠ أكتوبر ٢٠١٦م). وهو مؤتمر عالمي شارك فيه وفود ممثلة لعدد من مكاتب الرابطة في الدول العربية، وغيرها.

عمل في مناصب إدارية وتعليمية وتوجيهية وتربوية عديدة، منها: رئيس الجامعة الأشرفية بلاهور منذ ٢٠١٦م، وشيخ الحديث بالجامعة الأشرفية، منذ ٢٠١١م، ورئيس كلية البنات (الملحقة بجامعة البنجاب ومجلس لاهور للتعليم الثانوي) التابعة للجامعة الأشرفية منذ ٢٠٠٧م. ورئيس معهد أم القرى (معهد لتدريس العلوم المعاصرة لخريجي الجامعات الدينية والجامعات المعاصرة). ورئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية. وعضو مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية. والمشرف العام على مجلة قافلة الأدب الإسلامي، التي يصدرها المكتب الإقليمي للرابطة في باكستان، وغيرها.

من مصنفاته القيمة: مسائل الصلاة، والأسماء الحسنى: باللغات (الأردية، والإنجليزية، والبنغالية، والفارسية، والبورمية)، وكتاب الحج والعمرة، وحقوق الوالدين، وحقوق الأطفال، ودروس الأحاديث النبوية الشريفة، والخلفاء الراشدون، وغيرها.

وقام الشيخ الحافظ فضل الرحيم بجولات وزيارات كثيرة دخل البلاد وخارجها، فزار أمريكا والهند وبنغلاديش وتايلاند واليابان وإيران ومصر والسعودية

## وفيما يأتي موجز سيرته الذاتية العلمية والعملية:

هو الحافظ فضل الرحيم بن الشيخ المفتي محمد حسن بن الشيخ الله داد. ولد في ١٠/١١/١٩٤٤م، في أمرتسار بالهند، وهاجر مع أسرته إلى باكستان.

نال شهادة العالمية في اللغة العربية، والدراسات الإسلامية من الجامعة الأشرفية بلاهور، وشهادة الدراسات العليا في الإسلاميات مقرر سنتين من الجامعة الإسلامية في بهاولفور، المعادل للماجستير. ودرس الحديث النبوي الشريف على عدد من كبار العلماء مثل: محمد إدريس الكاندهلوي، وجميل أحمد التهانوي، وغيرها.



## السيرة النبوية عند أعلام المغرب المُحدّثين والمعاصرين



### ضيوف الندوة

- **الجلسة الختامية:** كلمة باسم المشاركين، كلمة باسم المنظمين.
- **اللجنة العلمية:** أ.د. حسن الأمrani، أ.د. محمد علي الرياوي، أ.د. عبد الحميد أسقال، أ.د. رشيد سوسان، أ.د. خليل حسني، أ.د. لخضر الدرفوفي، أ.أ. الحسن حالي، أ.د. نور الدين قراط، أ.د. حسن يشو، أ.د. عبد العزيز فارح، أ.د. نزهة أمعارج.



- **اللجنة التنظيمية:** الطلبة الباحثون: طارق مقام، عبد الجليل الزلوفي، محمد ناصر. هذا.. وحضر الندوة جمهور كبير من الطلبة والمهتمين بالسيرة النبوية الشريفة، وعدد من الأساتذة الأكاديميين. ونشرت ملخصات البحوث في الموقع الرقبي للرابطة.

القيام عند ذكر ولادة خير الأنام ﷺ: للدكتور أحمد زيادي. التجليات النبوية في فكر العلامة حسن الوراكي بين المنهج العلمي والبيان الأدبي: للدكتور براء الوراكي. آليات اشتغال الحديث النبوي في الخطاب الديني عند العلامة عباس الجراري: للدكتورة إلهام المتمسك.

• **الجلسة العلمية الأولى: المسير:** أ.د. عبد الحميد أسقال، وفيها: الرسول في كتابات العلامة عبد الله كنون: للدكتور فاتح عبد الكريم. عناية المغاربة المُحدّثين بالسيرة النبوية تحقيقًا ودراسةً وتقريبًا: للدكتور عبد العزيز فارح. الشمائل النبوية عند أعلام المغرب المُحدّثين والمعاصرين: للدكتور الحسن حالي. البعد الإصلاحي في السيرة النبوية عند الفقيه محمد بن الحسن الحجوي: للدكتورة أمينة الهدار. عند ذكر ولادة خير الأنام ﷺ: للدكتور أحمد زيادي. التجليات النبوية في فكر العلامة حسن الوراكي بين المنهج العلمي والبيان الأدبي: للدكتور براء الوراكي. آليات اشتغال الحديث النبوي في الخطاب الديني عند العلامة عباس الجراري: للدكتورة إلهام المتمسك.

أقامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية ممثلة بمكتبها الرئيس في المملكة المغربية بالتعاون مع مختبر الحوار الوطني والتكامل المعرفي في مدينة وجدة ندوة وطنية تحت عنوان: (السيرة النبوية عند أعلام المغرب المُحدّثين والمعاصرين)، وبمشاركة رئيس الرابطة الأستاذ الدكتور حسن الأمrani، وذلك يوم الجمعة ٢٤ ربيع الآخر ١٤٤٧هـ، الموافق ١٧ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٢٥م، بقاعة نداء السلام في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، وقد بدأت الندوة الساعة التاسعة والنصف صباحًا، وتضمنت الفقرات والفعاليات الآتية:

### برنامج الندوة:

• **الجلسة الافتتاحية: المسير:** أ.د. لخضر الدرفوفي. وفيه: الافتتاح بأيات من الذكر الحكيم. كلمة عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة. كلمة رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية. كلمة مدير مختبر الحوار الحضاري والتكامل المعرفي. كلمة اللجنة العلمية والتنظيمية.

• **المحاضرة الافتتاحية: المسير:** أ.د. محمد علي الرياوي: بعنوان: الشعر في خدمة السيرة النبوية المنيفة: نظرات في تمهيد ابن عبد البر القرطبي: للأستاذ الدكتور حسن الأمrani.

• **الجلسة العلمية الأولى: المسير:** أ.د. عبد الحميد أسقال، وفيها: العلامة محمد المختار موثقًا لجهود سوس العالمة في خدمة سيرة النبي المختار: للدكتور صالح أزوكاي. موقف الفيلسوف الرافي من مسألة



## أدب الأطفال عند شوقي، رؤية إسلامية تأليف د.داود لطفي حافظ

- مكتب القاهرة- محمد الشرقاوي:

أقام المكتب الإقليمي للرابطة بالقاهرة الاثنين ١٠ سبتمبر ٢٠٢٥م، ندوة أدبية، نوقش خلالها كتاب (أدب الأطفال عند شوقي، رؤية إسلامية)، لمؤلفه الدكتور داود لطفي حافظ، أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر.

وتحدث في الندوة كل من: الناقد د.وائل علي السيد؛ أستاذ الأدب والنقد بجامعة عين شمس، ثم الناقد د.صبري أبو حسين أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد بجامعة الأزهر، ثم بدأت التعقيبات بكلمة الناقد د.زهران جبر

## اليوم العالمي للغة العربية برابطة الأدب الإسلامي العالمية

بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية أقام المكتب الإقليمي للرابطة في القاهرة مساء الاثنين الموافق ١٢/١٢/٢٠٢٥م، ندوة استضافت فيها أ.د. مفيدة إبراهيم علي أستاذة الأدب والنقد وعميدة كليات الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، فتحدثت عن (تجليات اللغة العربية في تعزيز البعد العربي)، متناولة أهمية اللغة العربية لغة العقيدة، وصمود اللغة العربية أمام حملات التغريب وتماسكها وغيرها. وأدارها الأديب محمد الشرقاوي عضو مجلس الإدارة، وقرأ موجزاً للسيرة الذاتية لضيفة الندوة. وتحدث في الندوة د.غريب جمعة

رابطة الأدب الإسلامي العالمية  
(مكتب مصر)  
برئاسة شاعرة الوادي نوال مهني

تحت إشراف لجنة أدب الطفل  
(برئاسة الشاعر محمد الشرقاوي)

دعوة لحضور مناقشة كتاب:

**أدب الأطفال عند شوقي  
(رؤية إسلامية)**  
تأليف أ.د/ داود لطفي حافظ  
٦ م الإثنين ١٠ / ١١ / ٢٠٢٥

ضيفا المنصة:  
الناقدان:

أ.د/ وائل علي السيد  
أ.د/ صبري أبو حسين  
(بعقب المناقشة مشاركات إبداعية لكل الحاضرين)

١٥ ش عبدالعزيز جاويش،  
عابدين، مترو محمد نجيب

الملقب بشاعر الصورة، وقام بتوثيق الندوة، وأدار الندوة وختمها الشاعر محمد الشرقاوي رئيس لجنة أدب الطفل بمكتب الرابطة في مصر مرحباً وشاكراً الجميع، وداعياً لمزيد من المساهمات الأدبية.

رابطة الأدب الإسلامي العالمية  
(مكتب مصر)  
برئاسة شاعرة الوادي نوال مهني

ندوة كبرى بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية

تجليات اللغة العربية  
في تعزيز البعد العربي

أ.د مفيدة إبراهيم علي

الدعوة عامة لجميع المثقفين

عميدة كليات الدراسات الإسلامية والعربية ج الأزهر  
٦ م الإثنين ١٢ / ١٢ / ٢٠٢٥

١٥ ش عبدالعزيز جاويش،  
عابدين، مترو محمد نجيب  
الشاعر محمد الشرقاوي

شعبة أدب البادية بالنقابة العامة لاتحاد كتاب مصر. وفي الختام كانت مشاركة الشعراء: محمد فايد عثمان، وحمدي عبداللطيف، ومحمد الشرقاوي، كما قدمت درع الرابطة لضيفة الندوة وشهادة تقدير خاصة.



## لمحات من الفكر الأدبي والإنساني عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

موضوع الندوة: د.غريب جمعة أمين سر الرابطة وعضو مجلس الإدارة، ود.داود لطفي، ود.عمر محفوظ، وأ.محمود ميروك، والناشر أحمد مصطفى، وأ.ممدوح حمودة، وأ.سيد الرشيد، وأ.أبو الفتوح البرعصي، ود.وداد معروف، وأ.السيد الراعي، ود.الحسين محسن، وأ.محمد جافور، ود.ربيع شكري، والسيدة أميرة زكريا، وأ.بشير عبدالله، وأ.محمد سعد أبو الرضا. وفي الختام ألقى الشاعر محمد الشرقاوي قصيدة له بعنوان (حتى لو غضب الشعراء)، ثم قدمت رئيسة المكتب أنوال مهني درع الرابطة لضيفي المنصة أ.سعيد يوجّه، وأ.د. أشرف الدرفيلي.



مهني رئيسة مكتب مصر، فتحدثت عن ميلاد ونشأة النورسي، والظروف التاريخية التي واجهها بحزم وعقيدة راسخة. ثم تحدث د.أشرف الدرفيلي عن مدى تأثير فكر النورسي في الحياة الإنسانية عامة، وفي الأمة الإسلامية خاصة، ثم تحدث د.باسل عبداللطيف عن جانب من عبقرية النورسي. حضر الندوة نخبة من الأدباء والكتاب، وأسهم كل منهم بكلمة في

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في القاهرة ندوة بعنوان: (لمحات من الفكر الأدبي والإنساني عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي)، مساء الاثنين ٢٣/٨/١٤٤٧هـ، الموافق ١٢/١٢/٢٠٢٦م، في مقرها بالقاهرة، بالتعاون مع (مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم). وتحدث في الندوة الأستاذ (سعيد يوجّه) رئيس مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم، عن جوانب عديدة في حياة الإمام النورسي، وترجم حديثه الأستاذ (عبد الرحمن السيد). وحضر اللقاء د.باسل عبداللطيف رئيس اتحاد شباب العرب، والبروفيسور أشرف عبدالرافع الدرفيلي المدير التنفيذي لاتحاد الجامعات الأفروآسيوية، قدمت الندوة أنوال



ورئيس هيئة تمكين اللغة العربية ورعايتها بالاتحاد العربي للثقافة، ود.نوف علي بركات الجعيد من قسم اللغاة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وأدارت الندوة د.جهان سباق خليفة.

(اللغة العربية بين الهوية والتأصيل: رؤى معاصرة في يومها العالمي)؛ من خلال مداخلتها بعنوان: (لغة العروبة تقول لكم)، وكان لها أثر واضح في إثراء محاور الندوة، وتعزيز الوعي لدى الحضور. وعقدت الندوة في القاهرة بتاريخ ٢٠/١٢/٢٠٢٠م. وشارك في الندوة أ.د. عبدالحميد عبدالمنعم مذكور الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، والأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وأ.د. محمد فرج علي الخزعلي أستاذ اللغويات بجامعة عمر المختار بليبيا،

## شكر وتقدير للأديبة نوال مهني

تلقت الأديبة الأستاذة نوال مهني أحمد الملقبة (شاعرة الوادي)، رئيسة المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في القاهرة، ورئيسة جمعية الأدب الإسلامي؛ شهادة شكر وتقدير من (جامعة أكاديميون العالمية) ممثلة في عمادة الدراسات التطبيقية وخدمة المجتمع، وذلك تقديراً لمساهمتها المتميزة في ندوة



## الرسائل الجامعية المكتوبة حول مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية

الأدب العربي بالتركيز على رابطة الأدب الإسلامي، للباحث حمدون فجي محيي الدين، بجامعة العثمانية، في حيدر أباد بالهند.

**المجموعة الثانية:** الرسائل التي تناولت جهود رابطة الأدب الإسلامي العالمية في النقد العربي والإسلامي من خلال أدبائها المنتسبين إليها. ومن هذه الرسائل:

رسالة الماجستير: (آراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في النقد والنقد)، للباحث كمال أحمد المقابلة، جامعة آل البيت، ورسالة دكتوراة: (جهود نقاد رابطة الأدب الإسلامي في نقد الشعر العربي المعاصر)، للباحث: عادل إبراهيم العدل عبد الله، بجامعة بنها، كلية الآداب، في مصر، ورسالة الماجستير: (القصة القصيرة في الأدب الإسلامي المعاصر، دراسة نقدية: أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية أنموذجاً)، للباحثة هبة عبدالرزاق إبراهيم، في جامعة الإمام محمد

بن سعود الإسلامية، في الرياض. ورسالة الماجستير: (صورة المرأة في القصة القصيرة عند أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية)، للباحثة رشا عبد اللطيف كردي، في جامعة الإمام في الرياض، ورسالة الماجستير: (صورة المرأة في الرواية الإسلامية.. أدباء رابطة الأدب الإسلامي العالمية أنموذجاً)، للباحثة: مريم محمد الياحي، في جامعة الإمام في الرياض، ورسالة الماجستير: (القيم الشعورية والتعبيرية عند شعراء رابطة الأدب

الإسلامي العالمية، واستكشاف الأثر العلمي، للرابطة وإسهاماتها في تعزيز الأدب الإسلامي المعاصر.

وجاء الحديث عن الرسائل الجامعية حول الموضوع في أربع مجموعات هي:

**المجموعة الأولى:** الرسائل التي تناولت ما كتبه الشيخ العلامة أبو الحسن الندوي (رحمه الله)، وأثره في قيام رابطة الأدب الإسلامي، ومسيرتها.



وأهم الرسائل التي نشرت عنه في المجلة: رسالة الماجستير (جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي)، للباحث عبدالله بن صالح الوشحي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، ورسالة الماجستير: (جهود الشيخ أبي الحسن الندوي في التأصيل الإسلامي للغة العربية وأدائها)، للباحث محمد عبد السلام آزادي، في الجامعة الإسلامية العالمية، في ماليزيا، ورسالة الدكتوراة: (دور أبي الحسن الندوي في تطوير

استضاف المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في ماليزيا الأستاذ (شمس الدين حسين درمش)، أمين سر تحرير مجلة (الأدب الإسلامي) الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، في الأمسية الحادية عشرة، لعام ٢٠٢٥م، بعنوان: «الرسائل الجامعية المكتوبة حول مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية»، ونظمت الأمسية بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العُمانية في ماليزيا، وكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بتاريخ يوم الجمعة، ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٥م، الساعة التاسعة مساءً (بتوقيت ماليزيا)، الرابعة عصراً (بتوقيت مكة المكرمة)، عبر منصة: Zoom Meeting. وأدار الأمسية الدكتور السيد سالم، الأستاذ بجامعة المدينة العالمية في ماليزيا، ونائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في ماليزيا.

وتابع الأمسية عبر رابط الزوم الأستاذ الدكتور حسن الأماناني رئيس الرابطة، والأستاذة الدكتورة (رحمة الحاج عثمان) رئيسة المكتب الإقليمي للرابطة في ماليزيا، وآخرون.

وتحدث الأستاذ شمس الدين درمش عن الدراسات والبحوث الجامعية التي تناولت نشأة مصطلح الأدب الإسلامي في العصر الحديث، وإسهام سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي في ذلك، والدعوة إلى قيام رابطة الأدب



**المجموعة الرابعة: الرسائل**  
والبحوث التي قدمت في الأدب الإسلامي العام: في النقد، وفي الشعر، وفي الرؤية الفنية، وفي الأغراض الشعرية كالغزل، والمديح على ضوء منهج الأدب الإسلامي، وهذه الرسائل مهمة جداً لأنها تدخل في التنظير للأدب الإسلامي ونقده، وهي:

**رسالة الدكتوراة: (الأدب الإسلامي والمشروع الحضاري)**، للباحث محمد أحمد هيشور، بجامعة وهران في الجزائر، ورسالة الدكتوراة: (دراسة في نظرية الأدب الإسلامي)، للباحثة وضحي مسفر القحطاني، بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل بالدمام في السعودية، ورسالة الماجستير: (تطور نظرية الأدب الإسلامي ما بين عامي ١٩٩٠-٢٠١٧م)، للباحث سامر نزار كيالي، بجامعة إدلب، في سورية، ورسالة الماجستير: (المدخل إلى المنهج الإسلامي في الفنون الأدبية الأدبية: الحقائق والخصائص)، للباحث كمال الدين علي مبارك، كلية الدراسات العربية، والشريعة الإسلامية، بجامعة إلبورن في نيجيريا، ورسالة الدكتوراة: (الرؤية

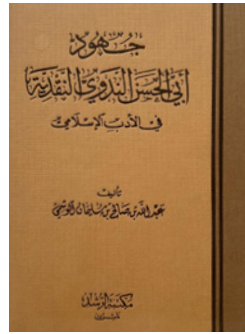


الفنية للأدب الإسلامي في العصر الحديث)، للباحثة وفاء إسماعيل البردان، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية في مصر، ورسالة الماجستير: (إشكالية الأدب الإسلامي في النقد الأدبي الحديث)، للباحث نصر الدين دلاوي، بجامعة وهران، في الجزائر، ورسالة الدكتوراة:

الفنون عامة من شعر وقصة ومقالة ومسرحية، وتناول بعضها الشعر، والقصة القصيرة، والمسرحية، وهي: رسالة الدكتوراة: (الفنون الأدبية في مجلة الأدب الإسلامي.. دراسة تحليلية فنية الأعداد: ١-٤٨)، للباحث أحمد علي محمود، في جامعة الأزهر، بأسسوط، ورسالة الدكتوراة: (الالتزام والإبداع عند شعراء مجلة الأدب الإسلامي: الأعداد ١-٤٠٠ دراسة نقدية تحليلية)، للباحث: أنس حسام النعيمي، في الجامعة الإسلامية العالمية، بماليزيا، ورسالة الماجستير: (الالتزام والإبداع في شعر مجلة الأدب الإسلامي دراسة في الأعداد: ٤١-١٠٠)،

للباحثة رقية كاظم حسين، بالجامعة العراقية، في بغداد، ورسالة الماجستير: (القصة القصيرة في مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية من العدد ١-٥٠ دراسة نقدية)، للباحثة هبة محمود عباس، بالجامعة العراقية، في بغداد، ومذكرة لثيل درجة الليسانس: (فن المسرحية في الأدب الإسلامي دراسة من خلال مجلة الأدب الإسلامي الأعداد: ١-٢٠)، للباحث محمد بلقاسم بن جيدل، بجامعة الجزائر، وتناول البحث خمس دراسات أدبية ونقدية منشورة في المجلة، ودراسة لنصوص (١٧) مسرحية.

الإسلامي العالمية)، للباحث: وسام عبيد الجميلي، في الجامعة العراقية، في بغداد، ورسالة الماجستير: (الصورة الفنية عند شعراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية)، للباحث محمد عامر الصويغ، في جامعة الإمام في الرياض، ورسالة الدكتوراة: (البناء الفني لقصيدة التفعيلة عند شعراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية)، للباحث: وليد بن عبدالله الدوسري،



في جامعة الإمام في الرياض، ورسالة الدكتوراة: (صورة البطل في الشعر الإسلامي المعاصر.. شعراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية نموذجاً)، للباحث وائل تركي الغريري، بالجامعة العراقية في

بغداد، ورسالة الماجستير: (واقعية الأداء في شعر رابطة الأدب الإسلامي.. عدنان النحوي نموذجاً)، للباحث: عبد الكريم خلف القيسي، بجامعة الأنبار في العراق، ورسالة الدكتوراة: (مساهمة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تطوير أدب الأطفال)، للباحث سلمان عارفي، بجامعة جواهر لال نهرو في نيودلهي بالهند، ورسالة الدكتوراة: (مساهمة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تطوير الأدب العربي)، للباحث: عارف قاضي، في الجامعة المليية الإسلامية، في نيودلهي بالهند.

**المجموعة الثالثة: الرسائل**  
والبحوث التي قدمت من خلال مجلة الأدب الإسلامي، التي تصدرها الرابطة، وتناولت بعض هذه الرسائل



عبد الرحمن أحمد فراج، نشر في (١٨٤، ص ٧٢)، وجمع فيه (١٦٤) رسالة، ووضح المعلومات الأساسية لكل رسالة.

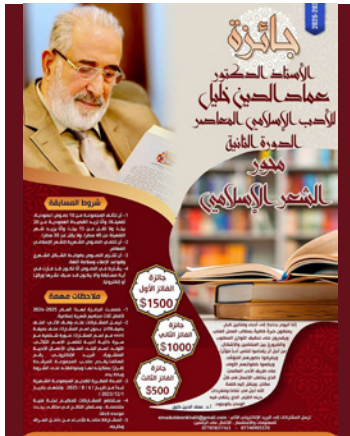
**وفي التعقيبات والمدخلات تحدث** الأساتذة والدكاترة الأفاضل: حسن الأمراني رئيس الرابطة، ومنجد مصطفى بهجت الأستاذ بالجامعة الإسلامية العالمية سابقاً، وعبد الحميد محمد الأستاذ بالجامعة الإسلامية العالمية، وموسى محمد كمارا الأستاذ بجامعة فطاني بتيلاند، ومقدم الأمسية أ.د. السيد سالم الأستاذ بجامعة المدينة العالمية في ماليزيا، فقدمت مقترحات وتوصيات مهمة في الموضوع، نشرت تفاصيلها في الموقع الرقعي للرابطة.

بجامعة الإمام في الرياض، ورسالة الدكتوراة: (الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي الحديث دراسة موضوعية فنية تطبيقية في ضوء شعر محمود مفلح)، للباحثة: سمية الرومي، بجامعة الإمام كلية الآداب للبنات، في الرياض، ورسالة الدكتوراة: (نصوص الشعر والشعراء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف)، للباحث الحسين زروق، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله في مدينة فاس، بالمغرب. **وأخيراً:** (الأدب الإسلامي في الرسائل الجامعية المصرية)، مقال للكاتب

(القصيدة الإسلامية المعاصرة بنيتها ودلالاتها)، للباحث رابع بن خوية، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، في الجزائر، ورسالة الماجستير: (الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي المعاصر ١٩٤٨-١٩٧٣م)، للباحث ياسر أحمد حشيش، بجامعة القاهرة، دار العلوم، ورسالة الماجستير: (شعر الغزل في ضوء منهج الأدب الإسلامي)، للباحث بدر بن علي المقبل، بجامعة الإمام في الرياض، ورسالة الماجستير: (شعر المديح في ضوء منهج الأدب الإسلامي)، للباحثة عائشة بنت صالح الشمري،



## جائزة الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل للأدب الإسلامي المعاصر (الدورة الثانية: في الشعر الإسلامي)



الثانية للجائزة في محور الشعر، للعام (٢٠٢٥-٢٠٢٦م) لأفضل ثلاث مجاميع شعرية إسلامية. ورصدت لها ثلاث جوائز: الفائز الأول: ١٥٠٠ دولار. والفائز الثاني: ١٠٠٠ دولار. والفائز الثالث: ٥٠٠ دولار.

وحددت شروط المسابقة كما يأتي: أن تتألف المجموعة من (١٠) نصوص (عمودية - تفعيلة)، وألا تزيد القصيدة العمودية عن (٢٠) بيتاً، ولا تقل عن (١٥) بيتاً، وأن لا يزيد شعر التفعيلة عن (٤٠) سطرًا، ولا يقل عن (٣٠) سطرًا. وأن تنتهي النصوص الشعرية للشعر الإسلامي المعاصر.

يقول أ.د. عماد الدين خليل: "إننا اليوم بحاجة إلى أدباء وفنانين كبار يملكون خبرة كافية بمطالب العمل الفني، ويقدرتون على تحقيق التوازن المطلوب والضروري بين المضامين والأشكال من أجل أن يقدموا للناس أدباً مؤثراً، ويفرضوا حضورهم المؤكد، ويضعوا خطواتهم الأولى على طريق الأدب العالمي الذي يخاطب الإنسان في كل مكان، وينقل إليه كلمة الله (جل في علاه)، ومفردات دينه القيم، الذي يلتقي فيه الوحي بالوجود".  
وتشجيعاً للأدباء والشعراء في هذا الشأن فقد أعلنت الدورة

وأن تلتزم النصوص بضوابط الشكل الشعري، وقواعد الإملاء، وسلامة اللغة. ويشترط في النصوص أن لا تكون قد فازت في أية مسابقة، وألا يكون قد سبق نشرها ورقياً أو إلكترونياً. هذا وأعلنت طريقة المراسلة والمتابعة في الموقع الرقعي للرابطة، وبوساطة التواصل المعروفة.



## إصدارات متنوعة

٢٠٢٥ م، مطبعة الحميضي بالرياض، (١٩٦ص)، قصيدة ومقطوعة، من الشعر العمودي.

• **رماد الذاكرة** (رواية)، د. عبد السلام الراغب، دار المعراج، دمشق، ط١، (٢٢٣ص) من الحجم المتوسط، ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥ م.

• **لملمة حرف** (ديوان)، سامي بن أحمد القاسم، جمعية أدباء الأحساء، السعودية، ط١، ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥ م، (١٧٣ص)، حجم قصيدة (٧٦) من الشعر العمودي.

٢٠٢٥ م، مطبعة الحميضي بالرياض، (١٩٦ص)، قصيدة ومقطوعة.

• **ديوان الفتح وعاتد الشام** د. وليد إبراهيم القصاب، ط١، دار الهدى للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥ م، بالحجم العادي، وضم (٤٨) قصيدة متنوعة بين الشعر العمودي والتفعيلة.

• **شوق وإشفاق** (ديوان) عبد الواسع قاسم علي الهياري، دار الوهبي للنشر والطبع...، ط١، مدينة نصر بالقاهرة، ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥ م،

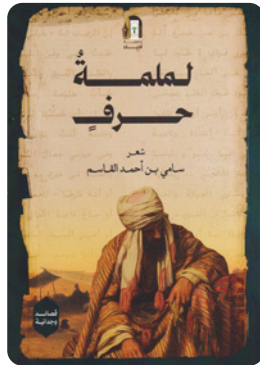
المكتب الإقليمي للرابطة في بنغلاديش، وذلك لشهر ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٢٥ م، (٩٦ص).

• **عبقري العصر العلامة محمد سلطان ذوق الندوي، موجز عن حياته وأعماله ومآثره**، عبد الحلیم بذل أحمد، (٩٦ص) ط١، من الحجم العادي، ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥ م، نشر رابطة الطلاب السابقين لجامعة دار المعارف، شيتاجونج، بنغلاديش.

• **من وحي الستين** (ديوان) عبدالله بن محمد بن مسعد، ط١، ١٤٤٧هـ /

• **الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي**: حياته أفكاره، مآثره (رسالة دكتوراة)، د. محمد وثيق الندوي، دار الرشيد للنشر والتوزيع بلكنهؤ في الهند، ط١، ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٦ م، (٨٦٠ص) من الحجم العادي.

• **منار الشرق** (مجلة عدد خاص)، جامعة دار المعارف الإسلامية في شيتاجونج ببنغلاديش، بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية؛ عن الشيخ محمد سلطان ذوق الندوي، مؤسس جامعة دار المعارف، ومؤسس ورئيس





د. عماد الدين خليل  
العراق

# التخصص أم الموسوعية؟

أعطوا الحياة الثقافية في الغرب، وربما في العالم كله، طعمها وملحها.. وهل ننسى جيد ومالرو وكوستلر وبرناردشو وفتكنشتاين وبرتراند رسل.. و..؟

لقد فتح أبناء جيلي عيونهم على عصر لم يكن المفكر فيه قد اعتقل نفسه في زنازة التخصص.. ولقد تعلمنا كثيراً - بغض النظر عن اختلاف القناعات - من العقاد وسيد قطب وطه حسين والرافعي والحكيم وبنيت الشاطئ والغزالي والسباعي والطنطاوي والندوي وغيرهم.. كانوا يكتبون في الفكر والأدب والتاريخ.. كانوا ينظرون وينقدون ويبدعون.. بل إن معظمهم قال شعراً.

ثمة مسألة أخرى.. إن الساحة الإسلامية بالذات قد تغري بنوع من الملاحقة.. قد تجعل الكتابة في أكثر من ميدان نوعاً من (فرض العين) على كل قادر.. وتبقى مسألة الأولويات هي التي تحدّد ما الذي ينصب عليه الاهتمام في هذه اللحظة الزمنية أو تلك.

على أية حال، ومن أجل تجاوز أي نوع من سوء الفهم، فإن تشعب الاهتمام لا يعني بالضرورة انتقاصاً لمطالب التخصص أو المنهج، ولا خرقاً لضرورات الأكاديمية.. إن ما كتبت في حقل التاريخ - ولله الحمد والمنة- يتحقق بهذه الضوابط والضرورات، وإلا لما حصلت أساساً على الماجستير والدكتوراه بأعلى الدرجات، ولما رقيت إلى مرتبة الأستاذية في التاريخ الإسلامي.. إن منطق العجز وحده هو الذي يدين الآخرين وهم يغادرون بين الحين والحين مواقع تخصصهم لكي يكتبوا في مجال آخر بعيداً عن الزنانات التي تحاول أن تقيم أسلاكاً شائكة بين حقول المعرفة الإنسانية تمنع من العبور.

ثمة سؤالٌ طالما فرض نفسه في سياق الكتابة والإبداع: التخصص أم الموسوعية؟ والحق أنه ليس قدرنا أن نقول هذا أو ذاك.. وإنما هذا وذاك.. فالظواهر في بعض الأحيان لا تتخاصم ولا ينفي بعضها بعضاً، وإنما تلتقي، وتتصالح، ويعطي كل منها للحلقات الأخرى الفرصة الكاملة للتحقق.

ما أريد أن أقوله هو أن الموسوعية - إذا صحت الكلمة - لا تتعارض مع التخصص سواء في دائرة المفكر الواحد، أو في سياق النشاط الفكري والثقافي في بيئة ما أو عصر من العصور.. القطبان يكمل أحدهما الآخر.. هذا يتحرك في فضاء واسع أعطاه الله سبحانه وتعالى القدرة على خوض غماره.. وذاك يوغل في أعماق الظواهر والخبرات، ويتمركز في حيز محدد حيث يجد نفسه مؤهلاً لأداء مهمته الفكرية في دوائر التخصص.

لنتصور لو أن رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه التي طالما مارست خطاها بلغة سقيمة مكسرة، وبرؤية تخصصية مقلدة، هي وحدها التي تستأثر بالساحة.. كيف سيكون الحال!؟

في الغرب والشرق على السواء رحل مئات الأكاديميين المتخصصين، بل الؤفهم، دون أن يسمع بهم أحد ودون أن يتركوا في الحياة الثقافية أثراً يذكر.. بعضهم - إذا أردنا الحق - مضى بالخبرة العلمية صوب آفاق بعيدة، وقدم كشوفاً مذهلة خدمت البشرية جمعاء.. لكن أغلهم - والحديث عن جماعة الإنسانيات - ما فعلوا سوى أن تمرسوا في مجال تخصصهم وأصبحوا أساتذة جامعيين ناجحين، وليس ثمة شيء وراء ذلك.. لكن موسوعيين كهيكل واشبنكلر وتويني وارليك فروم وكارودي وروم لاندو.. وغيرهم كثيرون.. هم الذين